

العينة العلوية المقدسية

قصر الشوق والذكرى والتاريخ

٢٨

رُحْمَانْدَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي بَيْتَانِ الْحَقِّ الْمُبِينِ

تأليف

مسن بن محمد بن جماعة الطوري

الطبعة الأولى سنة ١٢٤٤ هـ

ع ١٢٤٤

العَتَبَةُ الْعُلُوْبَةُ الْمَقْدِسِيَّةُ

قِسْمُ الشُّوْنِ الْفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ

(٣٨)

سُرْعُ مَنْاسِدَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ^{عَلَيْهِ السَّلَامُ}

فِي بَيَانِ الْحَقِّ الْمُبِينِ

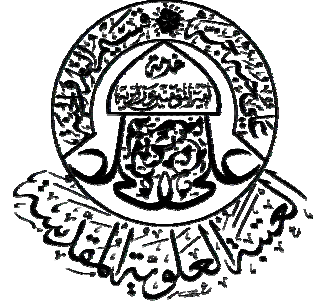
تَأَلِيفُ

حَسَنِ بَهْرٍ مُحَمَّدِيٍّ بِرِجْعَةِ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

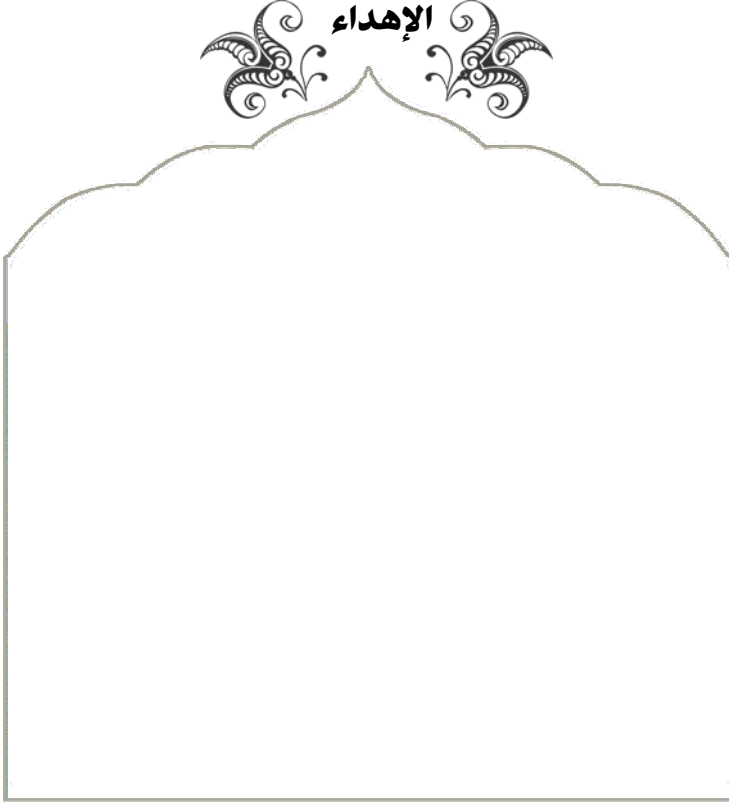
هوية الكتاب

- شرح مناشدة أمير المؤمنين ﷺ في بيان الحق المبين.
- المؤلف: حسن بن محمد بن جمعة المطوري.
- الناشر: العتبة العلوية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية.
- الإخراج الفني: عبد الحسن هادي الشافعي.
- مراجعة: قسم الشؤون الفكرية والثقافية.
- الطبعة: الأولى.
- تاريخ الطبع: ١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م



www.imamali-a.net
info@imamali-a.net

الإهداء



خادمكم

حسن المطوري

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتجلي لخلقته بخلقته، والظاهر لقلوبهم بحجته، خلق الخلق من غير روية إذ كانت الروايات لا تليق إلا بدوي الضمائر، وصلى الله على حبيبه المصطفى الذي اختاره من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء وذؤابة العلياء، وسرة البطحاء، ومصابيح الظلمة، وينايع الحكمة، وعلى آله الطاهرين شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة محبهم ينتظر الرحمة، وعدوهم ومبغضهم ينتظر السطوة.

(وجادلهم بالتي هي احسن تلك) كانت خطى الإمام أمير المؤمنين أمام القوم لاسترجاع حق غضبوه وثوب لبسوه من غير بصيرة ولا تدبر بل أمر تألوله مقابل النصوص الواضحة والأقوال الصادحة بالحق للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان الإمام (عليه السلام) يحتج عليهم بما سمعوه وما فهموه من قول الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، لتكون الحجة عليهم أبلغ، وأول مناشدة واحتجاج من أمير المؤمنين (عليه السلام) كانت بمسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وفاته ذكره سليم بن قيس الهلالي ولكن القلوب عميت، والأذان صمت، وكانت المناشدة الأخرى يوم الشورى، حين وكل الخليفة الثاني الأمر بستة نفر كان الإمام أحدهم ليختاروا خليفة للمسلمين: فقال لهم الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) لا تحتجن عليكم بما لا يستطيع عربيتكم ولا عجميتكم تغيير ذلك، ثم قال: أنشدكم الله أيها النفر جميعا أفيكم أحد..؟ ثم احتج ثالثا أيام عثمان وناشدهم، وبعدها مناشدته يوم الرحبة سنة ٣٥هـ حيث الأعلام الشهود وأربعة وعشرون صحابيا ممن حضروا وسمعوا حديث الغدير .. ومناشدته يوم الجمل سنة ٣٦هـ

لطلحة ويوم صفين وغيرها ، وكان هذا ديدن أهل البيت (عليهم السلام) لإظهار الحق وازهاق الباطل فكانت الزهراء تحتج على القوم والإمام الحسن والإمام الحسين يحتجان ويناشدان بهذه الحقوق الضائعة ويمثل هذا جرى عليه اصحابهم ومحبيهم ، ومن أجل اثبات هذا الحق قام مؤلف الكتاب ببيان واضح لهذه المناشدة التي تظهر الحق وتمحق الباطل ، ومن هذا المنطلق عمد قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة لطباعة ونشر هذا الكتاب بعد مراجعته آملين التوفيق لمؤلفه وخدمة للقراء الكرام ، من خلال نشر كل ما يخص الإمام امير المؤمنين خدمة للدين والمذهب والله من وراء القصد.

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

٢٤ ذي القعدة ١٤٣١هـ

النجف الأشرف

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين واصلي واسلم على البشير النذير والسراج المنير المسمى في السماء بأحمد وفي الأرض بأبي القاسم محمد وعلى آله النجوم الزاهرة وعترة الطاهرة، مصايح الدجى واعلام الورى، وعلى من شايعهم وتابعهم من الانام، واخذ عنهم شرائع الاسلام، وسلم لهم في جميع الاحكام.

وبعد: ان الله سبحانه وتعالى بعث نبيه لينقذ الناس من الحيرة والضلالة والظلم والجهالة ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويدعوهم إلى ما يحييهم ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فادى ما حُبل إلى العباد، وجاهد في الله حق الجهاد، وكان إلى جانب ذلك كله أرحم بهم من انفسهم وأشفق عليهم من آبائهم، فيه تجلت الرحمة الإلهية والعناية الربانية، واحسن الحديث حديث ربنا حيث يقول: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) ويقول سبحانه (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة/١٢٨) ويقول جل وعزّ (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَنفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة/٢).

ويقول ابن عمه ووصيه علي بن أبي طالب شارحاً لما أشار إليه كتاب الله: إلى ان بعث الله سبحانه محمداً رسول الله ﷺ لإنجاز عِدَّتِهِ وإتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريماً ميلاده واهل الأرض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرائق متشتتة، بين مشبه لله بخلقه أو ملحد في اسمه أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضلالة، وانقذهم بمكانه من الجهالة. ثم اختار سبحانه لمحمد ﷺ

لقائه، ورضي له ما عنده، واكرمه عن دار الدنيا، ورغب به من مقام البلوى فقبضه إليه كريماً، وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح ولا علم قائم^(١).

وتقول الزهراء البتول بضعة الرسول: واشهد ان أبي محمداً عبده ورسوله، اختاره قبل ان يبعثه، وسماه قبل ان يستنخبه، اذ الخلاق في الغيب مكنونة، ويسد الأوهام مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله في غامض الأمور، واحاطة من وراء حادثة الدهور، ومعرفة بموقع المقدور، ابتعثه الله اتماماً لعلمه، وعزيمة على امضاء حكمه، فرأى الأمم فرقاً في اديانها، عكفاً على نيرانها عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأثار الله بمحمد ظلمها، وفرج عن القلوب شبهها، وجلا عن الابصار غممها، وعن الانفس عمهها^(٢).

ولكن هناك من طغى وتجبر وابتكر وما آمن بالوحي والرسالة طرفة عين، وقال انما هو الملك والزعامة تريد بنو هاشم ان تتفرد به من بيننا فتصدت قريش للنبي ﷺ ودعوته المباركة بكل ما لديها من امكانيات، فشنت حربها الباردة والساخنة النفسية والميدانية، وقالت عنه ﷺ انه ساحر ومجنون وكاهن وكذاب وانه سفه احلامنا وعاب آلهتنا وافسد شبابنا، وخاضت ضده الحروب ففشلت في كل ذلك ونصر الله دينه ونبيه واستسلم الكثير منهم خوفاً وطمعاً ونطق بالشهادتين وكتم الحقد الدفين على النبي وآله الطاهرين وتربصوا بالنبي ريب المنون، وتقمصوا الإسلام والإيمان وغايتهم الملك والسلطان وما آمنوا بالوحي والقرآن.

()

()

الملك أم النبوة

ومن أبرز المصاديق التي رفعت لواء هذه العقيدة بنوأمية حيث انهم اعلنوا عن عقيدتهم هذه ومارسوها بشتى الطرق والأساليب في حياة النبي ﷺ وفي مآته. ولنذكر شيئاً من هذا القبيل، من باب ائارة السبيل، ولا نحتاج إلى مزيد من التذليل. عندما استسلم ابو سفيان قال رسول الله ﷺ لعمة العباس: احبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله، ففعل ومرت عليه القبائل حتى مرّ رسول الله ﷺ في الخضراء، كتيبة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلاّ الحدق، فقال ابو سفيان: من هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقال هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار، فقال: يا أبا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيماً فقال العباس: ويحك إنها النبوة^(١).

ولما ولي عثمان الخلافة، دخل عليه ابو سفيان فقال: يا معشر بنى أمية ان الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طمعت فيها، وقد صارت إليكم فتلقفوها بينكم تلقف الكرة، فوالله ما من جنة ولا نار - هذا أو نحوه - فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك وفعل^(٢).

قال أبو سفيان في أيام عثمان، وقد مرّ بقبر حمزة، وضربه برجله: يا ابا عمارة ان الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا يتلعبون به^(٣).

وروى أبو الفرج الأموي بإسناده عن عبد الله بن الزبير قال: لما كان يوم اليرموك خلفني ابي، فأخذت فرسالة وخرجت، فرأيت جماعة من الخلفاء^(١) فيهم

() / / / /
 () / / / /
 () / / / /

ابو سفیان بن حرب فوقفت معهم ، فكانت الروم إذا هزمت المسلمين قال ابو سفیان : ايه بنى الأصفر ، فإذا كشفهم المسلمون قال ابو سفیان :

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

فلما فتح الله على المسلمين حدثت أبي فقال : قاتله الله ! يا بئى إلا نفاقاً أولسنا خيراً له من بنى الأصفر ، ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول الله ﷺ يقول : حدثهم ، فأحدثهم فيعجبون من نفاقه^(١).

ونحن نقول كما قال ابو الفرج : ولأبى سفیان أخبار من هذا الجنس كثيرة يطول ذكرها وفيما ذكرت منها مفتح.

اما معاوية فقد تابع خطوات أبى سفیان بنفس الصراحة والوقاحة ، فقد روى الزبير بن بكار في الموفقيات وهو غير متهم على معاوية ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة لما هو معلوم من حاله من مجانبه علي عليه السلام والانحراف عنه ، قال المطرف بن المغيرة بن شعبة دخلت مع أبى على معاوية وكان أبى يأتيه فيتحدث معه ثم ينصرف الي فيذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه. إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورايته مغتماً فانتظرت ساعة وظننت انه لأمر حدث فينا.

فقلت : مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال يا بني جئت من عند اكفر الناس واخبتهم ، قلت وما ذاك؟ قال : قلت له وقد خلوت به : انك قد بلغت سنأ يا امير المؤمنين فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فأناك قد كبرت ولو نظرت إلى اخوتك من بني هاشم فوصلت ارحامهم فوالله ما عند هم اليوم شي تخافه وان ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه.

()

() /

فقال: هيهات هيهات أي ذكر أرجو بقاءه، مَلِكٌ أخو تيم فعدل وفعل ما فعل
فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل أبو بكر.

ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره
إلا أن يقول قائل عمر.

وان ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات (اشهد ان محمداً رسول الله)
فأي عمل يبقى وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبالك، لا والله إلا دفناً دفناً^(١).

وروى الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سؤيد قال: صلى بنا معاوية
بالنخيلة الجمعة ثم خطبنا فقال: والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتزكوا ولا لتحجوا
انكم لتفعلون ذلك وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد اعطاني الله ذلك وانتم
كارهون^(٢).

وتاريخه مليء بالموبقات والرزائل، والتهتك والمهازل، وتنقله من باطل إلى
باطل، فواحدة من اعماله الشنيعة، تخرجه من الدين والشريعة كقتاله لأمام المتقين،
ويعسوب المؤمنين، علي امير المؤمنين، ولعنه له وسبه على منابر المسلمين، وانما
عمد إلى ذلك لعلمه بأقوال الرسول ﷺ في حق علي (عليه السلام): «من سب علياً فقد
سبني ومن سبني فقد سب الله» «من أذى علياً فقد أذاني»^(٣) وغيرها، فلا يستقيم
لهم ملكهم وسلطانهم بتوجيه السب واللعن مباشرة إلى سيد الانبياء والمرسلين فنحوا
هذا المنحى. وهذا كبيرة موبقة، بل نار محرقة، تهون عندها الزندقة.

()

()

()

أما يزيد بن معاوية الذي ورث البغض والشئان، والحقد والاضغان، عن أبيه وجده أبي سفيان، وظهر الكفر والفجور ومعاقرة الخمر وارتكب أبشع الجرائم من قتله لأولاد الأنبياء والصلحاء والأولياء وإباحته المدينة المنورة ثلاثة أيام ورميه الكعبة بالمنجنق وإحراقها^(١).

فقد باء بالخزي والعار وعذاب الملك الجبار بقتله سيد شباب أهل الجنة سبط رسول الله ﷺ واستهمل فرحاً مسروراً بأن أدرك ثارات شيوخه الذين قتلهم علي ﷺ يوم بدر.

يقول سبط ابن الجوزي: المشهور عن يزيد في جميع الروايات أنه لما حضر الرأس بين يديه جمع أهل الشام وجعل ينكث عليه بالخيزران ويقول أبيات ابن الزبيرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرن من ساداتها وعدلناه ببدر فاعتدل

قال الشعبي وزاد فيها يزيد فقال:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف ان لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل

قال مجاهد: نافق وقال الزهري: لما جاءت الرؤوس كان يزيد في منظره على جيرون فأشدد لنفسه:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت تلك الشموس على ربي جيرون

نعب الغراب فقلت صح أولاً تصح فلقد قضيت من الغريم ديوني^(١)

خسئت وخزيت يا بن آكلة الاكباد بل قضى عليك الحسين عليه السلام وعلى من شايحك وشايعته، فهذه مآتم الحسين ومجالسه في شرق الأرض وغربها. وهكذا حال كل من جاء وتصدى لخلافة المسلمين فقد أكد على نفي الوحي والتنزيل، وان بني هاشم جاءوا لأجل الملك.

فهذا خليع بني مروان قرأ ذات يوم (وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ❖ مَنْ وَرَأَاهُ جَهَنَّمَ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) (إبراهيم/ ١٥- ١٦) فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشاب وأقبل يرميه وهو يقول:

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد^(٢)

وذكر محمد بن يزيد المبرد النحوي أن الوليد أُلحد في شعر له ذكر فيه النبي صلى الله عليه وآله وان الوحي لم يأته عن ربه، كذب اخزاه الله، من ذلك الشعر:

تلعب بالخلافة هاشمي بلاوحي أتاه ولا كتاب
فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شرابي^(٣)

() :

/ / /

() / / /

() /

وإنما اشرنا لبعض هذه المآسي لأنها ثمرة جهود أولئك نفر أصحاب الصحيفة
 الملعونة الذين نفروا برسول الله دابته ليلة العقبة، وجحدوا النص والوصية، بعد ان
 استيقنتها أنفسهم الشقية، وابعدوا علياً خير البرية (وَأَلَّوْا اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ
 لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا) (الجن/١٦).

النبي صلى الله عليه وآله ينذر ويحذر

ان الله سبحانه وتعالى عندما وصف حبيبه ونبيه ﷺ في كتابه انه (شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) ❖ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) (الأحزاب/ ٤٥ - ٤٦) أراد تلك الصفات والمعاني التي تحملها هذه الكلمات المقدسة أرادة جادة (إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ) ❖ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (الطارق/ ١٣ - ١٤) واسماء النبي ﷺ وصفاته حقائق تتجلى في ذات النبي المقدسة في الحياة والممة وفي الدنيا والآخرة.

فالسراج يضيء الدرب لصاحبه ولا يتركه يتخبط تخبط عشواء ويتعثر في الليالي الظلماء وتتلاعب به الآراء والأهواء. فهو ﷺ السراج الرباني والنور الإلهي الذي كشف عن كل عقبة وعثرة وحفرة تواجه الانسان والإنسانية وتواجه الاسلام في مسيرته، وهو السراج الذي لا ينكفى ولا ينطفئ بل ينير الدنيا إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها، لأنه النور الذي كتب الله له الخلود وانه خاتم الانبياء والمرسلين، وانه النور الذي لا يحجبه المكان والزمان عن ارشاد اتباعه إلى الحق والصواب وازالة الشك والارتباب فهو الذي اخبر بضعته الزهراء بما يجري عليها من سراء وضراء وامتحان وبلاء فبكت وضحكت^(١).

وهو الذي أمر ابن عمه وولي عهده بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فخاض علي (عليه السلام) حرب الجمل وصفين والنهروان.

وهو الذي اخبر أم المؤمنين عائشة ان سوف تنبجها كلاب الحوآب وإنها سوف تركب جملاً يسمى عسكر^(١).

وهو الذي قال في عمار (تقتلك الفئة الباغية).

وهو الذي حذر الزبير من قتال علي بن أبي طالب^(٢). إلى غيرها من الإنذارات والتحذيرات التي يطول ذكرها، وما ذلك إلا للرحمة والشفقة والحرص والخلق العظيم الذي تتجلى في رسول الله ﷺ .

ومن ضمن هذه التحذيرات والإنذارات هو التحذير من بني أمية ومن لف لفهم ومن هو على شاكلتهم

يقول ابن أبي الحديد: وقد جاء في الأخبار الشائعة المستفيضة في كتب المحدثين ان رسول الله ﷺ أخبر ان بني أمية تملك الخلافة بعده، مع ذم منه لهم، نحو ما روى عنه ﷺ في تفسير قوله تعالى (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشُّجْرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) فإن المفسرين قالوا انه رأى بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، هذا لفظ رسول الله ﷺ الذي فسر لهم الآية به، فسأه ذلك ثم قال: الشجرة الملعونة بنو أمية وبنو المغيرة^(٣).

وقال: روى شيخنا أبو عبد الله البصري المتكلم عن نصر بن عاصم الليثي عن ابيه قال: أتيت مسجد رسول الله ﷺ والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله! فقلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبي سفيان

() / / / /

() / / / /

() /

/ / /

. /

فخرجنا من المسجد ، فقال رسول الله ﷺ (لعن الله التابع والمتبوع رب يوم لأمتي من معاوية ذي الإسته) قالوا : يعني الكبير العجز^(١) .

وروى نصر بن مزاحم عن علي بن الاقمر عن عبد الله بن عمر قال : وخرج من فجع فنظر رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه احدهما قائد والآخر سائق ، فلما نظر اليهم رسول الله ﷺ قال : (اللهم العن القائد والسائق والراكب)^(٢) .

وروى أبو الفرج الأموي بإسناده عن سفيان بن أبي ليلى في حوار له مع الإمام الحسن بن علي عليه السلام قال له : يا سفيان إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به ، وإنني سمعت علياً يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع لا ينظر الله اليه ، ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر ولا في الأرض ناصر وانه لمعاوية ، واني عرفت ان الله بالغ أمره^(٣) .

وروى نصر عن الحكم بن ظهير عن اسماعيل عن الحسن ، قال : وحدثنا الحكم ايضاً عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه » قال الحسن : فما فعلوا ولا فلهوا^(٤) .

وروى عن جعفر بن محمد قال : دخل زيد بن ارقم على معاوية ، فاذا عمرو بن العاص جالس معه على السرير ، فلما رأى ذلك زيد جاء حتى رمى بنفسه

()

()

()

()

بينهما، فقال له عمرو بن العاص: أما وجدت لك مجلساً إلا أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين؟ فقال زيد: إن رسول الله ﷺ غزا غزوة وانتما معه، فأكما مجتمعين فنظر اليكما نظراً شديداً، ثم رآكما اليوم الثاني واليوم الثالث كل ذلك يديم النظر اليكما، فقال في اليوم الثالث «إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرقوا بينهما، فإنهما لن يجتمعا على خير»^(١).

وفي كنز العمال ذكر هذه القضية لشداد بن أوس^(٢) وفي العقد الفريد لعبادة بن الصامت^(٣) والظاهر تكررها من قبل الصحابة.

وروى أحمد بن حنبل ونصر بن مزاحم وغيرهما عن أبي برزة الأسلمي يقول: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر وهو يقول:

لا يزال حوارى تلوح عظامه زوى الحرب عنه أن يجن فيقبرا

فقال النبي ﷺ انظروا من هما قال: فقالوا: معاوية وعمرو بن العاصي، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «اللهم اركسهما في الفتنة ركسا ودعهما إلى النار دعا»^(٤).

والواقع الخارجي أو سيرة هؤلاء خير دليل على ما اقترفوه وارتكبوه من ظلم وتعسف واضطهاد في حق أهل البيت ﷺ والصحابة والتابعين، ومع ذلك استطاع الجهاز الحاكم من شراء الضمائر الرخيصة لتجميل تاريخهم المشوه فاصطنعوا

()

. / ()

. / ()

. / ()

الفضائل وسكتوا عن الرذائل، فضاعت الحقيقة على أهل البلاد والتقليد، وكنتمها آخرون خوفاً من القتل والتباعد.

سؤال محرج

اذن كيف وصل هؤلاء إلى الحكم؟ ومن الذي جاء بهم وفسح لهم المجال؟
نقول: على القارئ ان يتعرف على الجواب بنفسه وكيف وصل معاوية إلى الحكم ومن الذي ولاه أمور المسلمين.

فمعرفة هذا السؤال تغنينا عن الجدال والتعرض لأولئك الرجال، الذين مهدوا لملك بني أمية، وامكنوهم من الحكم على الرعية، وذلّلوا لهم الصعاب ومدوا لهم الأسباب، بعد ان كانوا اذئاباً. وعملوا على خلاف وصية الرسول ﷺ إذ أخرجوا العترة الطاهرة، وقدموا الزمرة الخاسرة:

ما خلت ان الدهر من عاداته	تروى الكلاب به ويظمى الضيغم
ويقدم الأموي وهو مؤخر	ويؤخر العلوي وهو مقدم
مثل ابن فاطمة بيت مشردا	ويزيد في لذاته متنعّم

وهذا ابن أبي الحديد قد أجرى الله كلمة الحق على لسانه حيث يقول: ان هيبة الرسالة والنبوة في صدور الناس اعظم إذا كان السلطان والحاكم في الخلق من بيت النبوة، وليس يوجد مثل هذه الهيئة والجلال في نفوس الناس للنبوة إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدعوة ﷺ^(١).

علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

هذا ما كتب فيه الكتاب وألف فيه المؤلفون منذ القرن الأول للهجرة والى يومنا هذا فمئات الكتب بل الآلاف تناولت هذا الموضوع وكتبت فيه فلا تجد رجلاً في الدنيا كتبت الناس فيه وألفت بهذه الكثرة الكاثرة الا في ابن عمه وأخيه المصطفى عليه السلام ، وكل يشعر انه ما أدى حق فضيلة من فضائله أو صفة من صفاته.

فما عسى ان أقول في رجل به بدأ النبي وبه ختم ، قرن اسمه باسمه في أول بيان له وذلك حين خاطبه الجليل (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)^(١).

فحذرهم وانذرهم أكثر من مرة وفي كل ذلك لم يستجب له إلا علي عليه السلام فعندها قال عليه السلام «هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا»^(٢) وانتقل وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ إلى الرفيق الأعلى ولسانه رطب بذكر علي وأهل بيته ، وما بين البدء والختام ايام واعوام حافلة مألئى بكلمات الوحي والنبي في حق علي عليه السلام فما من حدث مصيري مَرَّ على الأمة إلا ولعلي فيه منقبة أو فضيلة ، وكما قال هو عليه السلام : «وقد علمتم موضع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه ، وكان يوضع الشيء ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل».

() () / /

/

/

/

ولقد قرن الله به ﷺ من لدن كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم، ليله ونهار.

ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يُجاورُ سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يؤمئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة^(١).

فهو باب مدينة العلم والوحي والرسالة وهو وحده القائل (سلوني قبل ان تفقدوني)^(٢) ولعله لهذا وذاك كره بعضهم تدوين الحديث فمنع من ذلك وفرض رقابة شديدة واتبع سياسة الترهيب والترغيب والتقريب والتغريب خوفاً من ان يجرفهم سيل الفضائل والمناقب لعلي بن أبي طالب ﷺ.

() /

() / / / /

علي عليه السلام والمناوؤن

ومع وجود هذا الرصيد الضخم، والكم الهائل من التأييد والدعم، إلا أن نفوساً زين الشيطان أعمالها، فتشبهت به في أفكارها وأفعالها، أبت السجود والتسليم وعصت الرسول الكريم، واتخذت إليها هواها، وتاهت في غيها وعمهها فهذا النضر أو الحارث بن النعمان الفهرى وبعد أن تمت بيعة الغدير وتوج رسول الله ﷺ ولي عهده بتاج الولاية، جاء إلى رسول الله فقال: أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وإنك رسول الله، وأمرتنا بالجهد والحج والصلوة والزكاة فقبلناها منك، ثم لم ترض حتى فضلت علينا ابن عمك الله أمرك أم من عندك؟ فقال ﷺ: والذي لا إله إلا هو انه من عند الله.

فولى وهو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فرماه الله بحجر على رأسه فقتله فأنزل الله تعالى (سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) (المعارج/١)^(١)

وفي رأيي أن هذا الأحمق وإن كان من المعاندين لكنه يملك الجرأة والشجاعة أو التهور والبشاعة باعتراضه على صاحب الحوض والشفاعة، بخلاف من تربص بالنبي ريب المنون، وظهر له النصر والعون، ثم هم لتراثه ينتهبون.

() / / / / /

وانه فهم من كلمة المولى او الولي ولاية العهد والخلافة والسلطان الأعظم ولم يخطر بباله ان لهذه الكلمة عشرة معان أو اكثر كالمحب والناصر والصديق كما تجب في ذلك العميان من أهل اللف والدوران.

ووافقه رسول الله ﷺ على فهمه حيث أجابه ان هذا التنصيب والتتويج من قبل الله سبحانه وتعالى وكذلك الله حيث انزل عليه العذاب وأخذه على عناده وعصيانه.

ولكن من تأخر من المعاندين لا يتوافق مع الله ورسوله وله اجتهادات في معنى كلمة المولى والولي.

ونحن نقول ان هذه الكلمة حتى لو كان لها ألف معنى فالمتعين هنا هو ما فهمه هذا الرجل للقرائن القطعية الحالية المقامية او القولية.

ومن المؤسف ان التاريخ يحدثنا بمثل هذه الكراهة والمناوأة عن بعض الصحابة أو الصحابيات، طبعاً مع الفارق الكبير. مثلاً.

ان ام المؤمنين عائشة لما انتهت إلى سرف راجعة في طريقها إلى مكة، لقيها عبد بن ام كلاب فقالت له ما عندك؟ قال: قتل عثمان، قالت ثم ماذا؟ قال: اخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز، اجتمعوا على علي بن أبي طالب فقالت: والله ليت هذه انطبقت على هذه ان تم الأمر لصاحبك. وعن أبي مخنف: لوددت ان السماء انطبقت على الأرض ان تم هذا^(١).

وفي رواية عنها في مرض رسول الله (تقول: فدعا نساءه فاستأذنه ان يمرض في بيتي فأذن له، فخرج رسول الله بين رجلين من أهله: احدهما الفضل بن العباس ورجل آخر تخط قدماه الارض عاصباً رأسه حتى دخل بيتي.

() / / /

قال عبيد الله: فحدثت هذا الحديث عنها عبد الله بن عباس، فقال: هل تدري من الرجل؟ قلت: لا قال: علي بن أبي طالب، ولكنها كانت لا تقدر على ان تذكره بخير وهي تستطيع^(١).

وروى الطبري وابن سعد وابو الفرج وابن الاثير: لما انتهى إلى عائشة قتل علي قالت: عليه السلام

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرَّ عيناً بالاياب المسافرُ

فمن قتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فان يك نائياً فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب

فقالت لها زينب ابنة أبي سلمة: ألعلي تقولين هذا؟! فقالت: أنى أنسى فإذا نسيت فذكروني^(٢).

وقادت مع طلحة والزبير حرب الجمل في البصرة ضد علي بن أبي طالب عليه السلام. وبلغت الكراهة ببعضهم انه لا يتحمل سماع اسم علي او كنيته فقد روى الطبري وابن الاثير في احداث سنة ثمانى عشرة ومائة: وفي هذه السنة مات علي بن عبد الله بن عباس، وكان موته بالحميمة من ارض الشام وهو ابن سبع أو ثمان وسبعين سنة، وقيل إنه ولد في الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب، فسماه ابوه علياً وقال: سميته باسم احب الناس الي، وكناه أبا الحسن، فلما قدم على عبد الملك بن مروان اكرمه واجلسه معه على سريره وسأله عن كنيته فأخبره فقال: لا

() / / /
() / / /

يجتمع في عسكري هذا الاسم والكنية لأحد، وسأله: هل ولد لك ولد؟ قال: نعم وقد سميته محمداً قال: فأنت أبو محمد^(١).

وصدق الله العلي العظيم حيث يقول (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) وصدق رسوله الكريم حيث يقول «علي مع الحق والحق مع علي» وقد أعرب عن هذه الكراهية بعضهم بقوله: ان قريش كرهت ان تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد. وما الذي نعموا من أبي الحسن، نعموا والله منه نكير سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله^(٢).

يقول ابو الفرج الاموي: قال المدائني في خبره: واخبرني ابن شهاب بن عبد الله قال: قال لي خالد بن عبد الله القسري:

اكتب لي النسب فبدأت بنسب مضر فمكثت فيه أياماً، ثم أتيت فقل ما صنعت؟ فقلت: بدأت بنسب مضر وما اتمته. فقال: اقطعه قطعه الله مع اصولهم واكتب لي السيرة، فقلت له: فانه يمر بي الشيء من سير علي بن أبي طالب فأذكره، فقال:

لا إلا ان تراه في قعر الجحيم^(٣).

فعلى ما ذكرنا وقد منا أيها القارئ وهو نزر يسير من الكراهة والمناءة لأهل البيت عليهم السلام اذا رأيت منقبة أو فضيلة أو مما يشير إلى أحقيتهم ومظلوميتهم في كتب القوم ومصادرهم، فأعلم أنها كانت في غاية الاشتهار والانتشار ولو كان ثمت مجال لا خفائها لأخفوها.

() / /
()
()

ومن هذا الباب المناشدة أو المناشدات التي ناشد بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام القوم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وانتقاله إلى رضوان الله، وذكرهم بحقه الذي جعله الله ورسوله من الامامة والولاية والخلافة.

حقاً إنها معجزة

المناشدة التي نحن في صددنا تعتبر واحدة من معاجز الرسول وأهل بيته ، حيث حفظها الله في كتب القوم ومصادرهم ، وما اشبهها بقصة موسى (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) وما أشبه كتبهم وأصحابها ببلعم بن باعوراء وحمارته إذا انطقها الله بالحق فابى بلعم واخلد إلى الارض واتبع هواه .

أجل معجزة الرسول الخالدة الثقلان كتاب الله وعترته اهل بيته ، فكما ان المشركين والكفرة عجزوا عن مواجهة القرآن (الثقل الاكبر) وحرصوا على ان لا يسمعه اهل مكة واذا به يقرع أسماع ملوك الأرض فتهاووا وتهاوت عروشهم .

فكذلك حرص الانتهازيون الذين استسلموا من اجل الملك والسلطان على ابعاد الثقل الأصغر (أهل البيت) والقضاء عليهم وعلى شيعتهم ، فقد انتقل الرسول ﷺ الى الرفيق الأعلى وشيعة علي ﷺ بعدد الاصابع وهاهم اليوم نصف الامة الاسلامية وسوف يملكون الأرض كما وعدهم الله (وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) (القصص/٥) تحت راية إمامهم الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله فرجه الذي يملى الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً .

حقاً انها معجزة ان تحفظ كلمات ومناشدات العترة الطاهرة في كتب من خالفهم ، كما حفظ الله الذكر وآياته ، فما اشبه كتاب الله بعتره النبي وما اشبه عترة النبي بكتاب الله ، أجل ليس جزافاً واعتباطاً ان يكون التمسك بهما معاً عاصماً من

الضلال والانحراف كما اوجب واشترط ذلك نبي الرحمة ﷺ بقوله: «ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا»^(١).

()

: :
/ / /
) ﷺ
{ }

« »

:

ﷺ

-

ﷺ

:

:

ﷺ

أسباب المناشدة

مات الرسول ﷺ أو قتل فانقلب الناس على اعقابهم حيث حكم الجاهلية وسننها وكرهوا حكم الله ورسوله في شأن الخلافة والامامة، واعتذروا فيما بعد بقولهم (ان قریش کرهت ان تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد)^(١). اجتمع أصحاب الانقلاب في سقيفة بني ساعدة واختاروا خليفة ووقعت الفلته كما وصفها بعضهم، ووصي رسول الله وولي عهده علي بن أبي طالب مع أهل بيته وبنى هاشم في مصابهم الجلل الفادح آخذون في جهاز رسول الله ﷺ من الغسل والتكفين، وهم على هذه الحال إذ بلغهم اتفاق القوم وما ابرموا، فأنف ابن عم المصطفى حينها من ان يترك جسد النبي ولم يكن هذا في الحسبان والخاطر كما قال بعضهم:

ما كنت احسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس اول من صلى لقبلكم واعلم الناس بالقرآن والسنن^(١)

وعندما تحرك سلام الله عليه مطالباً بحقه المجمعول من قبل الله ورسوله أبى عليه القوم وكذبوه ، فصبر لأجل المصلحة العليا والحديث كله آهات وشجون واليك اخصر واقصر صورة أخرجها البخاري في صحيحه بعد ما هذبا ورمها على طريقته ، بإسناده عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ ان رسول الله ﷺ مات وابو بكر بالسنح فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله قالت : وقال عمر : والله ما كان يقع في نفسي الا ذاك وليبعثه الله ، فليقطعن ايدي رجال وارجلهم ، فجاء ابو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله قال : بابي انت وامي طبت حيا وميتا ، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتين ابدا ، ثم خرج فقال : ايها الخالف على رسلك ، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر .

فحمد الله ابو بكر واثى عليه وقال : الا من كان يعبد محمداً ﷺ فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . وقال (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) وقال : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) ^(١٤٤) قال : فنشج الناس ليكون قال : واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بنى ساعدة ، فقالوا : منا امير ومنكم امير ، فذهب اليهم ابو بكر وعمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فاسكته ابو بكر ، وكان عمر يقول : والله ما اردت بذلك الا اني قد هيأت كلاما قد اعجبنى خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ثم تكلم ابو بكر فتكلم ابلغ الناس ، فقال في كلامه : نحن الأمراء وانتم الوزراء فقال حباب بن المنذر : لا والله لانفعل منا امير ومنكم امير فقال ابو بكر : لا ولكننا الامراء وانتم الوزراء هم اوسط العرب داراً واعربهم احساباً فبايعوا عمر أو

اباعبيدة، فقال عمر: بل نبايعك انت فأنت سيدنا وخيرنا واحبنا إلى رسول الله ﷺ
فاخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس فقال قائل: قتلت سعد بن عباد، فقال عمر:
قتله الله^(١).

ومع هذا التهذيب والترتيب فانك ترى ملامح الهلع والطمع والجشع طافحة،
وأثار النهب والسلب والغضب واضحة، وأساليب التكتم والتعتيم والاستخفاء
لائحة، وكان نزول هذه الآيات فيهم (فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ❖ أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْبًا إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ❖ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ❖ أَنْ لَأ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ❖
وَغَدُوا عَلَيَّ حَرْبًا قَادِرِينَ) (القلم: ٢١-٢٥).

وحديث السقيفة هو أشهر حدث عرفته الامة الاسلامية حيث جعلها فرقتين،
علي وشيعته الذين يعتقدون ان الامامة بالنص والجعل الالهي، واصحاب السقيفة
الذين لا يرون ذلك وان الملك لمن غلب، فعندما تقمص هؤلاء الخلافة احتج علي
واهل بيته وشيعته على ان عليا ولي الامر والعهد بعد النبي ﷺ، وكان هذا
الاحتجاج على شكل مناشدات وخطب ومحاورات وامتناع واعتزال واساليب
وطرق شتى مذكورة في مصادر الفريقين، الا ان ما ذكرته العامة على طريقة
(تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) ومع ذلك في ما ابدوه كفاية لاهل النهي
والدراية، ونحن نقتصر على بعض ما ذكروه في مصادرهم ونبدأ ببعض احتجاجات
علي ﷺ.

يقول ابن قتية: ثم ان علياً كرم الله وجهه أتني به إلى أبي بكر وهو يقول: أنا
عبد الله وأخو رسوله، فقيل له بايع أبا بكر، فقال: انا أحق بهذا الأمر منكم، لا

أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الامر من الأنصار ، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي صلى الله عليه وسلم ، وتأخذونه منا أهل البيت أستم زعمتم للانصار أنكم أولى بهذا الامر منهم لمكان محمد منكم ، فأعطوكم المقادة ، وسلموا اليكم الامارة ، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الانصار نحن أولى برسول الله حيا وميتاً فأنصفونا^(١) ان كنتم تؤمنون والا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون فقال له عمر : انك لست متروكاً حتى تباع ، فقال له علي : احلب حلباً لك شطره ، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً. ثم قال : والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه. فقال له أبوبكر : فان لم تباع فلا أكرهك ، فقال أبو عبيدة بن الجراح لعلي كرم الله وجهه : يا بن عم إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ، ومعرفتهم بالأمر ، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك ، وأشد احتمالاً واضطلاعاً به ، فسلم لأبي بكر هذا الامر ، فانك ان تعش ويطل^(٢) بك بقاء ، فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق ، في فضلك^(٣) ودينك ، وعلمك وفهمك ، وسابقتك ونسبك وصهرك. فقال علي كرم الله وجهه : الله الله يا معشر المهاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته ، إلى دوركم وقعور بيوتكم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين ، لنحن أحق الناس به. لأننا أهل البيت ، ونحن أحق بهذا الامر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضطلع بأمر الرعية ، المدافع عنهم الامور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية ، والله إنه لفينا ، فلا

() :

() :

() :

تبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحق بعداً. فقال بشير بن سعد الانصاري: لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر، ما اختلف عليك اثنان^(١) قال:

وخرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على دابة ليلاً في مجالس الانصار تسألهم النصره، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق الينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي كرم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه؟! فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن الا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيهم وطالبهم^(٢).

وفي حمل علي امير المؤمنين فاطمة سيدة نساء العالمين وسؤاله النصره من الانصار والمهاجرين يقول معاوية بن أبي سفيان: وأعهدك أمس تحمل قعيده بيتك ليلا على حمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع ابو بكر الصديق، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق الادعوتهم إلى نفسك، ومشيت اليهم بامرأتك، وأدليت اليهم بابنيك واستنصرتهم على صاحب رسول الله، فلم يجبك منهم الا أربعة أو خمسة، ولعمري لو كنت محقا لأجابوك، ولكنك ادعيت باطلا، وقلت ما لا تعرف، ورُمت ما لا يدرك^(٣).

أقول: ان هذا الطليق وابن الطليق وابن آكلة الاكباد لا يدرك اسرار هذا الاحتجاج وبهذه الهيئة حيث علي وفاطمة والحسن والحسين، إنها صورة ثانية ليوم

()

()

() / .

المباهلة بل هي بعينها إذ أخذ النبي ﷺ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين فنكص المباهلون من النصارى على اعقابهم وكانت كلمه الله والاسلام هي العلياً، أراد علي ﷺ ان يعيد إلى الاذهان آية التطهير حيث جمعهم النبي ﷺ وهو معهم تحت الكساء وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي، اراد علي ﷺ ان يقول ان هؤلاء اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، عملوا بتكليفهم وامتلوا أمر ربهم عندما وقفوا الى جانب علي ﷺ ولم يكن وقوفهم بدافع القربى والعصبية فأنهم يغضبون لله لا للرحم، أراد ان يقول للجميع من كان حاضراً آنذاك ومن سيأتي انه لم يكن هناك امضاء وقبول من قبل اهل العصمة والطهارة لما أبرم في سقيفة بني ساعدة، فان فاطمة بضعة الرسول التي يرضي الله لرضاها ويغضب لغضبها ساخطة غضبي وسيدا شباب اهل الجنة الحسن والحسين ساخطان، وانا من قد عرفتم «علي مع الحق والحق مع علي» ظلمني القوم ودفعوني عن مقامي المجمعول من قبل الله ورسوله.

ولكن أنى لمعاوية ابن آكلة الاكباد ان يفقه سراً من هذه الاسرار.

ومن احتجاجه ﷺ ما جاء في خطبة له يقول: اما بعد فانه لما قبض الله نبيه ﷺ قلنا: نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذ أنبرى لنا قومنا فغضبونا سلطان نبينا، فصارت الامرة لغيرنا وصرنا سوقة، يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل، فبكت الأعين منا لذلك، وخشنت الصدور وجزعت النفوس، وايم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وان يعود الكفر ويبور الدين لكنا على غير ما كنا لهم عليه^(١).

ومنها قوله من خطبة له (عليه السلام) : حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الاعقاب ، وغالتهم السبل واتكلوا على الولاة ، ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب الذي أمروا بمودته ، ونقلوا البناء عن رص أساسه فبنوه في غير موضعه . معادن كل خطيئة ، وابواب كل ضارب في غمرة ، قد ماروا في الحيرة ، وذهلوا في السكره ، على سنة من آل فرعون ، من منقطع إلى الدنيا راكن ، أو مفارق للدين مباين^(١) .

وجاء في الخطبة الشفشقية قوله : أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحا ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير إلى ان يقول : فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا .

وعند ما قالت الأنصار يوم السقيفة منا أمير ومنكم أمير ، قال (عليه السلام) فهلا احتججتم عليهم بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصى بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ،

قالوا : وما في هذا من الحجة عليهم ؟

فقال (عليه السلام) : لو كانت الامامة فيهم لم تكن الوصية بهم . ثم قال (عليه السلام) وماذا قالت قريش ؟

قالوا : احتجت بأنها شجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال (عليه السلام) احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة (٢) .

ومنها قوله (عليه السلام) : وقد قال قائل : انك على هذا الامر يا بن أبي طالب حريص ؛ فقلت : بل انتم والله لا حرص وابعد ، وانا اخص واقرب ، وانما طلبت حقالي

() : / .

() : / .

وانتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه، فلما قرعته بالحجة في الملاء الحاضرين، هب كأنه بهت لا يدري ما يجيبني به، اللهم إني استعديك على قريش ومن اعانهم، فانهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، واجمعوا على منازعتي أمراً هو لي ثم قالوا: الا إن في الحق ان تأخذه وفي الحق ان تتركه^(١).

ومنها في كتاب له عليه السلام بعثه إلى اهل مصر مع مالك الاشر لما ولاه امارتها يقول فيه: اما بعد فان الله سبحانه بعث محمداً عليه السلام نذيراً للعالمين ومهيماً على المرسلين، فلما مضى عليه السلام، تنازع المسلمون الامر من بعده، فوالله ما كان يلقي في روعي ولا يخطر ببالي ان العرب تزعج هذا الامر من بعده عليه السلام عن اهل بيته، ولا انهم منحوه عني من بعده، فما راعني الا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فامسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمد عليه السلام، فخشيت ان لم انصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به علي اعظم من فوت ولايتكم^(٢).

وهناك الكثير الصريح مما رواه أئمة اهل البيت تجده في مصادر شيعتهم كخطبة الوسيلة التي القاها سلام الله عليه في المسجد بعد وفاة رسول الله بسبعة ايام وكتاب سليم بن قيس الهلالي وكتاب الاحتجاج للطبرسي والخصال للشيخ الصدوق والأمالى للشيخ الطوسي وبحار الانوار ج ٢٩ ص ٣ وج ٣١ ص ٣١٥ ونحن نكتفي بما ذكرناه من كتب القوم.

() : / .

() : / .

احتجاج الزهراء عليها السلام

روى أبو بكر الجوهري في كتابه (السقيفة) واحمد بن أبي طيغور في كتابه بلاغات النساء والكلام للأخير: لما مرضت فاطمة (عليها السلام) المرضة التي توفيت بها دخل النساء عليها فقلن كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله؟ قالت: أصبحت والله عانفةً لدنيا كم قالية لرجالكم لفظتهم بعد ان عجمتهم وشنتهم بعد ان سبرتهم فقبحاً لفلول الحد وخور القنا وخطل الرأي وبئسما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم لقد قلدتهم ربقتهما وشتت عليهن غارتهما فجداً وعقراً وبعداً للقوم الظالمين، ويجهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الامين الطين^(١) بأمر الدنيا والدين! ألا ذلك هو الخسران المبين.

وما الذي نقموا من أبي الحسن، نقموا والله منه نكير سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله، وتالله لو تكافئوا على زمام نبذه رسول الله ﷺ لسار بهم سيراً سجحاً لا يكلم خشاشه ولا يتعتع راكبه ولأوردهم منهلاً روي فضفاضاً تطفح ضفته وأصدرهم بطاناً قد تحرى بهم الري غير متحل منهم بطائل بعمله الباهر وردعه سورة الساعب ولفتحت عليهم بركات من السماء وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون ألاهل من فأسمعن وما عشتن أراكن الدهر عجباً، إلى أي لجأوا واسندوا وبأي عروة تمسكوا ولبئس المولى ولبئس العشير، استبدلوا والله الذنابي بالقوادم والعجز بالكاهل فرغماً لمعاطس قوم (يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

المُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) وَيَجْهَمُ (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا
يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (يونس/٣٥) (١).

احتجاج ابن عباس

الطبري في التاريخ عن ابن عباس، قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر، فقال بعضهم: فلان أشعر؛ وقال بعضهم: بل فلان أشعر، قال: فأقبلت، فقال عمر: قد جاءكم أعلم الناس بها، فقال عمر: من شاعر الشعراء يا ابن عباس؟ قال: فقلت: زهير بن أبي سلمى، فقال عمر: هلم من شعره ما نستدل به على ما ذكرت؛ فقلت: امتدح قوما من بنى عبد الله بن غطفان، فقال:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا^(١)
 قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
 إنس اذا أمنوا، جن إذا فزعوا مرزءون بها ليل إذا حشدوا
 محسّدون على ما كان من نعم لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال عمر: أحسن؛ وما أعلم أحداً أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بنى هاشم! الفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابتهم منه، فقلت: وفتت يا أمير المؤمنين، ولم تزل موفقا، فقال: يا ابن عباس، أتدري ما منع قومكم منهم بعد محمد؟ فكرهت أن أجيبه، فقلت: ان لم أكن أدري فأمر المؤمنين يديريني، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، فتبجحوا^(٢) على قومكم بجحاً بجحاً، فاخترت قريش لانفسها فأصابت ووفقت. فقلت: يا أمير المؤمنين، ان تأذن لي في

()

() :

الكلام، وتمط عنى الغضب تكلمت فقال: تكلم يا بن عباس، فقلت أما قولك يا أمير المؤمنين: اختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت، فلو أن قريشاً اختارت لانفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود وأما قولك: إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال: **(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)** (محمد: ٩).

فقال عمر: هيهات والله يا بن عباس! قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أفرك^(١) عنها، فتزيل^(٢) منزلتك مني؛ فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أَمَاط الباطل عن نفسه، فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً أو ظلماً! فقلت قولك يا أمير المؤمنين: ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك: حسداً، فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون، فقال عمر: هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً ما يحول وضغناً وغشاً ما يزول فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش، فإن قلب رسول الله ﷺ من قلوب بني هاشم.

فقال عمر: اليك عني يا بن عباس فقلت: أفعل، فلما ذهبت لأقوم استحيا مني فقال: يا بن عباس مكانك فوالله إني لراع لحقك محب لما سرك، فقلت: يا أمير المؤمنين إن لي عليك حقاً وعلى كل مسلم، فمن حفظه فحظه أصاب ومن أضاعه فحظه أخطأ ثم قام فمضى^(٣).

() : () .

() : () .

() /

() /

وروى ابو بكر الجوهري والزيبر بن بكار عن عبد الله بن عباس قال: إني لأماشي عمر بن الخطاب في سكة من سكك المدينة، إذ قال لي: يا بن عباس، ما ارى صاحبك الا مظلوماً، فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلت: يا امير المؤمنين فاردد اليه ظلامته، فانتزع يده من يدي ومضى يهيمهم ساعة ثم وقف فلحقته، فقال: يا بن عباس ما أظنهم منعهم منه الا أنه استصغره قومه! فقلت في نفسي: هذه شرٌ من الأولى! فقلت والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه ان يأخذ براءة من صاحبك فأعرض عني واسرع، فرجعت عنه^(١).

واخرج احمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسنداً عن ابن عباس رضي الله عنه قال: دخلت على عمر في أول خلافته وقد أُلقي له صاع من تمر على خصفة فدعاني إلى الاكل، فاكلت ثمرة واحدة، واقبل يأكل حتى أتى عليه، ثم شرب من جر كان عنده واستلقى على مرفقة له، وطفق يحمد الله يكرر ذلك، ثم قال: من اين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد قال: كيف خلفت ابن عمك؟ فظننت يعني عبد الله بن جعفر قلت خلفته يلعب مع اترابه، قال: لم أعن ذلك إنما عنيت عظيمكم أهل البيت قلت: خلفته يمتح بالغرب على نُخيلات لفلان وهو يقرأ القرآن، قال: يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتها هل بقي في نفسه شي من أمر الخلافة؟ قلت: نعم قال أيزعم ان رسول الله ﷺ نص عليه؟ قلت نعم وازيدك سألت أبي عما يدعيه فقال: صدق، فقال عمر: لقد كان من رسول الله ﷺ في أمره دُرؤٌ من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذرا ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد ﷺ في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك اشفاقاً وحيطة على الاسلام، لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه

العرب من اقطارها فعلم رسول الله ﷺ أنني علمت ما في نفسه فأمسك ، و ابى الله إلا امضاء ما حتم^(١) .

وهناك احتجاجات لأهل البيت عليهم السلام وبعض شيعتهم لعننا نوفق لذكرها فيما بعد. ولنرجع إلى ما نحن في صدده وهي مناقشة امير المؤمنين علي بن أبي طالب لأصحاب الشورى ومن حضرهم يومذاك وكما قلنا فقد رواها الفريقان شيعة أهل البيت (عليهم السلام)^(٢) ومخالفوهم ، فممن رواها من المخالفين أو اشار إلى موضع الشاهد منها لكلامه

١. الحافظ الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ففي الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢٦ قال: اخرج الدارقطني ان عليا قال للسته الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته: انشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ يا علي انت قسيم الجنة والنار يوم القيامة غيري؟ قالوا: اللهم لا.
وفي ص ١٥٦ قال: أخرج الدارقطني ان عليا يوم الشورى احتج على اهلها فقال لهم:)



() / .

()

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-



: (الحديث.

٢. الامام ابو عمر القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ في كتابه الاستيعاب المطبوع بهامش الاصابة ج ٣ ص ٣٥ قال : حدثنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم ، حدثنا أحمد بن زهير قال : حدثنا عمر وبن حماد القناد ، حدثنا اسحاق بن ابراهيم الازدي عن معروف بن خربوذ عن زياد بن المنذر ، عن سعيد بن محمد الازدي عن أبي الطفيل قال : لما احتضر عمر جعلها شورى بين علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد فقال لهم علي : أنشدكم الله هل فيكم أحد آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بينه وبينه إذ آخى بين المسلمين غيري؟ قالوا: اللهم لا
٣. الفقيه ابن المغازلي الشافعي المتوفى سنة ٤٨٣ هـ في كتابه مناقب الامام علي بن ابي طالب سوف نتعرض لها بتمامها ان شاء الله.
٤. الحافظ الموفق بن احمد الحنفي الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٨ هـ في كتابه مناقب امير المؤمنين.
٥. الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧٣ هـ في ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق.
٦. ابن ابي الحديد المعتزلي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ في شرحه نهج البلاغة.
٧. الحافظ الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨ هـ في كفاية الطالب.
٨. المحدث الجويني المتوفى سنة ٧٣٠ هـ في كتابه فوائد السمطين.
٩. المتقي الهندي المتوفى سنة ٩٧٥ هـ في كنز العمال ج ٥/٢٨٨.

شنشنة اعرفها من أخزم

ان البخاري لما روى المناشدة عن زافر عن الحارث بن محمد عن أبي الطفيل قال: لم يتابع عليه

أقول: ان البخاري لم يرو رواية واحدة عن الامام الصادق عليه السلام الذي سارت بعلمه الركبان وعم فضله البلدان، ويروى عن الناكثين والقاسطين والمارقين الذين جرحهم وذمهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقيادة الجمل أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير وقادة صفين معاوية بن هند آكلة الاكباد ابن أبي سفيان وعمر وبن العاص بن النابغة وابن الأبتري، الذين خرجوا على امام زمانهم وحاربوه وأراقوا دماء الألوفا مأجورون لأنهم مجتهدون متأولون وهكذا الورع عبد الله بن عمر الذي ترك بيعة علي بن ابي طالب عليه السلام تورعاً كما زعم وسارع لبيعة الحجاج لانه سمع رسول الله يقول: «من بات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» ويروي عن الخوارج المارقين كعمران بن حطان وغيره.

فكل هؤلاء يعدلهم البخاري وغيره ويصحح الرواية عنهم، ولا يضر تجريح النبي صلى الله عليه وآله لهذه الطوائف الثلاثة لان مرجح العدالة وهو مخالفتهم لعلي عليه السلام أقوى. وهاك كلام أحد معاصرنا في عصر الذرة والكمبيوتر في مقدمة له على الصواعق المحرقة لابن حجر تحت عنوان تعديل الصحابة بعد ان أنكر على الشيعة قولهم بعصمة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ثم أوجبها هو لجميع الصحابة من حيث يشعر أولاً يشعر قال:

ومن هؤلاء الصحابة ساداتنا معاوية بن أبي سفيان وعمر وبن العاص والمغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب والوليد بن عقبة ممن كان مع معاوية أو رضي بالتحكيم،

وانهم جميعاً أهل للأقتداء بهم وأهل للرواية تقبل أخبارهم في اعلى درجات القبول ، وتوزن اعمالهم بميزان الورع والاحسان وعلى هذه العقيدة المحدثون من الامة وفي مقدمتهم الشيخان البخاري ومسلم وجمهور علماء الأصول والمتكلمين والفقهاء....

أقول : ان كلام الاستاذ المساعد بكلية اصول الدين بجامعة الازهر لا يختلف عن فعل عمر وبن العاص عندما كشف عورته يوم صفين ولا يختلف عن صلاة الوليد بن عقبة سكرانا وتقيئه في المحراب.

فهؤلاء الذين ذكرهم الاستاذ دينهم بغض علي عليه السلام وسبه ولعنه وتجريح النبي صلى الله عليه وسلم لأعداء علي عليه السلام ومبغضيه ومن آذاه لاشك ولا ريب في ثبوته فكان عليه ان يتحرى الحقيقة ويترك الجمود والتقليد.

وعندما تكلم هذا الاستاذ عن الشيعة ورجالهم قال : وهم ينقلون عن أئمتهم بواسطة أبان بن تغلب وبيان بن سمعان الجزري ومحمد بن زياد الازدي^(١) وابراهيم بن مسلم الطحان وزرارة بن أعين وغيرهم من أهل الأهواء والوضاعيين ممن ذكرهم بهاء الدين العاملي ودافع عنهم بغير انصاف ، وكان لخلط هؤلاء في كتبهم ومزجها بمذاهب المعتزلة الأثر البعيد في انتشار الإلحاد والإباحة.

ولا يخفى على أهل الفن مراد الاستاذ من وصفه اياهم بالوضع والاحاد والاباحة فهو مراد سلفه حيث وصفوا رجال الشيعة بأنهم اهل بدع وزندقة وروافض يقولون بتقدم علي عليه السلام على عثمان وعلى الشيخين وانهم يقولون بالرجعة فكل هذه الأوصاف والنعوت استحقها هؤلاء الأبرار لتمسكهم بولاية علي عليه السلام وابناءه الاطهار وكفرهم بالجبت والطاغوت.

وإذ عرفنا الضابطة والمعيار في الجرح والتعديل عند القوم فلا يضر زافراً وغيره
من روى المناشدة مثل هذا الهباء في ليلة ظلماء.

ثم ان زافرا قد وثقه أحمد وابن معين، وقال ابو داود: ثقة كان رجلاً صالحاً
وقال ابوحاتم: محله الصدق وقد اخرج حديثه الترمذي في جامعه والنسائي في
عمل اليوم والليلة، وابن ماجه في سننه على ما في تهذيب التهذيب^(١).

ويقول المتقي الهندي في كنز العمال: ان ابن حجر قال في اماليه: ان زافراً لم
يتهم بكذب وانه اذا توبع على حديث كان حسناً^(٢).

وقد تابعه ابن عبد البر في استيعابه كما ذكرنا.

وقال ابن أبي الحديد: ونحن نذكر في هذا الموضوع ما استفاض في الروايات من
مناشدة اصحاب الشورى وتعديده فضايله وخصايصه التي بان بها منهم ومن
غيرهم، قد روى الناس ذلك فأكثروا والذي صح عندنا^(٣)... ثم ذكر ما صح عنده
على مشربه ومذهبه.

فعلى طالب الحقيقة ان يبحث ويفتش فان لِكتمان الحقيقة اسباب وعلل فقد
ينظر فلان من الناس ويجهد فيرى ان يغير أو يبدل كلمة مكان أخرى فهذا البخاري
عندما يذكر الكلمة التي قيلت في مرض رسول الله ﷺ وفيها نسبة الهجر والهديان
لسيد الانبياء والمرسلين ﷺ لا يذكر اسم القائل^(٤) وعند ما يذكر اسم القائل يقول:
قال: النبي غلبه الوجع^(٥).

() /

() /

() /

() / /

() / / /

وعلى كل حال نبداً بعون الملك العلام ذي الجلال والاكرام بشرح المناشدة
وذلك وفق التسلسل الزمني لمخرجيها وناقليها مما وصلنا وبلغنا... وحصل في ايدينا
عنهم من فقراتها واجزائها كما وكيفاً.

رواية الحافظ الدارقطني

(المتوفى سنة ٣٨٥ هـ)

في الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢٦ قال: اخرج الدارقطني ان علياً قال للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً^(١) من جملته: انشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: يا علي انت قسيم الجنة والنار يوم القيامة غيرى؟ قالوا: اللهم لا .

الشرح

الجنة محل رضوان الله ودار الخلود والابد والنعيم الذي لا يزول وهي اعظم ما يتمناه الانسان ويسعى من اجله، فكل أمل وطموح ومشتريات وملذات ومسرات وما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم والسرور والكمال فيها وكما قال سبحانه (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ). وعلى عكسها الدنيا، دار ابتلاء وبغض وعداء وشحناء وفناء وزوال متغيرة بأهلها من حال إلى حال، لذاتها غصص وآلام وخيال وأوهام

فعلي عليه السلام يخاطب هؤلاء النفر ويقول: ان الله سبحانه وتعالى ارتضاني ان أكون قسيماً لجنته التي عرضها كعرض السموات والأرض، دار الانبياء والمرسلين والشهداء والصديقين ومن عمل بطاعته وفاز بمرضاته، وانتم لا ترتضوني على دنيا فانية وحطام زائل، فهل من العقل والتقوى أم من الجهل والهوى وانا بهذه المنزلة والمكانة العظمى عند الله ان أبعد وأقصى، واي حيف وظلم اعظم مما ارتكبتموه في حقي وحق الانسانية بحرمانهم من ولي الله وحجته وخليفته، وكيف ترجون الجنة^(١) التي انا قسيمها وانتم تركتم طاعة الله ورسوله والله جل وعز يقول (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ).

وفي هذا المعنى يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: فقد جاء في حقه الخبر الشائع المستفيض انه قسيم النار والجنة، وذكر أبو عبيد الهروي في (الجمع بين الغريبين) ان قوما من أئمة العربية فسروه فقالوا: لانه لما كان محبه من أهل الجنة، ومبغضه من أهل النار كأنه بهذا الاعتبار قسيم النار والجنة. قال أبو عبيد: وقال غير هؤلاء: بل هو قسيمها بنفسه في الحقيقة يدخل قوما إلى الجنة وقوماً إلى النار، وهذا الذي ذكره ابو عبيد أخيراً هو ما يطابق الأخبار الواردة فيه يقول للنار: هذا لي فدعيه وهذا لك فخذيه^(٢).

()

()

/ ()

واخرج ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي يوم القيامة على الحوض لا يدخل الجنة الا من جاء بجواز من علي بن أبي طالب ﷺ»^(١).

والخوارزمي الموفق بن احمد الحنفي بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: اذا كان يوم القيامة، اقام الله عز وجل جبريل ومحمداً على الصراط فلا يجوزه أحد الا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب ﷺ^(٢).

واخرج المتقي الهندي في كنز العمال عن الطبراني في الأوسط عن علي ﷺ قال: اني أذود عن حوض رسول الله ﷺ بيدي هاتين القصيرتين الكفار والمنافقين كما يذود السقاة غريبة الابل عن حياضهم^(٣).

وفيها ص ١٥٦ قال: أخرج الدارقطني ان علياً ﷺ يوم الشورى احتج على اهلها فقال لهم: انشدكم بالله هل فيكم أحد اقرب إلى رسول الله ﷺ في الرحم مني ومن جعله ﷺ نفسه وابناءه ابناؤه ونساءه نساءه غيري؟ قالوا: اللهم لا». الحديث(٤).

الشرح

نقول في هذه الفقرة من احتجاجه ﷺ: ان من هوان الدنيا ان يحتج سلام الله عليه بما هو أوضح من الشمس، فأبوه ابو طالب بن عبد المطلب، وابو رسول الله

()

()

()

()

عبد الله بن عبد المطلب فهما من أرومة واحدة ومن شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء لكن مقام الاحتجاج أو اتمام الحجّة اضطره إلى ذلك.

وفي احتجاجه هذا اشارة إلى ما احتجت به قريش بُعيد وفاة رسول الله ﷺ على الانصار بأنهم من قريش وانهم شجرة رسول الله وان الخلافة فيهم.

فيريد ﷺ ان يقول: ان كانت الخلافة تنال بالقرب من رسول الله ﷺ كما هي حجتكم على الانصار، فأنا اقرب إلى رسول الله ﷺ منكم، كما نص الله ورسوله على ذلك في آية المباهلة التي نزلت في حدث مصيري حاسم فاصل بين الايمان والكفر فجاءت بأتم تعبير واكمله في بيان قربي وقرابتي من رسول الله ﷺ حيث قال سبحانه (قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (آل عمران/ ٦١).

فلم يكن لكلمة - انفسنا - مصداقاً تتوفر فيه شروط المباهلة الا انا ورسول الله ﷺ ولم يكن لكلمة - ابناءنا - مصداقاً الا الحسن والحسين، ولم يكن لكلمة - نساءنا - مصداقاً يحمل شروط المباهلة الا فاطمه (عليها السلام).

أنها ساعة ابتهاج وليست ساحة قتال، شروطها الطهارة والقداسة والتوجه إلى الله والانقطاع اليه واليقين بالاستجابة والنصر ما كانت متوافرة وحاصلة الا فيمن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، لا تشمل من عبد صنماً وارتكب ظلماً، ولو كان هناك انسان توفرت فيه الشروط لجاء به رسول الله ﷺ لانه منزّه عن الحيف والظلم والطائفية والعنصرية.

ولو كان ثمت تعبير ولفظ هو أبلغ دلالة على قرب علي من رسول الله وقرب رسول الله من علي من كلمة - انفسنا - لنطق الله بها في حقهما، لكنها كلمة - انفسنا - التي تعني الاندماج والاندكاك تحت حقيقة واحدة هي الأبلغ والأفصح في تقريب هذا المعنى إلى ذهن السامع والمتأمل.

والعقل والشرع والعرف والطبع المستقيم والفترة السليمة كل يقضي ويحكم بأن
يحل محل رسول الله ﷺ ويقوم مقامه نفسه لا غيره، أجل نفسه التي تحمل صفاته
الكاملة واخلاقه العظيمة وتسير على نهجه وسلوكه، فهل يتمارى في هذه الحقيقة؟
وهل في ذلك قسم لذي حجر، وهل هناك أبلغ وافصح واوضح من هذا
الاحتجاج، وهل يرضى الله ويرضى العقلاء بأبعاد وتأخير نفس رسول الله ﷺ.
فتأمل أيها القارئ الكريم في حرص القوم على ابعاد واقصاء نفس رسول الله
ﷺ ولولا الثورة العارمة والارادة الجماهيرية واجتماع الامة الاسلامية عليه لما
وصلت اليه الخلافة الظاهرية الدنيوية التافهة التي زانها علي بن أبي طالب عليه السلام
وتزينت به، وانهم لم يدعوه حتى مع وصولها اليه فقد ضيعوا عليه ايامه بأشغالهم
الحروب ضده وحرّموا على انفسهم النساء الا ما كان من احتلام^(١) حتى الاطاحة

() :

/

() :

:

() .

/

بعلي ﷺ أو كما يقولون الأخذ بثأر عثمان كما هو ديدن اتباعهم في زماننا عند ما يتصدى الشيعة للحكم، وكما قال ﷺ: «فما راعني إلا والناس إلي كعرف الضبع، ينثالون علي من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفائي، مجتمعين حولي كر بيضة الغنم.

فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وفسق آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها»^(١).

ولنرجع إلى ما كنا فيه من احتجاج علي ﷺ بأية المباهلة النازلة في شأنه وشأن أهل بيته سلام الله عليهم، ولا ينكر ذلك إلا من دان بغير الإسلام وتجلبب المخازي والآثام، فهذا مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك ان تسب أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه. لان تكون لي واحدة منهم أحب الي من حمر النعم.

سمعت رسول الله ﷺ يقول له، خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله، خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ (أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي) وسمعته يقول يوم خيبر (لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله) قال: فتناولنا لها فقال: ادعوا لي علياً فأتي به أرمداً. فبصق في عينه ودفع الراية اليه، ففتح الله عليه.

ولما نزلت هذه الآية (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ) دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»^(١).

وهذا الزمخشري في كشافه يقول: لا دليل أقوى من هذا على فضل أصحاب الكساء وهم علي وفاطمة والحسنان، لأنها لما نزلت دعاهم ﷺ فاحتضن الحسين واخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه، وعلي خلفهما فعلم أنهم المراد من الآية وإن اولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والاخرة (٢).

وروى أبو الفرج الأموي خبر أساقفة نجران مع النبي ﷺ بعدة طرق وأسانيد قال:

فأما خبر مباهلتهم النبي ﷺ فأخبرني به علي بن علي بن العباس بن الوليد البجلي المعروف بالمقنعي الكوفي قال: أنبأنا بكار بن أحمد بن اليسع الهمداني قال: حدثنا عبد الله بن موسى عن أبي حمزة عن شهر بن حوشب. قال بكار وحدثنا اسماعيل بن أبان العامري عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن جده عن علي ﷺ، وحدثته أتم الأحاديث. وحدثني [به] جماعة آخرون بأسانيد مختلفة وألفاظ تزيد وتنقص: فممن حدثني به علي بن أحمد بن حامد التميمي قال: حدثنا الحسن بن عبد الواحد قال: حدثنا حسن بن حسين عن حيان بن علي [عن] الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (٣)، وعن الحسن بن الحسين عن محمد بن بكر

() / .

() :

() /)

عن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي رافع، عن أبيه جده عن أبي رافع. وأخبرني علي بن موسى الحميري في كتابه قال حدثنا جندل بن والق قال: حدثنا محمد بن عمر عن عباد الكلبي عن كامل أبي العلاء عن أبي صالح عن ابن عباس. وأخبرني أحمد بن الحسين بن سعد بن عثمان اجازة قال: حدثنا أبي قال: حدثنا حصين بن مخارق عن عبد الصمد بن علي عن أبيه عن ابن عباس، قال الحصين وحدثني أبو الجاورد وأبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر، قال: وحدثني حمد بن سالم وخليفة بن حسان عن زيد بن علي عليه السلام. قال حصين وحدثني سعيد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس. وممن حدثني [أيضاً] بهذا الحديث علي بن العباس عن بكار عن اسماعيل بن أبان عن أبي أويس المدني عن جعفر بن محمد وعبد الله والحسن ابني الحسن. وممن حدثني به أيضاً محمد بن الحسين الأزشني قال: حدثنا اسماعيل بن اسحاق الراشدي قال: حدثني يحيى بن سالم عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام. وممن أخبرني به أيضاً الحسين بن حمدان بن أيوب الكوفي عن محمد بن عمر والخشاب عن حسين الأشقر عن شريك عن جابر عن أبي جعفر، وعن شريك عن المغيرة عن الشعبي، واللفظ للحديث الأول. قالوا:



قدم وفد نصارى نجران وفيهم الأسقف، والعاقب^(١) وأبو حبش، والسيد، وقيس، وعبد المسيح الحارث وهو غلام - وقال شهر بن حوشب في حديثه: وهم أربعون حبراً - حتى وقفوا على اليهود في بيت المدارس^(٢)، فصاحوا بهم: يا بن سوريا يا كعب^(٣) بن الأشرف، أنزلوا يا أخوة القروذ والخنازير. فنزلوا اليهم؛ فقالوا لهم: هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنة [قد غلبكم!] أحضروا المتحنة [لنمتحنه] غداً. فلما صلى النبي ﷺ الصبح، قاموا فبركوا بين يديه، ثم تقدمهم الأسقف فقال: يا أبا القاسم، موسى من أبوه؟ قال: عمران. قال: فيوسف من أبوه؟ قال: يعقوب قال: فأنت من أبوك؟ قال: أبي عبد الله بن عبد المطلب. قال: فعيسى من

() :

() : () ﴿

:

...

«...»

() : () ﴿

﴿

«...»

: ()

: () (/) :

« »

﴿

﴿

. () .

أبوه؟ فسكت رسول الله ﷺ: فانقض عليه جبريل عليه السلام فقال: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ)^(١) فتلاها رسول الله ﷺ فنزا^(٢) الاسقف ثم دير به مغشياً عليه، ثم رفع رأسه إلى النبي ﷺ فقال له: أتزعم ان الله جل وعلا أوحى اليك ان عيسى خلق من تراب! ما نجد هذا فيما أوحى اليك، ولا نجده فيما أوحى إلينا؛ ولا تجده هؤلاء اليهود فيما أوحى اليهم. فأوحى الله تبارك وتعالى اليه: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)^(٣) (آل عمران/٦١)(٣) فقال: أنصفتنا يا أبا القاسم، فمتى نباهلك؟ فقال: بالعادة ان شاء الله تعالى. وانصرف النصارى، وانصرفت اليهود وهي تقول: والله ما نبالي أيهما أهلك الله الحنيفة أو النصرانية. فلما صارت النصارى إلى بيوتها قالوا: والله إنكم لتعلمون أنه نبي ولئن باهلناه ان لنخشى ان نهلك، ولكن استقبلوه لعله يقبلنا. وغدا النبي ﷺ من الصبح وغدا معه بعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم. فلما صلى الصبح، انصرف فاستقبل الناس بوجهه، ثم برك باركاً، وجاء بعلي فأقامه بين يديه، وجاء بفاطمة فأقامها بين كتفيه، وجاء بحسن فأقامه عن يمينه، وجاء بحسين فأقامه عن يساره. فأقبلوا يستترون بالخشب والمسجد فرقاً^(٤) أن يبدأهم بالمباهلة إذا رأهم، حتى بركوا بين يديه، ثم صاحوا: يا أبا القاسم، أقلنا أقالك الله عثرتك.

()

).

() :

()

() :

() .

فقال النبي ﷺ: نعم - قال: ولم يسأل النبي ﷺ شيئاً قط الا أعطاه - فقال: قد أقلتكم [فولوا]. فلما ولوا قال النبي ﷺ: أما والذي بعثني بالحق لو باهلتهم ما بقي على وجه الارض نصراني ولا نصرانية الا أهلهم الله تعالى.» وفي حديث شهر بن حوشب أن العاقب وثب فقال: أذكركم الله أن نلاعن هذا الرجل! فوالله لئن كان كاذباً مالكم في ملاعنته خير، ولئن كان صادقاً لا يحول الحول ومنكم نافخ ضرمة^(١) فصالحوه ورجعوا^(٢).

وعن الشعبي كنت عند الحجاج فأتني بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلاً بالحديد فقال له الحجاج: أنت زعمت أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله ﷺ فقال بلى فقال: الحجاج لتأتيني بها واضحة بينة من كتاب الله أو لا قطعنك عضواً عضواً، فقال آتيك بها واضحة بينة من كتاب الله يا حجاج، قال الشعبي فتعجبت من جرأته بقوله يا حجاج.

فقال له الحجاج: ولا تأتني بهذه الآية (نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ) فقال آتيك بها واضحة من كتاب الله وهو قوله (وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ)

() :

() :

/

/

/

:

/

}

:

.»

»

ﷺ

{

إلى قوله (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ) فمن كان أبو عيسى وقد ألحق بذرية نوح؟ قال:
فاطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال: كأني لم اقرأ هذه الآية من كتاب الله^(١).

() _____
 / { } : / - /
 / / / / / /
 . / / / / /

غفلة أم تغافل

نحن اذا تلونا آية المباهلة أو سمعناها تتبادر إلى اذهاننا الاسماء الجميلة لأهل البيت علي، وفاطمة، والحسن، والحسين وذلك النصر العظيم الذي تحقق على أيدي هؤلاء الأطهار الأبرار، هذا بمجرد السماع أو التلاوة.

فكيف بنا اذا امسكنا القلم ورجعنا إلى المصادر والكتب التي تذكر هذا الحدث العظيم، واردنا تخريجه وتحريره اذن لاشك ولا ريب سوف يكون الجواب انا لا نعذر امام الله سبحانه وتعالى والتاريخ والانسانية اذا أهملنا ذكر هذه الاسماء التي بنت مجد هذه الأمة وصرحها بموقفها هذا.

لكن تعال إلى ثلاثة تشابهت قلوبهم مع تباعدهم في الزمان والمكان، اعرضوا عن ذكر هذه الاسماء وأتوا البيوت من ظهورها عندما تركوا البحث عن الصميم وخاصوا في الهامش السقيم.

هذا ما نجد في كتاب الروض الأنف للسهيلي، فان الماتن (ابن هشام) عشا أو تعاشى عن ذكر أسماء اصحاب الكساء وتابعه السهيلي على ذلك وقلدهما محقق الكتاب.

اذن لا عجب اذا خفيت نصوص كثيرة في ولاية اهل البيت عليهم السلام فان الدواعي لا خفائها متوافرة في كل زمان ومكان وان اختلف الاسم والعنوان، وهذا ما حدث للمناشدة التي أخرجها الدارقطني، اذ لم نعر الا على هاتين الفقرتين، لذا ننتقل إلى علم آخر من الأعلام وهو:

الحافظ أبو عمر بن عبد البر القرطبي

(المتوفى سنة ٤٦٣هـ)

صاحب كتاب الاستيعاب فقد ذكر شرطاً أو فقرةً من المناشدة شاهداً لكلامه في مؤاخاة النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال: وحدثنا عبد الوارث، حدثنا قاسم، حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا عمرو بن حماد القناد قال: حدثنا اسحاق بن ابراهيم الأزدي عن معروف بن خربوذ عن زياد بن المنذر عن سعيد بن محمد الأزدي عن أبي الطفيل قال: لما احتضر عمر جعلها شورى بين علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد، فقال لهم علي:



. : .

الشرح

الأخوة على معان، نسبية، وفي الخلق والإنسانية، ودينية إيمانية وكل واحد لها وعليها حقوق وواجبات، وأهمها بل هي الأصل في ترتب معظم هذه الحقوق والواجبات الأخوة في الدين، فهي فوق النسب والحسب والسبب، فوق الأبوة والبنوة والأخوة، والأصول القرآنية خير دليل على ذلك منها قوله تعالى: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ). وان الابوة والبنوة لا تنفع إذا لم تكن علقمة إيمانية وأواصر دينية (ونادى نوح ربه فقال رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ❖ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ).

وفي أمهات المؤمنين أو قل أزواج الأنبياء يقول سبحانه: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَّمَهُمَا فَلَمْ

يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ) وفي عمّ النبي ﷺ يقول سبحانه: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ).

والآيات في هذا المجال كثيرة.

وعن علي أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «ولقد كنا مع رسول الله ﷺ، نقتل آباءنا وابناءنا واخواننا واعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً»^(١).

وفي معركة بدر بعد ان وضعت الحرب أوزارها، مرَّ مصعب بن عمير على أخيه لأمه وأبيه، أبي عزيز بن عمير، وقد أسره المسلمون، فقال مصعب لمحرز: اشدد يدك به، فإن له أماً بمكة كثيرة المال فقال له أبو عزيز: هذه وصاتك بي يا أخي؟! فقال مصعب: إنه أخي دونك^(٢).

ومراد رسول الله ﷺ وعلي (عليه السلام) من هذه المؤاخاة الأخوة في الدين، وبأكمل صورة وأتمها، وأعلى رتبة وأجملها، التي أثارت إعجاب ملائكة السماء عندما رأوا مصداقاً لهذه الأخوة ليلة المبيت، عندما أراد المشركون قتل النبي ﷺ فأمر علياً بالمبيت^(٣) على فراشه وخرج ﷺ مهاجراً.

وهذه الأخوة حاصلة ثابتة متحققة منذ الأيام الأولى لإرهاصات النبوة، وقبل أن يصدع النبي ﷺ بالرسالة، وكلامنا هذا على مذاق القوم ومشربهم، ونغض النظر عن المراتب العالية، إذ الكلام في نشأتها ووجودهما في الحياة الدنيا، وان صدور القوم لتضييق بمثل مراتبهم الدنيوية، فهي عن تلك المراتب أضيق.

()

/ / ()

()

وقولنا انها متحققة في ابتداء امر النبوة، لروايات تعبد النبي وعلي وصلاتهما معاً كهذه الرواية التي اخرجها النسائي وغيره من الحفاظ، بإسناده عن علي عليه السلام قال: «أنا عبد الله، وأخو رسوله صلى الله عليه وآله، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب، صليتُ قبل الناس بسبع سنين»^(١).

وأخرج باسناد آخر عن علي عليه السلام قال: «ما أعرف أحداً من هذه الأمة عبدَ الله بعد نبيها صلى الله عليه وآله غيري، عبدتُ الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة بسبع سنين»^(٢). فصلاته وتعبده مع رسول الله صلى الله عليه وآله تعني انه أخوه في عقيدته ودينه، وهذا لا يخفى على العوام فضلاً عن الأعلام.

وتحققها حينما صدع صلى الله عليه وآله بالرسالة وانذر وبلغ مما لاشك فيه ولا ريب يعتريه، وما حديث الانذار إلا واحد من أدلة كثيرة حيث قال فيه صلى الله عليه وآله: «هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فأسمعوا له وأطيعوا»^(٣).

فهذه المؤاخاة التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وآله مرتين، قبل الهجرة وبعدها بخمسة أشهر، وفي كل منهما يواخي علياً، اعلاناً وبيان، وتأكيد وتجديد، واشادة واعادة للأخوة الإيمانية في الملأ العام وعلي رؤوس الأشهاد.

ولم تكن هذه المؤاخاة اعتباطاً وجزافاً وتشهياً، ذلك ظن الذين يجهلون المقام الشامخ لرسول الله صلى الله عليه وآله حتى قالوا فيه انه يجهل البيئة التي يعيش فيها وانه لا يعلم ان

-
- () / : .
- () : () .
- () : / :

النخيل يلقح ويأبر، فأمرهم بترك التلقيح فشاخص نخلهم^(١) وانه يرضى بالزممار والدف والغناء في بيته^(٢).

كلا ان هذه المؤاخاة تحكي وتعبر عن واقع وحقيقة وتشابه ما بين المتأخيين، قام بها معلم الإنسانية الذي قال الله في حقه: (لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) وقال: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) فحاشا لمن جعله الله أسوة وقدوة ان يبخص حق أحد في أمر معنوي أو مادي، وهذا ما ألتفت إليه الاعلام، وسطرته الاقلام.

يقول المحب الطبري: ومن أدل دليل على عظم منزلة علي من رسول الله ﷺ صنيعه في المؤاخاة، فإنه ﷺ جعل يضم الشكل إلى الشكل يؤلف بينهما، إلى أن أخذ بين أبي بكر وعمر وادخر علياً لنفسه وخصه بذلك، فيا لها مفخرة وفضيلة^(٣). ويقول أبو جعفر الاسكافي المعتزلي المتوفى ٢٤٠ للهجرة: ثم فكروا في حديث المؤاخاة وما فيه من الدلالة الواضحة، إذ ميزهم على قدر منازلهم، ثم آخا بينهم على حسب مفاضلتهم، فلم يكن أحداً أقرب من فضل أبي بكر من عمر فلذلك آخا بينهما، وأشبهه طلحة الزبير وقربت منازلهما فلذلك آخا بينهما، وكذلك فعل بعد الرحمن بن عوف آخا بينه وبين عثمان. ثم قال لعلي: إنما أخرتك لنفسي أنت أخي وصاحبي.

فلم يكن فيهم أحد أشبه بالنبي ﷺ من علي، ولا أولى بمواخاة النبي منه، فاستحق مؤاخاة النبي لتقدمه على القوم، وكانت مؤاخاة علي أفضل من مؤاخاة غيره لفضله على غيره^(٤).

() / :

() / /

() / :

()

وقال ابن هشام: وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين، بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وبين أبي ذر والمقداد بن عمرو البهراني، وبين معاوية بن أبي سفيان والحُتات بن يزيد المجاشعي^(١).

أقول: كان من أمر الحُتات هذا وعاقبته انه ترك علياً ﷺ والتجأ إلى معاوية ومات عنده، والطيور على اشكالها تقع.

وروى في كنز العمال عن احمد بن حنبل في المناقب وعن ابن عساکر، من مسند زيد بن أبي أوفى: لما آخى النبي ﷺ بين أصحابه، قال علي: لقد ذهب روعي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلتَ غيري، فإن كان هذا من سخط عليٍّ فلِكَ العتبي والكرامة، فقال رسول الله ﷺ: والذي بعثني بالحق ما أخرجتكَ إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي، قال: وما أرت منك يا رسول الله؟ قال: ما ورثت الانبياء من قبل، قال: وما ورثت الانبياء من قبلك؟ قال: كتاب ربهم وسنة نبيهم، وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة بنتي وأنت أخي ورفيقي^(٢).

وأخرج ابن المغازلي بإسناده عن حذيفة بن اليمان قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه الانصار والمهاجرين، فكان يواخي بين الرجل ونظيره، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي، قال حذيفة: رسول الله ﷺ سيد المسلمين المتقين

() / .

() : / .

ورسول ربّ العالمين الذي ليس له في الانام شبيهه ولا نظير، وعلي بن أبي طالب أخوان^(١).

وقال صاحب الاستيعاب: أخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين ثمّ أخى بين المهاجرين والانصار وقال في كل واحدة منهما لعلّي: أنت أخي في الدنيا والآخرة^(٢). وأخرج النسائي والحاكم النيسابوري بإسنادهما عن ابن عباس، ان علياً كان يقول في حياة رسول الله ﷺ: ان الله يقول: (أَقْبَانِ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ) والله لا تنقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتّى مات ﷺ، والله إنني لأخوه، ووليه، ووارثه، وابن عمه، وَمَنْ أَحَقُّ بِهِ مِنِّي^(٣).

وروى البيهقي عن الزهري: لما كان حرب الجمل أقبلت عائشة في هودج من حديد وهي تنظر من منظر صير لها في هودجها، فقالت لرجل من ضبة وهو آخذ بخظام جملها أو بغيرها: أين ترى علي بن أبي طالب؟

قال: ها هو ذا واقف رافع يده إلى السماء، فنظرت فقالت: ما أشبه بأخيه! قال الضبي: وَمَنْ أَخُوهُ؟ قالت: رسول الله ﷺ، قال: فلا أراني أقاتل رجلاً هو أخو رسول الله ﷺ، فبنذ خظام راحلتها من يده ومال إليه^(٤).

وروى الحافظ الكنجي بإسناده عن ابن عمر، قال: أخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاء علي عليه السلام تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد، فقال له رسول الله ﷺ: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

()

()

()

()

ثمَّ قال : قلت : هذا حديث حسن عال صحيح ، أخرجه الترمذي في جامعة ،
 فاذا اردت ان تعلم قرب منزلته من رسول الله ﷺ تأمل صنعه في المؤاخاة بين
 الصحابة ، جعل يضم الشكل إلى الشكل والمثل إلى المثل ، فيؤلف بينهم إلى أن آخى
 بين أبا بكر وعمر ، وادخر علياً ﷺ لنفسه واختصه بأخوته ، وناهيك بها من فضيلة
 وشرف (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (ق٣٧/٣٧) ثمَّ
 قال والكلام للكنجي : وأخرجه الامام أحمد في مناقب علي ﷺ عن ابن الحباب
 عن حسين بن واقد ، حدثني مطر الوراق عن قتادة عن سعيد بن المسيب ، ان رسول
 الله ﷺ آخى بين اصحابه فبقي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعلي ﷺ فأخى بين
 أبي بكر وعمر وقال لعلي ﷺ : «أنت أخي وأنا أخوك» وناهيك به (١) مُخرِجاً (٢).
 ومثل قول الحافظ الكنجي في الامام أحمد بن حنبل قال سبط بن الجوزي عندما
 ذكر أحاديث المؤاخاة ، قال : واحمد مقلد في الباب متى روى حديثاً وجب المصير
 إلى روايته ، لأنه امام زمانه ، وعالم أوانه ، والمبرز في علم النقل على اقرانه ،
 والفارس الذي لا يجارى في ميدانه (٣).
 ولحديث المؤاخاة طرق كثيرة ذكرها ابن عساكر في ترجمة الامام علي ﷺ من
 تاريخ دمشق ، والمحدث الجويني في فرائد السمطين والعلامة الأميني في الغدير.

()

()

()

رواية الفقيه أبي الحسن علي بن محمد الشافعي

المعروف بابن المغازلي المتوفى سنة ٤٨٣هـ

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد البيّع البغدادي ، أخبرنا أبو أحمد عبيد الله بن محمد بن أحمد بن أبي مسلم الفرضي ، حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد - المعروف بابن عقدة الحافظ - ، حدثنا جعفر بن محمد بن سعيد الأحمس ، حدثنا نصر - وهو ابن مزاحم - ، حدثنا الحكم بن مسكين ، حدثنا أبو الجارود وابن طارق عن عامر بن واثلة .

وأبو ساسان وأبو حمزة عن أبي اسحاق السبيعي ، عن عامر بن واثلة قال :
كنت مع علي عليه السلام في البيت يوم الشورى فسمعت علياً يقول لهم : لأحتجنّ عليكم بما لا يستطيع عربيكم ولا عجميكم يغير ذلك .
ثم قال :

:

الشرح

لكي تتضح الحقيقة في إيمان علي بن أبي طالب عليه السلام وتوحيده بجلاء ووضوح ، وتتفصح الغيوم السوداء التي صنعتها الخفافيش لتتستر بها عن نور تلك الحقيقة الساطع ، لابد من الإشارة إلى بعض النصوص الواردة في شأن علي بن أبي طالب عليه السلام التي ذكرها الفريقان ، وتقتصر على ما ذكرته العامة :

فقد روى ابن المغازلي بإسناده عن سلمان قال: سمعت جيبى محمداً ﷺ يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله - عز وجل - يسبح الله ذلك النور ويقده قبل أن يخلق الله آدم بألف عام، فلما خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب: ففي النبوة وفي علي الخلافة^(١).

أخرجه الخوارزمي^(٢) وابن عساكر^(٣) والحافظ الكنجي^(٤) بنفس السند عن سلمان أيضاً، لكن بهذا اللفظ: سمعت جيبى المصطفى محمداً ﷺ يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله (مطبوعاً) (مطيعاً) (وطيفاً) يسبح الله ذلك النور ويقده قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم (ركب) (ركز) ذلك النور في صلبه فلم يزل في شيء واحد، حتى افترقنا في صلب عبد المطلب فجزء أنا وجزء علي.

قال الحافظ الكنجي: هكذا أخرجه محدث الشام في تأريخه، ولم يطعن في سنده، ولم يتكلم عليه، وهذا يدل على ثبوته.

وروى ابن المغازلي بإسناده عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كنت أنا وعلي نوراً عن يمين العرش، يسبح الله ذلك النور ويقده قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلم أزل أنا وعلي في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب^(٥).

()

()

()

()

()

وروى الخوارزمي بإسناده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله تعالى آدم، سلك ذلك النور في صلبه فلم يزل الله تعالى ينقله من صلب إلى صلب حتى أقره في صلب عبد المطلب، فقسّمه قسمين: قسماً في صلب عبد الله، وقسماً في صلب أبي طالب، فعلي مني وأنا منه، لحمه لحمي، ودمه دمي فمن أحبه فبحبي أحبه، ومن أبغضه أبغضني^(١).

وروى ابن المغازلي بإسناده عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ان الله عزّ وجلّ أنزل قطعة من نور فاسكنها في صلب آدم، فساقتها حتى قسمها جزأين: جزءاً في صلب عبد الله، وجزءاً في صلب أبي طالب، فأخرجني نبياً وأخرج علياً وصياً^(٢). وقال ابن أبي الحديد عندما أراد ان يذكر بعض فضائل علي عليه السلام: وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً مما رواه علماء الحديث الذين لا يهتمون فيه، وجلهم قائلون بتفضيل غيره عليه، فراويتهم فضائله توجب من سكون النفس ما لا يوجهه رواية غيرهم. إلى ان قال: الخبر الرابع عشر «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم قسم ذلك فيه وجعله جزأين، فجزء أنا وجزء علي»، ثمّ قال ابن أبي الحديد: رواه أحمد في المسند وفي كتاب فضائل علي عليه السلام، وذكره صاحب كتاب الفردوس وزاد فيه «ثمّ انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب فكان لي النبوة ولعلي الوصية»^(٣).

() : / .

() :

() : / .

وأخرج الحافظ أبو نعيم^(١) وابن المغازلي^(٢) والحوارزمي^(٣) وابن عساكر^(٤) عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أخو رسول الله، قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بألفي عام».

وأخرج ابن المغازلي^(٥) والحوارزمي^(٦) وابن عساكر^(٧) والحافظ الكنجي^(٨) عن أبي أيوب الانصاري، ان رسول الله ﷺ قال لفاطمة &: أما علمت ان الله اطلع إلى أهل الأرض اطلاعة فاختار منها أباك فبعثه نبياً، ثم اطلع اليها ثانية فاختار منها بعلك فأوحى اليّ فانكحتته واتخذته وصياً».

وفي مستدرك الحاكم النيسابوري بإسناده عن أبي هريرة قال: قالت فاطمة &: يا رسول الله زوجتني من علي بن أبي طالب وهو فقير لا مال له، فقال: يا فاطمة اما ترضين ان الله عز وجل اطلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين أحدهما أبوك، والآخر بعلك^(٩).

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد قالت فاطمة &: إنك زوجتني فقيراً لا مال له، فقال: زوجتك أقدمهم سلماً، وأعظمهم حِلماً وأكثرهم علماً، ألا تعلمين ان

() / :

() :

() :

() / :

() :

() :

() / :

() :

() / :

الله اطلع إلى الأرض اطلاعة، فاختر منها أباك، ثم اطلع ثانية فاختر منها بعلك. قال ابن أبي الحديد: رواه أحمد في المسند^(١).

أقول: ورواه ابن عساكر في ترجمة الإمام علي عليه السلام بعدة طرق. فمن اختاره الله على علم واطلاع كاختيار نبيه الكريم، ومن كان نوراً يسبح الله ويقدسه قبل خلق آدم مع اخيه وابن عمه المصطفى في حقيقة نورية واحدة تنقل في الاصلاب الشاخطة والأرحام المطهرة، هل يصح ان يقاس بأحد من هذه الامة، ومتى كان خلوا من الايمان والتسبيح والتقديس حتى نقول انه اول من آمن أو أول من أسلم، فلا معنى للبحث الذي أسسه من يجهل مقام علي عليه السلام فهو سلام الله عليه الايمان الذي يجب ان يعتنق بعد البحث عنه والتفتيش، لانه نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ادواره وأطواره.

وهذه الحقيقة التي ذكرناها أثقل من جبل أبي قبيس على المعاندين، إلا من شرح الله صدره بالايمان وطابت وطهرت طينته.

ونحن تماشياً مع من يجهل هذه الحقيقة، وتنازلاً لأصحاب الصدور الحرجة الضيقة، نسلك مسلكهم المتعارف في اثبات تقدم اسلام علي بن أبي طالب وإيمانه، وانه أول من أسلم وآمن، وبروايات القوم الذي اتعبوا أنفسهم بحمل متونها والفاظها، وجهلوا أو تجاهلوا دلالاتها ومضامينها.

فقد رووا باسانيدهم عن علي عليه السلام قال: «أنا عبد الله، وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب، صليت قبل الناس بسبع سنين»^(٢).

() / :

() / :

/ :

/ / :

وفي آخر قال ﷺ: ما أعرف أحداً من هذه الأمة عبَدَ الله بعد نبيها ﷺ غيري، عبدت الله قبل ان يعبده أحد من هذه الأمة بسبع سنين^(١).

وروا عن عفيف الكندي قال: جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أريد ان ابتاع لاهلي من ثيابها وعطرها، فأتيت العباس بن عبد المطلب وكان رجلاً تاجراً فأنا عنده جالس حيث انظر إلى الكعبة، وقد حلقت الشمس في السماء، فارتفعت وذهبت إذ جاء شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم قام مستقبل القبلة، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاء غلام فقام على يمينه، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فسجد الشاب فسجد الغلام والمرأة، فقلت: يا عباس أمر عظيم، قال العباس: أمر عظيم أتدري من هذا الشاب؟ قلت: لا، قال: هذا محمد بن عبد الله ابن اخي، أتدري من هذا الغلام؟ هذا علي ابن اخي، أتدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة بنت خويلد زوجته، ان ابن اخي هذا اخبرني ان ربه رب السماء والارض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، ولا والله ما على الارض كلها احد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة^(٢).

وروا عن أنس أنه قال: قعد العباس وشيبة صاحب البيت يفتخران فقال له العباس: أنا أشرف منك، أنا عم رسول الله ﷺ ووصي أبيه وساقى الحجيج فقال

()

/ : / / / ()

:

/ : / :

/ :

:

شبية أنا أشرف منك أنا أمين الله على بيته وخازنه أفلا أئتمنك كما ائتمني فهما على ذلك يتشاجران حتى أشرف عليهما علي فقال له العباس على رسلك يا ابن أخ فوقف علي عليه السلام فقال له العباس إن شبية فاخرنى فزعم أنه أشرف مني فقال فما قلت له أنت يا عمه قال قلت له أنا عم رسول الله ﷺ ووصي أبيه وساقى الحجيج أنا أشرف منك فقال لشبية ماذا قلت له أنت يا شبية قال قلت له أنا أشرف منك أنا أمين الله على بيته وخازنه أفلا ائتمنك زاد العلوي الله عليه وقالوا كما ائتمني قال فقال لهما اجعلا لي معكما مفخرا قالوا نعم قال فأنا أشرف منكما أنا أول من امن بالوعيد من ذكور هذه الأمة وهاجر وجاهد فانطلقوا زاد العلوي ثلاثتهم إلى النبي ﷺ فجتوا بين يديه فأخبر كل واحد منهم بمفخره فما أجابهم النبي ﷺ بشيء فانصرفوا عنه فنزل زاد العلوي عليه الوحي بعد أيام فيهم فأرسل إليهم ثلاثتهم حتى أتوه فقرأ عليهم: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)^(١).

وروا في تفسير قوله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿٦﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) انها في علي عليه السلام ففي الصواعق المحرقة لابن حجر قال: أخرج الديلمي عن عائشة، والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال: السَّبَقُ ثلاثة، فالسابق إلى

() () / :

/: :

/: :

:

() .

موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب يس والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب^(١).

وفي قوله تعالى: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) رَوَا عَنْ مجاهد وغيره قال: جاء به محمد ﷺ وصدق به علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢).

وهذه الحقيقة صارت انشودة على ألسن الشعراء، يلهجون بها في الأندية ومحافل الرجال، ويرتجزون بها في سوح النزال والقتال.

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: واما الأشعار المروية فمعروفة كثيرة منتشرة منها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

وان ولي الأمر بعد محمد علي وفي كل المواطن صاحبه
وصي رسول الله حقاً وصنوه وأول من صلى ومن لان جانبه^(٣)
وقال خزيمة بن ثابت في هذا:

وصي رسول الله من دون أهله وفارسه مذ كان في سالف الزمن
وأول من صلى من الناس كلهم سوى خيرة النسوان والله ذو منن^(٤)
وقال أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، حين بويع أبو بكر:
ما كنت أحسب أن الامر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

() : /

() : / /

() :

()

أليس أول من صلى لقبلكم وأعلم الناس بالأحكام والسنن^(١)

وقال أبو الأسود الدؤلي يهدد طلحة والزبير:

وان علياً لكم مُصَجَّرٌ يماثله الأسد الأسود
أما إنه أول العابدين بمكة والله لا يعبد

وقال سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين:

هذا علي وابن عمّ المصطفى أول من أجابه فيما روى

هو الإمام لا يبالي من غوى

وقال زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي:

فحوطوا علياً وانصروه فانه وصي وفي الإسلام أول أول
وان تخذلوه والحوادث جمّة فليس لكم عن ارضكم متحول

انتهى ما عن ابن أبي الحديد^(٢).

ويقول الحافظ الكنجي: والمختار عندي من الروايات قول ابن عباس، ويدل

عليه قول عبد الرحمن بن جعل (جعل) الجمحي حين بويع علي عليه السلام:

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة على الدين معروف العفاف موقفاً
علياً وصي المصطفى وابن عمه وأول من صلى لذي العرش واتقى^(٣)

وروى أبو جعفر الطبري جواب الفضل بن العباس بن عتبة على شعر الوليد بن

عقبة الفاسق:

ألا ان خير الناس بعد نبيهم وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر

() / :

() / :

() / :

وأول مَنْ صَلَّى وَصَنُوْنِيهِ وَأول مَنْ اردى الغواة لدى بدر^(١)
نعم انه خير الناس وخير البرية كما قال الله وبلغ رسوله واعترف بذلك المخالف
فقد أخرج ابن عساكر وغيره في تفسير قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند
النبي ﷺ فأقبل علي بن أبي طالب، فقال النبي ﷺ: قد أتاكم أخي، ثم التفت إلى
الكعبة فضر بها بيده ثم قال: والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم
القيامة، إنه أولكم ايماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله واعدلكم في
الرعية، وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزية. قال: ونزلت: (إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) قال: فكان أصحاب محمد ﷺ إذا
أقبل علي قالوا: قد جاء خير البرية^(٢).

ورروا بطرق واسانيد كثيرة قوله ﷺ: «علي خير البشر فمن أبي فقد كفر»^(٣).
والدراية قبل الرواية تشهد وتحكم ان علياً ﷺ خير البرية وخير البشر بعد
رسول الله ﷺ حتى ان اعداءه عجزوا عن يسجلوا نقطة ضعف واحدة فعمدوا إلى
الذين نازعوه وظلموه فوضعوا لهم مناقباً وفضائلًا ظناً منهم انها كالأقراط والانياط
تعلق في الآذان وعلى الصدور وفاتهم ان حبل الكذب قصير وان القرد قرد ولو
طوقته بالذهب، وان تاريخ الذين ظلموا علياً ﷺ وأخروه عن رتبته التي جعلها الله

() / :

() / :

:

:

() / - :

ورسوله له مظلّم بالردائل ، وانت إذا نظرت إلى حياة علي عليه السلام من المهد إلى اللحد وحياة الذين ظلموه كذلك تعلم انه عليه السلام خير البرية وان اعداءه شر البرية ، والآيات والروايات التي جاءت في حقه عليه السلام تؤكد هذا العلم والدراية وترشد إلى الحق والهداية.

إن في ذلك لعبرة

١. ولد في بيت الله الكعبة التي يتوجه إليها المؤمنون في صلواتهم ودعواتهم ويطوفون حولها في اداء مناسكهم ، انه أول بيت وضع للناس يحتضن أول من آمن وصلى ، انه بيت عبادة ، وذكر علي عبادة ، والنظر إلى علي عبادة ، انها اسرار تقصر عن فهمها الافكار ، وحقيقة اعترف بها المخالفون ، واليك كلام بعض اعلامهم :

قال المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ بضرس قاطع : وكان مولده في الكعبة^(١) .

وقال الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٦هـ بضرس قاطع وبيان ناصع : قد تواترت الأخبار ان فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة^(٢) .

وحكى الحافظ الكنجي الشافعي من طريق ابن النجار عن الحاكم النيسابوري انه قال : وُلد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة في بيت الله الحرام ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل ، ولم يولد قبله ولا بعده مولده في بيت الله الحرام سواه إكراماً له بذلك واجلالاً لمحلّه في التعظيم^(٣) .

وتبعه أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الشهير بشاه ولي الله والد عبد العزيز الدهلوي مصنف (التحفة الاثنى عشرية في الرد على الشيعة) فقال في كتابه - إزالة الحفاء-: تواترت الاخبار ان فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علياً في جوف

() : / .

() : / .

() : .

الكعبة، فإنه ولد في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة ولم يولد فيها أحد سواه قبله ولا بعده.

وقال الألوسي صاحب التفسير الكبير في (شرح الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية) لعبد الباقي أفندي العمري عند قول الناظم:

أنت العليُّ الذي فوق العلي رفعا بطن مكة عند البيت إذ وضعاً

وكون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا وذكر في كتب الفريقين السنة والشيعه - إلى ان قال - وما أحرى بامام الأئمة أن يكون وضعه فيما هو قبله للمؤمنين، وسبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين.

٢. طهر بيت الله بتكسيه الاصنام شاكراً حامداً الله سبحانه وتعالى على نعمه وآلاءه التي اسداها إليه وذاكراً تلك الضيافة في جوف الكعبة حين ولادته، وان للبيت الذي احتضنه ولرب البيت الذي استضافه فأحسن ضيافته حقاً كبيراً تهون عنده كل تضحية وفداء، فخاطر بنفسه امتثالاً لأمر سيده وابن عمه المصطفى ﷺ فقد روى القوم عن أبي مريم عن علي ﷺ قال: لما كان الليلة التي أمرني رسول الله ﷺ أن أبيت على فراشه وخرج من مكة مهاجراً، انطلق بي رسول الله ﷺ إلى الاصنام فقال: اجلس فجلست إلى جنب الكعبة ثم صعد رسول الله ﷺ على منكبتي ثم قال: انهض فنهضت به فلما رأى ضعفي تحته قال: اجلس فجلست فأنزلته عني وجلس لي رسول الله ﷺ ثم قال لي: يا علي اصعد على منكبتي فصعدت على منكبته ثم نهض بي رسول الله ﷺ وخيل إلي أنني لو شئت نلت السماء وصدت إلى الكعبة وتنحى رسول الله ﷺ فألقيت صنهم الأكبر وكان من نحاس مؤتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض فقال لي رسول الله ﷺ: عاجله فعاجت

فما زلت اعالجه ويقول رسول الله : إيه إيه فلم أزل اعالجه حتى استمكنت منه فقال : دقه فدقته فكسرتة ونزلت^(١).

هذا في ليلة المبيت أو ليلة الهجرة وفي السر والخفاء ، فأبى الله سبحانه وتعالى إلا ان يظهر هذا العمل الصالح والتحدي الكبير ويغيض الكفار والمنافقين وذلك يوم الفتح فتح مكة ، فقد رووا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب يوم فتح مكة : أما ترى هذا الصنم بأعلى الكعبة؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : فاحملك فتناوله فقال : بل أنا أحملك يا رسول الله ، فقال ﷺ : والله لو أن ربعة ومضر جهدوا ان يحملوا مني بضعة وأنا حي ما قدروا ، ولكن قف يا علي ف ضرب رسول الله ﷺ بيده إلى ساقى علي فوق القرنوس ، ثم اقتلعه من الأرض بيده فرفعه حتى تبين بياض إبطيه ثم قال له : ما ترى يا علي قال : أرى أن الله عز وجل قد شرفني بك حتى أني لو أردت ان أمسّ السماء لمستها ، فقال له : تناول الصنم يا علي فتناوله ثم رمى به ، ثم خرج رسول الله ﷺ من تحت علي وترك رجليه فسقط على الأرض فضحك ، فقال : ما أضحكك يا علي؟ فقال : سقطت من أعلى الكعبة فما أصابني شيء ، فقال رسول الله ﷺ : وكيف يصيبك شيء وانما حملك محمد ، وانزلك جبرئيل ﷺ^(٢).

() / : / :

: :

/ :

. / :

. : ()

وما أجمل وأكمل قول علي عليه السلام : «أرى ان الله قد شرفني بك» قالها بكل تواضع وفخر بعد ان تحقق الفتح المبين والنصر العظيم. أجل كل شرف وفضل في علي عليه السلام أصله رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه معلمه وأديبه.

٣. وقتل في بيت الله في محراب صلواته بسيف المارق الخارجي أشقى الأولين والآخريين ابن ملجم المرادي، ضربه على رأسه الشريف فلم يتأوه الامام وصبر وهوى في محرابه وشفاته رطبتان بذكر الله، وتجسد أمام عينيه صورة وصوتاً قوله تعالى: (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وقوله (تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَكَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ) فهتف فرحاً مسروراً بالفوز والفلاح حيث قال عليه السلام : فزت وربّ الكعبة، هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله.

لا كما قال فلان (الأول): لوددتُ أني شجرة في جانب الطريق مرّ عليّ جملٌ فاخذني فأدخلني فاه فلاكني ثمّ ازدردي ثمّ اخرجني بعرا ولم أكن بشراً^(١).
ولا كما قال (الثاني): ياليتني كنت كبش أهلي سموني ما بدا لهم، حتّى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من يحبون فجعلوا بعضي شواءً وبعضي قديداً ثمّ اكلوني فأخرجوني عذرة ولم أكن بشراً^(٢).

وقال: لو ان لي ما في الأرض من شيء لا فتديتُ به من هول المطلع^(٣).
حزن وخوف وجزع وفزع وحسرة وندم لا تنسجم مع العاقبة الحسنة.

() /

() : /

() : /

قال :

:

قال :

:

الشرح

أراد سلام الله عليه بهاتين الفقرتين ان يذكر النفر من اصحاب الشورى ، ويبين للأجيال على مر الدهور والعصور مكانة البيت الهاشمي انه بيت تضحية وفداء آمن بالرسالة والرسول واتبعوه لأنه يدعو إلى الله وإلى الحق لا لأنه ﷺ منهم فلم يستغلوا قرابته لأموال الدنيا بل اتخذوها وسيلة وسبباً للآخرة ، فأنا من هذا البيت الذي يقدم آخرته على دنياه والذي ضحى وقدم القرابين والشهداء منهم أخي جعفر بن أبي طالب .

فقد كان قائد المهاجرين إلى الحبشة وخطيبهم ولسانهم ، وبليغ بيانه وفصيح كلامه ردَّ الله كيد المشركين عندما ارسلوا عمرو بن العاص إلى النجاشي ملك الحبشة لأستئصال المسلمين أو تسليمهم فانقلب السحر على الساحر ودخل ملك الحبشة في الاسلام ، فكانت كل كلمة تفوه بها جعفر سيفاً على هامات المشركين وعزاً وفخراً للإسلام والمسلمين .

فعلي ﷺ يريد ان يذكر اصحاب الشورى بالامس القريب فقد كان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزيبر بن العوام من الذين هاجروا مع جعفر إلى الحبشة وكان اميرهم وملاذهم .

ويريد ﷺ ان يذكرهم باستقبال رسول الله ﷺ لجعفر وكلمته ﷺ الشهيرة وان كانت قصيرة لكنها تحمل معان كبيرة وأسراراً كثيرة وهو ﷺ خير من نطق بالضاد ،

وذلك حينما جاء جعفر من أرض الحبشة فقبل ما بين عينيه وضمه إليه وقال ﷺ :
« ما أدري بأيهما أنا أسر بقدم جعفر أو بفتح خيبر » أجل فرحتان ، فتح في خيبر ،
ونصر في الحبشة على يدي علي وجعفر ابني أبي طالب شيخ البطحاء .
في خيبر حيث أخذ فلان الراية ورجع ولم يكن فتح^(١) ، ثم أخذها الثاني فرجع
كذلك^(٢) ، فقال رسول الله ﷺ : « لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه
الله ورسوله » ، فدعا علياً ﷺ وأعطاه الراية فكان الفتح على يديه . وسوف يأتي
الكلام عن هذه المنقبة .

وختم الله أمر جعفر ان رزقه القتل في سبيله فحلّق بجناحيه مع الملائكة في وقعة
كان الابتلاء فيها شديداً لقلّة عددهم وكثرة عدوهم فلم يثبت إلا من صدق إيمانه
وفر من لم يكن كذلك^(٣) ، فكانوا مصداقاً لقوله تعالى : (الم ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ
يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (العنكبوت/٣-١)

ولاهمية هذه المعركة نقلها رسول الله ﷺ نقلاً حياً مباشراً فقد روى محمد بن
عمر الواقدي : لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله ﷺ على المنبر وكُشِفَ له ما
بينه وبين الشام فهو ينظر إلى معتركهم ، إلى ان قال ﷺ : ثم أخذ الراية جعفر بن أبي
طالب ، فجاء الشيطان فمناه الحياة وكره إليه الموت ، ومناه الدنيا فقال : الآن حين

() / :

() / : / :

()

/ : / :

/ :

استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا، ثم مضى قُدماً حتى استشهد، فصلى عليه رسول الله ﷺ ودعا له، ثم قال: استغفروا لأخيكم فإنه شهيد، دخل الجنة فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث يشاء من الجنة^(١).

وكما فرح وسر رسول الله ﷺ بمجيء جعفر من الحبشة، حزن وبكى لفقدته ورحيله وذرفت عيناه لأن البكاء على المؤمن رحمة وعبادة فيه اجر وثواب، لا كما منعه اصحاب القلوب القاسية بمروياتهم الواهية، فقد روى الواقدي وهو من المخالفين عن اسماء بنت عميس:

دخل عليّ رسول الله ﷺ فقال: يا اسماء اين بنو جعفر؟ فجنئت بهم إليه فضمهم وشمهم ثم ذرفت عيناه فبكى، فقلت: أي رسول الله لعلك بلغك عن جعفر شيء؟ فقال: نعم قتل اليوم. قالت: فقامت أصيح واجتمع اليّ النساء. قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا أسماء لا تقولي هجراً ولا تضربي صدراً. قالت: فخرج رسول الله ﷺ حتى دخل على ابنته فاطمة وهي تقول: واعماه، فقال رسول الله ﷺ على مثل جعفر فلتبك الباكية، ثم قال رسول الله ﷺ: اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم^(٢).

وروى عن يحيى بن أبي يعلى قال: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: أنا احفظ حين دخل رسول الله ﷺ على أمي فنعى لها أبي، فأنظر إليه وهو يمسخ على رأسي ورأس أخي، وعيناه تهراقان الدموع حتى تقطر لحيته، ثم قال: اللهم ان جعفرأ قد قدم إلى أحسن الثواب فأخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته. ثم قال: يا أسماء ألا أبشرك؟ قالت: بلى بأبي أنت وأمي، قال: فان الله عز وجل

() / : / :

() / : / :

جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة، قالت: بأبي وامي يارسول الله، فأعلم الناس بذلك، فقام رسول الله ﷺ وأخذ بيدي، يمسح بيده رأسي حتى رقي على المنبر واجلسني امامه على الدرجة السفلى والحزن يُعرف عليه.

فتكلم فقال: ان المرء كثير بأخيه وابن عمه، ألا ان جعفرًا قد استشهد وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة^(١).

ورثاه حسان بن ثابت بشعر طويل منه:

فلا يُبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤته منهم ذو الجناحين جعفر

أغر كضوء البدر من آل هاشم أبي إذا سيم الظلامه مجسر

يقول ابن هشام: حدثني من أثق به من أهل العلم ان جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء.

وروى البخاري في صحيحه عن الشعبي: ان ابن عمر كان إذا سلم على ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين.

أما حمزة بن عبد المطلب، عمّ النبي ﷺ وعمّ علي ﷺ الملقب بأسد الله وأسد رسوله وسيد الشهداء، القاب وأسماء نورانية، فما أجملها من القاب واسماء حباه بها الرب الكريم، على لسان الرسول العظيم، نالها بالصدق والوفاء والتضحية والفداء، فقد آمن بالله ورسوله وكنم إيمانه إلى ان سنحت له الفرصة فأعلن وأظهر اسلامه، فكان دمغة على رؤوس المشركين ونصراً وعزاً للمسلمين.

() : / .

روى ابن اسحاق: ان أبا جهل مرَّ برسول الله ﷺ وهو جالس عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك، ثمَّ انصرف إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب ان أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان اعز قريش واشدها شكيمة، فلما مرَّ بالمولاة قالت له: يا ابا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد أنفأ من أبي الحكم بن هشام وجده هاهنا جالساً فسبه وأذاه وبلغ منه، فلم يكلمه محمد، فاحتمل حمزة الغضب فخرج سريعاً فدخل المسجد فرأى أبا جهل جالساً في القوم فضربه بالقوس ضربة شجبه بها شجة منكرة وقال له: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول^(١)، فرد ذلك عليّ ان استطعت. وتم حمزة على اسلامه^(٢).

وفي معركة بدر ضرب مثلاً رائعاً في البطولة والاقدام، فهو أول من تصدى للمشركين وذلك لما تزاحف الناس قال الأسود بن عبد الأسد المخزومي حين دنا من الحوض: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه. فشد حتى دنا من الحوض فاستقبله حمزة فضربه فأطن قدمه، فزحف الأسود حتى وقع في الحوض فهدمه برجله الصحيحة وشرب منه، وأتبعه حمزة فضربه في الحوض فقتله.

()

()

ثم نادى منادي المشركين: يا محمد أخرج لنا الأكفء من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: يا بني هاشم قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم، إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله فقام حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد المناف^(١)، وحققوا نصراً باهراً فكانت فاتحة خير، وكان حمزة من أعظم ركائز ذلك النصر ومن أهم أعمدته وأركانه.

وفي أحد ترجم لنا حياته من معتقده وإيمانه وصفاته وأخلاقه، بثباته وصموده، كتبها بدمه الطاهر بأحرف نورانية تضيء الدرب لكل سالك إلى الله، ودخل الدنيا والتاريخ من أوسع باب واجمله، معلماً وملهماً الأجيال؛ ان الحياة عقيدة وجهاد ولم يستفزه الشيطان بقوله: «مات محمد أو قتل» كما استفز غيره فأسرعوا مهطعين ملبين نداءه والقوا بأيدهم وقعدوا عن القتال^(٢)، بل منهم من فر^(٣) من ساحة النزال.

() / :

() :

:

!

: ﷺ

: !

ﷺ

. / :

/ :

/ :

ﷺ

: ()

/ :

:

:

. / :

:

انه حمزة الصعب والمستعصب على الشيطان واتباعه في كلا الميدانين في الجهاد الاصغر والأكبر، وقد شهد بذلك حتى قتلته واعداءه: نظر صفوان بن أمية إلى حمزة يومئذٍ - أي يوم أحد - وهو يهد الناس فقال: مَنْ هذا؟! قالوا: حمزة بن عبد المطلب. فقال: ما رأيت كاليوم رجلاً أسرع في قومه^(١).

ويقول وحشي: والله إني لانظر إلى حمزة يهدُّ الناس بسيفه، ما يليق - أي ما يبقي - شيئاً يمر به مثل الجمل الأورق.

فلهذه البطولة الشامخة والعقيدة الراسخة كان هدفاً من اهداف زعماء الشر فيما حاولوه من تصفية النبي ﷺ أو أحد وزراءه من بني هاشم الذين وتروا المشركين في بدر الكبرى، وكانت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وأم معاوية من اشد المحرضين على ذلك.

روى الطبري في تاريخ: وكانت هند بنت عتبة كلما مرَّت بوحشي أو مرَّ بها قالت: إيَّه أبا دَسْمَة اشف واشتف وكان وحشي يكنى أبا دسمة^(٢).

قال بن اسحاق: وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل احد النفر الذين يحملون اللواء، ثم مرَّ به سباع بن عبد العزى الغبشاني، فقال له حمزة: هلم الي يا ابن مقطعة البظور وكانت ختانة بمكة، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله.

(١) / : .

(٢) / : / : / : .

قال وحشي: ضربه ضربة ما أخطأ رأسه وهزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجله، فاقبل نحوي فغلب فوقع وامهله حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي ثم تنحيت إلى العسكر^(١).

قال ابن اسحاق وابو جعفر الطبري: ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها، يمثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله ﷺ يجدن الآذان والانف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وانفهم خدماً وقلائد، واعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشياً، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها، ثم علت صخرة مشرفة، فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزيناكم بيوم بدر	والحرب بعد الحرب ذات سُعر
ما كان عن عتبة لي من صبر	ولا أخي وعمه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري	شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي عليّ عمري	حتى ترم اعظمي في قبري ^(٢)

قال ابن اسحاق: وقالت أيضاً:

شفيت من حمزة نفسي بأحد	حتى بقرت بطنه عن الكبد
اذهب عني ذاك ما كنت أجد	من لذعة الحزن الشديد المعتمد ^(٣)

قال الطبري:

() / :

() / : / :

() / :

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن اسحاق، قال: حدثني صالح بن كيسان أنه حدث ان عمر بن الخطاب قال لحسان: يا ابن الفريعة لو سمعت ما تقول هند ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا وتذكر ما صنعت بحمزة فقال له حسان والله إنى لانظر إلى الحربة تهوى وأنا على رأس فارح - يعنى أطمه - فقلت: والله إن هذه لسلاح ماهى بسلاح العرب وكأنها إنما تهوى إلى حمزة؛ ولا أدري أسمعني بعض قولها أكفيكموها قال فأنشده عمر بعض ما قالت فقال حسان يهجو هنداً:

أشرت لكاع وكان عاداتها	لؤما إذا أشرت مع الكفر ^(١)
لعن الإله وزوجها معاً	هند الهنود عظيمة البظر
أخرجت مرقصةً إلى أحدٍ	في القوم مقتبة على بكر ^(٢)
بكر ثفال لا حراك به	لا عن معاتبة ولا زجر ^(٣)
وعصاك إستك تتقين بها	دقى العجاية هند بالفهر ^(٤)
قرحت عجيزتها ومشرجها	من دأبها نصاباً على القتر ^(٥)
ظلت تدأويها زميلتها	بالماء تنضحهُ وبالسدِر
أخرجت ثائرة مبادرة	بأبيك وابنك يوم ذى بدر
وبعمك المستوه في ردع	وأخيك منعفرين في الجفر ^(٦)

() : . : « . » :

() : « . » :

() :

() :

() :

() : : :

ونسيت فاحشة أتيت بها يا هند ويحك سبّ الدهر
فرجعت صاغرة بلا ترة مناظفرت بها ولا نصر
زعم الولائد أنها ولدت ولداً صغيراً كان من عهر^(١)

ولم يشتف معاوية بن أبي سفيان بما فعلته أمة آكلة الأكباد فتتبع شهداء أحد وهم في قبورهم بذريعة انه يريد اجراء عين له. فقد روى ابن الجوزي في المنتظم بطريقين عن جابر قال: لما أراد معاوية أن يجري عينه التي بأحد كتبوا له: إنا لا نستطيع ان نجريها إلا على قبور الشهداء، فكتب: أنبشوهم فقال: فرأيتهم يحملون على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام واصابت المسحاة طرف رجل حمزة فانبعث دماً^(٢).

() / : / :

() / : / :

حزن النبي ﷺ :

لما اصيب حمزة جاءت صفية بنت عبد المطلب، تطلبه، فحالت بينها وبينه الانصار، فقال رسول الله ﷺ : دعوها، فجلست عنده فجعلت إذا بكت بكى رسول الله ﷺ واذا نشجت ينشج رسول الله ﷺ. وكانت فاطمة بنت النبي ﷺ تبكي، وجعل رسول الله ﷺ إذا بكت بكى وجعل يقول: لن اصاب بمثلك ابدا، ثم قال ﷺ لفاطمة ولعمته صفية: «ابشرا أتاني جبريل ﷺ فأخبرني ان حمزة مكتوب في أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسود رسول الله ﷺ^(١).
ومرَّ رسول الله ﷺ بدار من دور الانصار من بني عبد الاشهل وظفر، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم؛ فذرفت عينا رسول الله فبكى ثم قال: «لكن حمزة لا بواكي له» فلما رجع سعد بن معاذ واسيد بن حضير إلى دار بني عبد الاشهل أمرَ نساءهم ان يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ^(٢).
وعن جابر بن عبد الله قال: فقد رسول الله ﷺ يوم أحد حمزة حين فاء الناس من القتال قال: فقال رجل: رأيت عند تلك الشجرة وهو يقول: أنا أسد الله وأسود رسول الله، اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، لأبي سفيان واصحابه، واعتذر إليك مما صنع هؤلاء من انهزامهم.

() / : / :

() / : / :

فسار رسول الله ﷺ نحوه، فلما رأى جبهته بكى، ولما رأى ما مُثِّلَ به شهق ثم قال: ألا كفن؟ فقام رجل من الأنصار فرمى بثوب، قال جابر: فقال رسول الله ﷺ «سيد الشهداء عند الله تعالى يوم القيامة حمزة»^(١).

وقال عبد الله بن رواحة يبكي حمزة بن عبد المطلب:

بكت عيني وحق لها بكاهي وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا أحمزة ذا كم الرجل القاتل
أصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هُدت وانت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك في جنان مخالطها نعيم لا يزول^(٢)

وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة فمما قالت:

فوالله لا انساك ما هبت الصبا بكاءً وحزناً محضري ومسيري
على أسد الله الذي كان مدرهاً يذود عن الاسلام كل كفور
فياليت شلوي عند ذاك واعظمي لدى أضبع تعادني ونسور^(٣)

وأخيراً أقول: ما أراد علي ﷺ ان يذكر النفر من اصحاب الشورى يبطولة حمزة وتضحيته فحسب، بل اراد ان يعرفهم بأنهم كانوا في قاع الخمول والنسيان، وانهم نكصوا عن منازل الاقران، وانهم خلعوا شكيمة الوقار، وتسربلوا الهزيمة والفرار، فكان عليهم ان يعرفوا اقدارهم، ولا يتعدون اطوارهم، فاذا بهم اليوم - ومن هوان الدنيا - ينازعون علياً ﷺ حقه ويشترطون عليه شروطاً.

() / :

() / :

() / :

:

:

الشرح

اشار سلام الله عليه إلى قضية تحمل دلالات ومعان كبيرة، وتنطوي على اسرار وحقائق منيرة، وتنفث عن أبواب وفروع كثيرة، الا وهي قضية زواج عليه السلام من فاطمة & ذلك الزواج الذي احيط بالعناية الربانية والألطف الألهية فصار اشعاعاً للأنوار القدسية، حيث اتت الشجرة المباركة اكلها، واضاءت للعالمين سبلها. وان القوم الذين خاطبهم علي عليه السلام على اطلاع وعلم ومعرفة وفهم من هذه الكلمة وماذا تعني والى أي شيء تشير، تشير إلى البيت العلوي الفاطمي الذي اذن الله ان يرفع وان حاول القوم وضعه ودفعه، تشير إلى النور الذي ابى الله إلا ان يتمه وان كره القوم الذي ابعدوا علياً واقصوه، تشير إلى الفضل العظيم الذي آتاه الله أهل البيت على رغم انوف الحاسدين، تشير إلى الادوار والاطوار المنزلة من وراء الحجب والاستار في شأن آل النبي الاطهار، تشير إلى الكوثر الذي عمَّ خيره الزمان والمكان واغاض البتر المنقطين أولي الاضغان، تشير إلى الحقائق الساطعة والانوار اللامعة والصفات الجامعة للزهراء البتول بضعة الرسول، من النشأة والبداية إلى المنتى والغاية، ومن الولادة إلى الشهادة.

واداءً لأقل الواجب من حقها سلام الله عليها نشير إلى بعض شأنها في نشأة الحياة الدنيا، منها انعقاد نطفتها.

فقد روى ابن الغازلي بإسناده عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثُر القُبُل لفاطمة، فقالت له عائشة: يا نبي الله إنك لتكثر قبل فاطمة؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: ان جبرئيل عليه السلام ليلة أسرى بي أدخلني الجنة واطعمني من جميع ثمار الجنة، فصار

ماء في صلبى ، فواقعت خديجة فحملت خديجة بفاطمة فإذا اشتقت إلى تلك الثمار قبلت فاطمة ، فأصبت من رائحتها قِصم الثمار التي أكلتها^(١) .

وفي الدر المنثور للسيوطي قال : أخرج الطبراني عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : لما أسرى بي إلى السماء ، أدخلت الجنة ، فوقعت على شجرة من اشجار الجنة لم أرَ في الجنة أحسن منها ولا أبيض ورقاً ولا أطيب ثمرة ، فتناولت ثمرة من ثمراتها فأكلتها فصارت نطفة في صلبى ، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ، فإذا انا اشتقت إلى ريح الجنة شممت ريح فاطمة^(٢) .

وأخرج الحاكم في المستدرک وابن المغازلي في المناقب عن سعد بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : أتاني جبرائيل عليه الصلاة والسلام بسفرجلة من الجنة فأكلتها ليلة أسرى بي ، فعلقت خديجة بفاطمة ، فكنت إذا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة^(٣) .

أقول : سارع الذهبي وغيره من المخالفين إلى تكذيب هذه الروايات بناءً على ما تصالحوا عليه في ما بينهم من ان ولادة الزهراء & قبل المبعث بخمس سنوات ، والحق ما ذهب إليه أئمة أهل البيت من أولاد فاطمة & وهم ادرى بما في البيت من ان ولادتها في السنة الخامسة من البعثة ، وقد وافقهم بعض أهل الخلاف على بعض ذلك كابن عبد البر أبي عمر في الاستيعاب قال : قال ابن السراج سمعت عبد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي يقول : ولدت فاطمة رضي الله عنها سنة احدى واربعين من مولد النبي ﷺ^(٤) ، يعني بعد البعثة بسنة .

() :

() / :

() / :

() / :

والحاكم النيسابوري في المستدرک بنفس السند المتقدم الهاشمي هذا عن أبيه عن جده قال : ولدت فاطمة & سنة احدى وأربعين من مولد رسول الله ﷺ (١).

وباسناد آخر عن جعفر بن محمد ﷺ ولدت على رأس سنة احدى وأربعين من مولد النبي ﷺ (٢).

فليس الأمر عند القوم كما زعمه الذهبي وغيره ، وفي كتبهم ومصادرهم ما يفند زعمه ويؤيد قول الحق منها ما أخرجه البخاري في ترجمة مجالد ، وخرجه عنه الذهبي في ميزانه ، وابن حجر في لسانه بالاسناد إلى ابن عباس قال : لما ولدت فاطمة بنت رسول الله سماها المنصورة ، فنزل جبرائيل فقال : يا محمد الله يقرئك السلام ، ويقرئك مولودك السلام وهو يقول : ما ولد مولد أحب إليّ منها ، وانها قد لقبها باسم خير مما سميتها : سماها فاطمة لأنها تطفم شيعتها من النار .

وفي نزول سورة الكوثر وسببها دليل قوي على ذلك حيث قال مفسرو القوم ومؤرخوهم أنها نزلت في العاص بن وائل ومن جراه وما شاه عندما مات ابن لرسول الله ﷺ ولد في الإسلام ، هذا مع اتفاقهم على ان فاطمة اصغر أولاد رسول الله ﷺ ، وهذا ظاهر من السورة المباركة حيث ان لسانها لسان الامتنان على رسول الله ﷺ في الحياة الدنيا ، والرد على شائبه كذلك .

وما ورد في تفسير الكوثر وانه نهر في الجنة فعلى فرض صحته لا يتنافى مع ظاهر السورة من بقاء نسل رسول الله ﷺ وذريته بفاطمة & كما أعلن هو ﷺ كراراً ومراراً قوله «ان الله جعل ذريتي في صلب علي ابن أبي طالب» وقوله : «كل بني اثنى فان عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فاني انا عصبتهم وانا أبوهم» مع اختلاف

() / :

() / :

النشأتين إذ هذا الامتنان في الحياة الدنيا وذاك النهر في الجنة والآخرة، والمعنى هذا ينسجم تمام الانسجام مع القاعدة القائلة: «حسبنا كتاب الله» التي أسسها الخليفة إذ انه الظاهر من كتاب الله للقرائن اللفظية والمقامية.

زواجها بأمر من الله عز وجل

الروايات الواردة في زواج فاطمة من علي (عليه السلام) بأمر من الله سبحانه وتعالى كثيرة جداً، وتتبع هذه الروايات وإيرادها يحتاج إلى كتاب مستقل، والذي يلفت النظر في جميع هذه الروايات الاهتمام الرباني والنبوي في تفاصيل هذا الأمر، من الخطبة والعقد والزفاف والزواج والوليمة وغيرها، مما يكشف عن اعداد وتمهيد وتوطئة وتعبيد من قبل السماء في بناء هذه الاسرة، وكفي تكون الامة مهية مستعدة لقبول الامر الالهي في زعامة هذا البيت وقيادته، وقد قام نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله) والى آخر لحظة من حياته المباركة ببيان هذا المعنى بشتى الطرق والاساليب، ونحن على سبيل المثال نذكر بعض هذه الروايات.

فقد اخرج الفقيه ابن المغازلي بسندين عن جابر قال: دخلت أم أيمن على النبي (صلى الله عليه وآله) وهي تبكي، فقال لها النبي (صلى الله عليه وآله) ما يبكيك لا أبكا الله عينيك، قالت: بكيت يارسول الله لأنني دخلت منزل رجل من الانصار وقد زوج ابنته رجلاً من الانصار، فنثر على رؤوسهم لوزاً وسكراً، فذكرت تزويجك فاطمة من علي ولم تنثر عليها شيئاً، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): لا تبكي يا أم أيمن فوالذي بعثني بالكرامة واشخصني بالرسالة ما أنا زوجته ولكن الله تبارك وتعالى زوجه من فوق عرشه، وما رضيت حتى رضي علي، وما رضي علي حتى رضيت وما رضيت حتى رضيت فاطمة، وما رضيت فاطمة حتى رضي الله رب العالمين.

يا أم أيمن لما زوج الله تبارك وتعالى فاطمة من علي أمر الملائكة المقربين ان يحدقوا بالعرش ، وفيهم جبرئيل وميكائيل واسرافيل ، فأحدقوا بالعرش ، وأمر الحور العين ان يتزين ، وأمر الجنان ان تزخرف ، فكان الخاطب الله تبارك وتعالى والشهود الملائكة^(١).

وأخرج الحافظ الكنجي وغيره بإسناده عن أنس قال : بينا أنا قاعد عند النبي ﷺ إذ غشيه الوحي فلما سرى عنه قال : يا أنس تدري ما جاءني به جبرئيل من صاحب العرش؟ قلت : الله ورسوله أعلم بأبي وأمي ما جاء به جبرئيل؟ قال : ان الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة علياً ، انطلق فأدع لي المهاجرين والانصار. قال فدعوتهم فلما أخذوا مقاعدهم قال النبي ﷺ : « الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع بسلطانه ، المرغوب إليه فيما عنده ، المرهوب عذابه ، النافذ امره في أرضه وسمائه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وميزهم باحكامه ، واعزهم بدينه ، واکرمهم بنبيه محمد ، ثم ان الله تعالى جعل المصاهرة نسباً وصهرًا ، فأمر الله يجري إلى قضائه ، وقضاؤه يجري إلى قدرة ، فلكل قدر أجل ولكل أجل كتاب (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (الرعد/٣٩).

ثم ان الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة بعلي ، فأشهدكم اني قد زوجته على أربعمئة مثقال فضة إن رضي بذلك علي».

وكان علي عليه السلام غائباً قد بعثه رسول الله ﷺ في حاجته ، ثم أن رسول الله ﷺ أمر بطبق فيه بسر فوضع بين ايدينا ، ثم قال : انتهبوا فيينا نحن نتهب إذ اقبل علي عليه السلام فتبسم إليه النبي ﷺ ثم قال : يا علي ان الله أمرني ان ازوجك فاطمة فقد زوجته على أربعمئة مثقال فضة إن رضيت ، فقال علي عليه السلام : قد رضيت

يارسول الله، ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام مال فخر ساجداً شكراً لله تعالى، وقال: الحمد لله الذي حببني إلى خير البرية محمد رسول الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بارك الله عليكم، وبارك فيكما، واسعدكما، واخرج منكما الكثير الطيب. قال أنس: فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيب^(١).

قال الحافظ الكنجي: هذا حديث حسن عال.

قال ابن حجر العسقلاني في الاصابة: وأخرج الدولابي في الذرية الطاهرة بسند جيد عن عبد الله بن بريد عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بنى علي عليه السلام بفاطمة & لا تحدثن شيئاً حتى تلقاني، فدعا بماء فتوضأ منه ثُمَّ أفرغه عليهما وقال: اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما^(٢).

وقال ابن حجر الهيثمي في الصواعق: واخرج النسائي بسند صحيح ثُمَّ ذكر الرواية والدعاء هذا لعلي وفاطمة^(٣).

يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها

كلمة نطق بها من لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى، وقول فصل على لسان من أرسله الله رحمة للعالمين، وبيان ممن نزل عليه القرآن الذي هو (تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ) وما جرى على فاطمة وبعلمها وبنيتها شيء اهتز له الكون ولم يهدأ.

() : / / :

· / :

() : / :

() : :

فهذا المنطوق وهذا القول وهذا البيان عين الحقيقة والواقع وناظر ومهيمن على الزمان والمكان ولم يصدر عن النبي ﷺ لمجرد عاطفة وشفقة وحنان، بل يريد ان يوضح للأمة الحق المبين ويدلهم على قادة الدنيا والدين.

انها آية من آيات رسول الله ودلالة من دلائله لكي تستدل بها الأمة في معرفة الحق من الباطل حيث رضى فاطمة وغضبها، آية قائمة دائمة إلى يوم البعث المعلوم، وشاء الملك الحي ان يذكرها علماء القوم، كي تتم الحجة وتتقشع السحب والغيوم، فقد رووا في مصادرهم عن علي ﷺ ان رسول الله ﷺ قال: «يا فاطمة إن الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك»^(١).

حقيقة شدهت وأدهشت التابع والمتبوع والسابق واللاحق والأكابر والاصاغر من المخالفين والمعاندين، ولكن السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه وكل يحن إلى طينته وأصله، فطفقوا ينافحون ويدافعون ويكافحون عن أسيادهم وقادتهم بروايات مسمومة وقنابل كيماوية وبخلط السم بالعسل فقالوا:
عن المسور بن مخرمة ان علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأنت رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح

()

:

:

/ / :

/ :

:

:

:

/ :

:

:

:

» :

«

:

:

/

بنت أي جهل. فقام رسول الله ﷺ وقال: أما بعد، انكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني، وان فاطمة بضعة مني، وان اكره ان يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد. فترك علي الخطبة^(١).

وعن ابن محزمة أيضاً، انه سمع رسول الله ﷺ على المنبر يقول: ان بني هشام بن المغيرة استأذنونني ان ينكحوا علي بن أبي طالب، فلا آذن لهم ثم لا آذن ثم لا

()

:

.....

ﷺ

!

ﷺ

ﷺ

.(

)

:

ﷺ

أذن لهم. إلا ان يحب ابن أبي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما هي بضعة مني ، يريني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها^(١).

وعن ابن هشام ان علي بن حسين حدثه : انهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية مقتل حسين بن علي رمة الله عليه ، لقيه المسور بن مخرمة ، فقال له : هل لك اليّ من حاجة تأمرني بها؟ فقلت له : لا ، فقال له : فهل انت معطي سيف رسول الله ﷺ فإنني أخاف ان يغلبك القوم عليه ، وايم الله لئن أعطيتنيه لا يخلص إليهم أبداً ، حتى تبلغ نفسي ، ان علي بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل على فاطمة ، فسمعت رسول الله ﷺ يخطب الناس في ذلك على منبره هذا ، وانا يومئذ محتلم ، فقال : ان فاطمة مني ، وانا أتخوف ان تفتن في دينها^(٢).

أقول : اتفقت الامة الاسلامية على ان آية التطهير نزلت في الخمسة أصحاب الكساء ، واتفقت على نزول آية المبالهة فيهم ، واتفقت على نزول آية المودة فيهم ، وهكذا عشرات الآيات بحيث جعلهم الله اسوة وقدوة ومثالاً ، وانهم في أعلى درجات الكمال ، فبعد كل هذا هل يعقل ان يكون بيتُ الطهارة والقدس ومهبط الوحي والملائكة ، وبيت التزكية والترقية والتعليم والهداية بيتَ تشاجر وتناحر ، واذا بعلي وفاطمة ورسول الله كلهم اعصاب متوترة وجمرات مستعرة واذا باصحاب الكساء يخرجون عن طورهم واشدهم خروجاً رسول الله ﷺ حيث قال الراوي (لا أذن لهم ثم لا أذن لهم ثم لا أذن لهم إلا ان يفارق ابن أبي طالب...).

()

()

غفرانك اللهم وعفوك! النبي الذي اتسع قلبه للمشركين والمنافقين والطلاق لا يتسع قلبه لأخيه وابن عمه وباب مدينة علمه والذي بات يقيه ويفديه بنفسه ليلة الهجرة.

ثم ان المتتبع لسيرتهما عليهما أفضل الصلاة والسلام يجد الخلق الرفيع والادب الكامل في التخاطب والحوار، فما كان رسول الله ﷺ يخاطب علياً عليه السلام إلا بأجمل ما يكون مثل أخي وابن عمي ويا علي ويا أبا الحسن وغيرها من الالفاظ الجميلة حسب مقتضيات الحال والمقام.

وما في هذه الرواية شذوذ عن تلك الطريقة مما يجعلها ومن يعتقد بها مصداقاً لقوله تعالى (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ).

انه الحقد والحسد وردود فعل وارتباك واضطراب وخلط وتخبط امام الحقيقة التي قالها رسول الله ﷺ «فاطمة بضعة مني يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها» وأمثالها وأمام الواقع الخارجي الذي ي

قول ان فاطمة ماتت وهي غضبي أو هي واجدة على الشيخين.

أرادوا بهذا الخلط المتعمد ان يخففوا من وطأ هذه الحقيقة وان يقولوا ان رضا فاطمة وغضبها ليس مداراً ومناطاً لرضا الله سبحانه وتعالى وغضبه، فهذا هي فاطمة غضبت على علي عليه السلام عندما خطب ابنة أبي جهل، ولا شك ولا ريب ان علياً من أهل الجنة وحامل لواء الحمد يوم القيامة. إذن لا ضير ولا غضاضة إذا غضبت فاطمة على الشيخين وماتت وهي واجدة عليهما.

أرادوا ان يخففوا من عقدة الشعور بالافلاس والنقص، انها عادة مطردة عند القوم يثيرون حول كل منقبة لعلي أو لاهل بيته غباراً قائماً لانهم لا يبصرون إلا في ظلام.

أيغضب رسول الله ﷺ وتغضب فاطمة بمجرد خطبة ولا يغضبنا من وقوع نكاح وعرس فقد روى أئمة القوم عن بريدة قال: أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه احداً قط، واحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغض علي، قال: فُبِعِثَ ذلك الرجل على خيل فصحبته، ما صحبته إلا على بغضه علياً، فأصبنا سبياً، قال: فكتب ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ: ابعث الينا من يخمسه. فبعث الينا علياً - وفي الخمس وصيفة هي من أفضل السبي - فخمس وقسم فخرج ورأسه يقطر. فقلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟ قال: ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي؟ فإني قسمت وخمست فصارت في الخمس، ثم صارت في أهل بيت رسول الله ﷺ ثم صارت في آل علي فوقعت بها. قال فكتب الرجل إلى نبي الله ﷺ فقلت: ابعثني فبعثني مصدقاً، قال: فجعلت أقرأ الكتاب وأقول: صدق، قال فأمسك رسول الله ﷺ يدي والكتاب وقال: أتبغض علياً؟ قال: قلت نعم. قال: لا تبغضه وان كنت تحبه فازدد له حبا، فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة^(١).

وفي المحلى لابن حزم بإسناده عن بريدة ان رسول الله ﷺ بعث علياً إلى خالد ليقسم الخمس فاصطفى علي منها سبية فاصبح يقطر رأسه، فقال لبريدة: ألا ترى ما صنع هذا الرجل؟ قال بريدة: وكنت ابغض علياً، فأتيت نبي الله ﷺ فلما أخبرته، قال: أتبغض علياً؟ قلت: نعم، قال: فأحبه فان له في الخمس أكثر من ذلك^(٢).

قال ابن حزم: وهذا اسناد في غاية الصحة وفي غاية البيان.

وفي مسند أحمد عن بريدة أيضاً قال: بعث رسول الله ﷺ بعثين إلى اليمن، على أحدهما علي بن أبي طالب وعلى الآخر خالد بن الوليد، فقال ﷺ: إذا التقيتم فعلي على الناس، وإن افرقتما فكل واحد منكما على جنده، قال: فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتلنا فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا مقاتلة وسينا الذرية، فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه، قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك، فلما أتيت النبي ﷺ دفعت الكتاب، فقرأ عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، هذا مكان العائد، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول الله ﷺ: لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي، وأنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي^(١).

وفي صحيح البخاري عنه أيضاً، قال: بعث النبي ﷺ علياً إلى خالد، ليقبض الخمس، وكنت أبغض علياً، وقد اغتسل، فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا؟ فلما قدمنا على النبي ﷺ ذكرت ذلك له، فقال: «يا بريدة أتبغض علياً؟ فقلت: نعم قال: لا تبغضه، فإن له من الخمس أكثر من ذلك^(٢)».

فلماذا لم تغضب فاطمة هنا والداعي والمقتضي واحد؟ ولماذا لم يغضب رسول الله ﷺ بل انه ﷺ غضب على هؤلاء الذين شكوا علياً، واغتنم الفرصة لبيان منزلة علي ومكانته وإن حقه أكثر من ذلك وأعظم.

() / :

() :

ومن هذه الروايات المسمومة في هذا الباب ما رووه في سبب تسميته بأبي تراب. فقد روى مسلم عن سهل: ان رجلاً من آل مروان قال له: اخبرنا عن قصته لِمَ سُميَ أبا تراب؟

قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة، فلم يجد علياً في البيت فقال: اين ابن عمك؟ فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج، فلم يقل عندي، فقال رسول الله ﷺ لانسان انظر أين هو؟ فجاء فقال: يارسول الله، هو في المسجد راقد. فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه، فصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسه عنه ويقول: قم أبا تراب، قم أبا تراب^(١).

والخبر الصحيح في تسميته بأبي تراب ما روي عن عمار بن ياسر قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة فلما نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها رأينا أناسا من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل فقال لي علي يا أبا اليقظان هل لك أن تأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون؟ قال: قلت: إن شئت، فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة ثم غشنا النوم، فانطلقت أنا وعلي فاضطجعنا في صور من النخل في دقعاء من التراب فمنا فوالله ما أنبها إلا رسول الله ﷺ يحر كنا برجله وقد تترنا من تلك الدقعاء التي نمنا فيها فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي يا أبا تراب لما يرى مما عليه من التراب ثم قال ألا أحدثكما بأشقى الناس قلنا بلى يا رسول الله قال أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه ووضع يده على قرنه حتى يبيل منها هذه وأخذ بلحيته^(٢).

()

()

: / :



أسباب التخبط والخلط

هو ما أشرنا إليه آنفاً من حقائق أربكت الخلفاء واتباعهم، وشاء الله العليم الحكيم ان تذكر وتسطر في كتبهم ومصادرهم، ولله الحجة البالغة.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: والصحيح عندي أنها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر، وأنها أوصت ألا يصلوا عليها، وذلك عند أصحابنا من الأمور المغفورة لهما، وكان الأولى بهما إكرامها واحترام منزلها لكنهما خافا الفرقة واشفقوا من الفتنة ففعلا ما هو الأصلح بحسب ظنهما^(١).

/ :

: / :

:

:



»:»

»:»

«.

:

«.

/ :

/ :

()

وفي صحيح البخاري عن عروة بن الزبير عن أم المؤمنين عائشة: ان فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ: ان يقسم لها ميراثها، ما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه.

فقال لها أبو بكر: ان رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة. فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر، فلم تنزل مهاجرته حتى توفيت^(١).

وفيه عن عائشة أيضاً ان فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ ارسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خبير، فقال أبو بكر: ان رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة....

فأبى أبو بكر ان يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها ابا بكر وصلى عليها^(٢).

وفيه عن عائشة أيضاً ان فاطمة والعباس عليهما السلام، أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذٍ يطلبان أرضهما من فدك، وسهمهما من خبير. فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركنا صدقة.... فهجرته فاطمة، فلم تكلمه حتى ماتت^(٣).

وروى ابن قتيبة في الامامة والسياسة بعد قول أبي بكر ما تركنا فهو صدقة: فقالت فاطمة: أرايتكما ان حدثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم. فقالت: نشدتكما الله الم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: (رضا فاطمة من

()

()

()

رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمن احب فاطمة ابنتي فقد احبني ومن ارضى فاطمة فقد ارضاني ومن اسخط فاطمة فقد اسخطني)؟ قالوا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ.

قالت: فاني أشهد الله وملائكته أنكما اسخطتماني وما ارضيتماني ولئن لقيت النبي [أبي] ﷺ لاشكونكما إليه، فقال أبو بكر: انا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتى كادت نفسه ان تزهب، وهي تقول: والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها^(١).

هجوم القوم على الدار:

قال ابن قتيبة: وان ابا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا ان يخرجوا فدعا بالخطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له: يا ابا حفص، إن فيها فاطمة؛ فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا إلا علياً فإنه زعم أنه قال: حلفت ان لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن.

فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقاً. فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقتنذ وهو مولى له: اذهب فادع لي علياً، قال فذهب إلى علي فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي: لسريع ما كذبتم على رسول الله ﷺ، فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً. فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقتنذ: عد إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قننذ، فأدى ما أمر به، فرفع علي صوته فقال: سبحان الله! لقد ادعى ما ليس له، فرجع قننذ، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً.

ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة، فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادى بأعلى صوتها: يا أبة يارسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة. فلما سمع القوم صوتها وبكاءها أنصرفوا باكين وكادت

قلوبهم تنصدع ، وأكبادهم تنفطر ، وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا عليا فمضوا به الى أبي بكر^(١) .

وقال ابن عبد ربه الأندلسي : الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر علي والعباس والزبير وسعد بن عباد ففعدوا في بيت فاطمة ، حتى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة ، وقال له : إن أبوا فقاتلهم . فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار ، فلقيته فاطمة فقالت : يا ابن الخطاب ، أجيئت لتحرق دارنا؟! قال نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة^(٢) .

قال شاعر النيل حافظ إبراهيم :

وقولة لعلي قالها عمر أكرم بسامعها اعظم بملقيها
حرقت دارك لا أبقى عليك بها ان لم تباع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها امام فارس عدنان وحاميه^(٣)

ولهذا تمنى أبو بكر ترك هذا الامر عندما حضره الموت فقال : وأما الثلاث اللاتي وددت أنني تركتهن ، فوددت أنني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وان كانوا قد غلقوه على الحرب^(٤) .

قال ابن أبي الحديد : وأما حديث الهجوم على بيت فاطمة & فقد تقدم الكلام فيه ، والظاهر عندي صحة ما يرويه المرتضى والشيعية ، ولكن لا كل ما يزعمونه ،

() : / .

() : / .

() : / () .

() : / : / :

بل كان بعض ذلك ، وحق لأبي بكر ان يندم ويتأسف على ذلك ، وهذا يدل على قوة دينه وخوفه من الله تعالى ، فهو بأن يكون منقبة له أولى من كونه طعناً عليه^(١) .

سبحان واهب العقول للانام ، هكذا فلتُصنع المناقب والفضائل وإلا فلا ، فقله تعالى في أخوة يوسف (وَجَاؤُوا آبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ) وغيرها من الآيات التي أظهر فيها الخاسرون ندمهم وتأسفهم منقبة لهم !!

سيدة نساء العالمين:

وفي صحيح البخاري «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»^(١)، وعن عائشة ان النبي ﷺ قال في مرضه الذي توفي فيه: «يا فاطمة ألا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الأمة وسيدة نساء المؤمنين»^(٢).

()

()

()

ﷺ

»:

«

»

«

«

»

«

» ﷺ

.()

(

)

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «أفضل نساء العالمين خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»^(١).

وفي مسند أحمد عن ابن عباس أيضاً قال : خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط ، قال : أتدرون ما هذا؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال ﷺ : «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»^(٢).

وفيه عن أنس بن مالك ، ان النبي ﷺ قال : «حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة ابنة محمد ، وآسية امرأة فرعون»^(٣).

وقال السيوطي في الدر المنثور : واخرج أحمد والترمذي وصححه ، وابن المنذر وابن حبان والحاكم عن انس. ثم ذكر الحديث^(٤).

وقال : أخرج ابن عساكر عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : «أربع نسوة سيدات عالمهن : مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وافضلهن عالماً فاطمة»^(٥).

() : / :

() : / / :

() : / :

() : / :

() : / :

:



فاطمة مع أبيها

أخرج أحمد في مسنده عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر آخر عهده بانسان من أهله فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة»^(١).
 وروى ابن المغازلي بإسناده عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: لما نزلت على النبي ﷺ (تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) قالت فاطمة: فتهيئت النبي ﷺ أن أقول له: يا أبة فجعلت أقول له: يا رسول الله، فأقبل عليّ فقال لي: يا بنية لم تنزل فيك، ولا في أهلك من قبل، أنت مني وأنا منك، وإنما نزلت في أهل

}:

}

{

{

ﷺ

/ : ()

الجفاء والبذخ والكبر، قولي: يا أبة، فانه أحب للقلب وأرضى للرب، ثمّ قبل النبي جبهتي ومسحني بريقه فما احتجت إلى طيب بعده^(١).

وأخرج البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين قالت: إنا كنا أزواج النبي ﷺ عنده جميعا لم تغادر منا واحدة، فاقبلت فاطمة عليها السلام تمشي، لا والله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله ﷺ فلما رآها رحب وقال: «مرحبا بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها فبكت بكاء شديدا فلما رأى حزنها سارها الثانية، إذا هي تضحك فقلت لها انا من بين نساته: خصك رسول الله ﷺ بالسر من بيننا ثم انت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: عما سارك؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره، فلما توفي، قلت لها: عزمت عليك بمالي عليك من الحق لما أخبرتني قالت: اما الآن فنعم، فأخبرتني، قالت: اما حين سارني في الامر الأول، فانه أخبرني: ان جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، وانه قد عارضني به العام مرتين ولا ارى الأجل الا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فاني نعم السلف انا لك. قالت: فبكيك بكائي الذي رأيت فلما رأى جزعي سارني الثانية قال: يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة^(٢).

()

()

انها ابنته حقاً:

قول أو رأي للزهري رواه أحمد بن حنبل في مسنده، قال: قال الزهري: وكانت ابنة رسول الله حقاً^(١).

ومال إلى هذا القول المحققون من اتباع أهل البيت ﷺ بل هو المشهور عندهم، من ان فاطمة ابنته على نحو الحقيقة وغيرها من باب المسامحة والمجاز وانهن بنات أخت أم المؤمنين خديجة سلام الله عليها أو انهن بنات زوج اختها، وفي مصادر القوم ما يشير إلى ان من خصائص علي ﷺ انه صهر النبي وختنه.

ففي كلام لابن عمر رداً على من سأله عن قوله في علي وعثمان؟ قال: أما عثمان فكان الله عفا عنه، وأما أنتم فكرهتم أن تعفوا عنه. وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأشار بيده فقال: هذا بيته حيث ترون. وفي أخرى وهذه ابنته أو بنته حيث ترون^(٢).

وروى النسائي عن اسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: اما أنت يا علي فختني وابو ولدي، وأنت مني وأنا منك^(٣).

وروى عن أبي نجيح: أن معاوية ذكر علي بن أبي طالب، فقال سعد بن أبي وقاص: والله لان تكون لي احدى خلاله الثلاث أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس فذكر حديث المنزلة، وحديث الراية ثم قال: ولان أكون كنت

() : /

()

()

صهره على ابنته، لي منها الولد ماله، أحب الي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس^(١).

وروى ابن عساكر بإسناده عن أبي هريرة قال: قال عمر بن الخطاب: لقد أعطى علي بن أبي طالب ثلاث خصال، لأن تكون لي خصلة منها أحب إليّ من أن أعطى حمر النعم قيل: وما هنّ يا أمير المؤمنين؟ قال: تزويجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وسكناه المسجد مع رسول الله ﷺ لا يحل لي فيه ما يحله له، والراية يوم خيبر^(٢).

وفي الرياض النضرة للمحب الطبري قال: روى أبو سعيد في شرف النبوة ان رسول الله ﷺ قال لعلي: أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا، أوتيت صهراً مثلي ولم أؤت انا مثلك، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي ولم أؤت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أؤت من صلبي مثلهما ولكنكم مني وأنا منكم.

قال: وأخرج معناه ابن موسى الرضا في مسنده وزيادة في لفظة (يا علي أعطيت ثلاثاً لم يجتمعن لغيرك، مصاهرتي، وزوجك، وولديك، والرابعة لولاك ما عرف المؤمنون)^(٣).

وروى ابن عساكر أيضاً هذا المعنى والمضمون عن ابن عمر بعدة طرق واسانيد وقول علي ﷺ المتكرر مفتخراً بزواجه من ابنة رسول الله ﷺ منه ما نحن في صدده حيث قال: هل فيكم احد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت محمد؟ قالوا: اللهم لا.

() : / .

() : / .

() : / .

وعلى كل حال ، أراد أمير المؤمنين (عليه السلام) من هذه الفقرة في مناشدته أن يذكر القوم بالاختيار الإلهي والإرادة الربانية في بناء هذه الأسرة وهذا البيت وهو سبحانه وتعالى العالم المحيط بالزمان والمكان ، فارادة الله واختياره أولى بالاتباع من إرادة أصحاب السقيفة واختيارهم.

وان وقوف فاطمة معه والى جنبه وهي سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها من دلائل النبوة والإمامة في معرفة الحق وأهله والباطل وأهله.

:

()

:

الشرح:

حجة من حجج رسول الله ﷺ البالغة ، وبيان من أقواله الصادقة الصاطعة ، طالما سمعها المسلمون من رسول الله ﷺ في حق سبطيه وابنيه الحسن والحسين ، فحفظها وتمسك بها من كَتَبَ اللهُ له الهداية ، واضاعها وتركها من سار على نهج أبي سفيان ومعاوية.

()

/ :

:

/ :

:

كلمات تَفَتَنَ النبي ﷺ في بيانها بأساليب عذبة لطيفة، والفاظ جميلة منيفة، فانشرحت بها صدور الطيبين، وخشعت لها قلوب المؤمنين، وأبى القساة الاشقياء إلا نفوراً.

كلمات قالها النبي ﷺ لتكون مصباحاً وقبساً يستنير بها طالب الحق إذا داهمه الظلام وهاجمه الطغام.

كلمات من قبل الشاهد والمبشر والمنذر والمحذر، يعلم مستقبل أمته وحاضرها وغائبها فنصب لهم دلالات وآيات وعلامات وبالنجم هم يهتدون.

بلاغ وبيان يجب ان يتبع ويحمل على الجد والفصل لا على اللعب والهزل، فحاشا رسول الله ﷺ من الهزل في القول والفضول في الكلام كما تأول كلامه المخالفون بالترضي والترحم على من حارب الحسن والحسين وأباهما من قبل!! وان تعجب فعجب قولهم ان القوم اجتهدوا فللمصيب أجران وللمخطأ أجر واحد، وهذا من أبرز مصاديق الاستهزاء برسول الله ﷺ وكلامه وحمله على اللعب والهزل (قُلِ اسْتَهْزِؤُوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحَدَّرُونَ) لان الترحم والترضي على علي ﷺ ومن خالفه وعلى الحسن ومن خالفه وعلى الحسين ومن خالفه قول من لا يقيم للمبدأ والعقيدة والقيم وزنا، وقول من لا يفرق بين الحق والباطل، وقول من اتخذ دينه هزواً ولعباً، وضرب من العبث الذي نفاه الله عن الخلق والإيجاد.

فالحسن والحسين يقودان ويهديان من اتبعهما إلى الجنة والى مرضاة الله، ومن خالفهما يقود من اتبعه إلى النار وغضب الله، والاجتهاد مقابل هذه النصوص من أساليب السراق للنصوص.

وعلي ﷺ في هذه الفقرة من مناشدته أعاد إلى ذاكرة القوم تلك المفخرة العظيمة والمنقبة الكريمة في سبطي رسول الله ﷺ الحسن والحسين ليقول للقوم انهما مني

وإليّ وانهما معي جنباً إلى جنب وهما من أهل بيت القدس والطهارة الذين لا يقاس بهم أحد من هذه الأمة أو الأمم السابقة.

وحق لأمير المؤمنين ان يفتخر بالحسن والحسين وفاطمة وحمزة وجعفر كما مرّ بنا، لانهم أنوار ومصايح وقادة وهداة (صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) وقد أفتخر بهم أيضاً في جوابه على ابن آكلة الأكباد.

فقد روى ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: كتب معاوية إلى علي بن أبي طالب عليه السلام: يا أبا الحسن ان لي فضائل كثيرة، وكان أبي سيداً في الجاهلية وصرت ملكاً في الإسلام وانا صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وخال المؤمنين وكاتب الوحي! ^(١)

فقال علي عليه السلام: أبالفضائل يفخر عليّ ابن آكلة الأكباد! ثمّ قال: اكتب يا غلام:

محمد النبي أخي وصهري	وحمزة سيد الشهداء عمّي
وجعفر الذي يمسي ويضحى	يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي	مسوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطاً أحمد ولداي منها	فايكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طرا	صغيراً ما بلغت أو ان حلمي



() : / :

فقال معاوية: اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلون إلى ابن أبي طالب^(١).

وقد سبق علينا في هذه المفاخرة والمباهاة رسول الله ﷺ فقد روى ابن عساكر عن علي بن علي الهلالي عن أبيه قال: دخلت على رسول الله في شكاته التي قبض فيها فإذا فاطمة عند رأسه تبكي قال: فبكت حتى ارتفع صوتها فرفع رسول الله ﷺ طرفه إليها فقال: حبيتي فاطمة ما الذي يبكيك؟ قالت: أخشى الضيعة من بعدك فقال: أما علمت أن الله أطلع على الأرض اطلاعة فاختر منها أباك فبعثه برسالته ثم اطلع اطلاعة فاختر منها بعلك وأوحى إلي أن أنكحك أياه يا فاطمة ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم يعط أحد قبلنا ولا يعطى أحد بعدنا: أنا خاتم النبيين وأكرم النبيين على الله وأحب المخلوقين إلى الله، وأنا أبوك ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله وهو بعلك وشهيدنا خير الشهداء وأحبهم إلى الله وهو حمزة بن عبد المطلب وهو عم أبيك وعم بعلك ومنا من له جناحان أخضران يطير في الجنة مع الملائكة حيث شاء وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابنك الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما - والذي بعثني بالحق - خير منهما.

فاطمة والذي بعثني بالحق إن منهما مهدي هذه الأمة إذا صارت الدنيا هرجاً مرجاً وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل وأغار بعضهم على بعض فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقر كبيراً فيبعث الله عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة

() / : / : / :

: / : :

:

:

وقلوباً غلفاً يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان ويملاً الدنيا عدلاً
كما ملئت جوراً.

يا فاطمة لا تحزني ولا تبكي فإن الله أرحم بك وأرأف مني عليك وذلك لمكانك
مني وموضعك من قلبي وزوجك الله زوجك وهو أشرف أهل بيتي حسبا وأكرمهم
منصبا وأرحمهم بالرعية وأعدلهم بالسوية وأبصرهم بالقضية وقد سألت ربي عزّ
وجلّ أن تكوني أول من يلحقني من أهل بيتي.

قال علي: فلما قبض النبي ﷺ لم تبق فاطمة بعده إلا خمسة وسبعين يوماً
حتى ألحقها الله به ﷺ^(١).

() : / :

أحاديث في السبطين:

روى البخاري وغيره: إن رجلاً سأل ابن عمر عن دم البعوض، فقال ابن عمر: ممن أنت؟ فقال الرجل: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي ﷺ وسمعت النبي ﷺ يقول: «هما ريحانتي من الدنيا»^(١).

وعن أسماء بنت عميس قالت: قبلتُ فاطمة بالحسن ﷺ، فجاء النبي ﷺ فقال: يا أسماء هلمي ابني فدفعته إليه في خرقة صفراء، فألقاها عنه قائلاً: ألم أعهد اليك ان لا تلغوا مولوداً بخرقة صفراء فلففته بخرقة بيضاء فأخذه وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ثم قال لعلي ﷺ: أي شئ سميت ابني؟ قال: ما كنت لاسبقك بذلك فقال ﷺ: ولا أنا سابق ربي. فهبط جبريل ﷺ فقال: يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول لك: علي منك بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبي بعدك فسمي ابنك هذا باسم ولد هارون. فقال: وما كان اسم ابن هارون يا جبريل؟ قال: شبر. قال ﷺ: ان لساني عربي.

فقال: سمه الحسن ففعل ﷺ.

()

ﷺ

ﷺ

فلما كان بعد حول ولد الحسين عليه السلام. فجاءني نبي الله صلى الله عليه وآله فذكرت مثل الأول وسأقت قصة التسمية مثل الأول وان جبريل أمره أن يسميه باسم ولد هارون شبيب فقال النبي صلى الله عليه وآله مثل الأول فقال: سمه حسيناً^(١).

وروى القوم بأسانيدهم عن يعلى العامري: انه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى طعام دُعوا له قال: فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله امام القوم وحسين مع الغلمان يلعب، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله ان يأخذه، فطفق الصبي يفر هاهنا مرة وهاهنا مرة، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يضاحكه حتى أخذه قال: فوضع إحدى يديه تحت فباه والأخرى تحت ذقنه، فوضع فاه على فيه يقبله وقال: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»^(٢).

وروى ابن الجوزي عن عروة قال: قعد أبو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء الحسين بن علي فصعد المنبر وقال: انزل عن منبر أبي، قال له أبو بكر: منبر أبيك لا منبر أبي، منبر أبيك لا منبر أبي، فقال علي عليه السلام وهو في ناحية القوم: إن كانت لعن غير أمري^(٣).

وفي كنز العمال عن عبد الرحمن بن الاصبهاني قال: جاء الحسن بن علي إلى أبي بكر وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: انزل عن مجلس أبي، قال: صدقت إنه مجلس أبيك وأجلسه في حجره وبكى، فقال علي: والله ما هذا عن أمري، فقال: صدقت والله ما اتهمتك^(٤).

()

()

()

()

وقد جاد السبطان الحسن والحسين بكل غال ونفيس دفاعاً عن منبر أبيهم ومجلسه وخطه وفكره، وصبت عليهم المصائب والمحن من قبل حكام البغي والجور حتى قتل الحسن مسموماً بأمر من ابن آكلة الأكباد، وقتل الحسين مع أهل بيته في أكبر ملحمة وأعظم رزية عرفها التاريخ.



:

:

الشرح:

روى الطبري في تفسيره بأربعة طرق عن مجاهد قال: قال علي رضي الله عنه: آية من كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا جئت إلى النبي ﷺ تصدقت بدرهم، فنسخت فلم يعمل بها أحد قبلي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ).

وفي أسباب النزول للواحدي، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ان في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ) كان لي دينار فبعته بدراهم وكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفذ، فنسخت بالآية الاخرى (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المجادلة/١٣).

ومصادر وطرق هذه المنقبة كثيرة منها شواهد التنزيل للحسكاني، فقد ذكر ما يقرب من عشرين طريقاً، والمخشري في تفسير الآية والسيوطي في تفسيره الدر المنثور وكنز العمال: ٢ / ٢٢٠ والمعيار والموازنة لأبي جعفر الاسكافي و...

فهي عند أهل الفن والخبر في هذا المجال من الواضحات، وهي تنسف ما يذكر أو يروى من انفاق لغير علي عليه السلام من قبل بعض الاغنياء والأثرياء وانه جهز جيشاً وآخر أعتق نفوساً، فها هنا ينبغي ان يكون الانفاق بطريق أولى من قبل هؤلاء لوجود الخطاب والأمر الإلهي بقوله (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً).

ولا يمكننا ان نقول انهم لم يعلموا أو يشعروا بنزول الآية فحاشا لله ان يوبخ من لا يعلم بقوله: (أَأَشْفَقْتُمْ ان تقدموا...).

أجل لم يعمل بها إلا من فتح حصون خبير وحمل راية رسول الله وكان الفتح على يديه لان الجود والاقدام والشجاعة والكرم صفتان متلازمتان، اما من رجع يجبن أصحابه وهم يجبنونه فهو في ميدان الانفاق أشد جبناً.

لم يعمل بها إلا الحريص على العلم والمعرفة ولو كلفه ذلك قوت يومه، أما المتختم المتمول فلا يعبأ ولا يكثرث إذا فاتته الحضور بين يدي معلم الإنسانية.

عمل بها من صدق الله في قوله: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (سبأ/٣٩) فجاد بما عنده على خصاصة به لأنه أيقن ان الله مخلف عليه، فاما ضعفاء الإيمان فهم في شك وريب من قول الله هذا فأشفقوا أن يقدموا صدقات فكيف يسوس العباد والبلاد من أنهزم في ميادين الجهاد وآثر الدنيا وحطامها على دينه وكانت أحب إليه من الله ورسوله.

وفي علي عليه السلام من هذا الباب نزل قوله تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) ذكر كل من الواحدي في أسباب النزول والحسكاني في شواهد التنزيل وابن عساكر في تاريخ دمشق وابن مردويه في المناقب وابن الأثير في أسد

الغابة والزمخشري في الكشاف والسيوطي في الدر المنثور وآخرون غيرهم عن ابن عباس رحمه الله قال: نزلت في علي بن أبي طالب لم يكن عنده إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية.

ومن هذا الباب ما أخرجه أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده عن أبي ذر الغفاري قال: أما إني صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يديه إلى السماء وقال: اللهم اشهد اني سألت في مسجد نبيك محمد ﷺ فلم يعطني أحد شيئاً، وكان علي رضي الله عنه في الصلاة راکعاً فأوماً إليه بخصره، وذلك بمرأى من النبي ﷺ وهو في المسجد فرفع رسول الله ﷺ طرفه إلى السماء وقال: اللهم ان أخي موسى سألك فقال: ربّ اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشد به أزري وأشركه في أمري، فأنزلت عليه قرآنا: سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما.

اللهم واني محمد نبيك وصفيك اللهم واشرح صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشد به ظهري. قال أبو ذر رضي الله عنه: فما استتم دعاءه حتى نزل جبرئيل ﷺ من عند الله عز وجل وقال: يا محمد اقرأ (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة/٥٥) (١).

ولهذه المنقبة والفضيلة مصادر وطرق كثيرة، نذكر على سبيل المثال منها الواحدي في أسباب النزول والطبري في التفسير وابن عساكر في ترجمة الإمام علي ﷺ من تاريخ دمشق والزمخشري في الكشاف والفخر الرازي في التفسير والحاكم

الحسكاني في شواهد التنزيل وقد ذكر أكثر من عشرين طريقاً، والسيوطي في الدر المنثور والقرطبي في التفسير و...

وقد ذكر العلامة الأميني في كتابه الغدير ستة وستين رجلاً ممن أخرج هذه المنقبة في ج ٣ ص ١٥٦ - ١٦٢ وفي ج ٢ ص ٥٢ - ٥٣.

ولكن مما يضحك الثكلي وشر البلية ما يضحك، ان بعض من نصب البغض والعداء لعلي عليه السلام قال: ان هذا الحديث من الموضوعات وانه كذب (١) وافتراء!! وهذه هي وسيلة العاجز أمام الأدلة المتراكمة، كما وصف المشركون نبي الرحمة صلى الله عليه وآله بالجنون والكذب والافتراء.

يقول العلامة الأميني في الغدير: ليت شعري كيف ينسب هذا الرجل إلى أهل العلم اجماعهم على كذب الحديث وهم يستدلون بالآية الشريفة وحديثها هذا على ان الفعل القليل لا يبطل الصلاة وان صدقة التطوع تسمى زكاة ويعدونها من آيات الأحكام (٢) وذلك ينم عن اتفاقهم على صحة الحديث.

ويقول العلامة الطباطبائي في الميزان: ولو صح الاعراض في تفسير آية بالأسباب الماثورة عن مثل هذه الروايات على تكاثرها وتراكمها لم يصح الركون إلى شيء من أسباب النزول الماثورة في شيء من آيات الأحكام.

()



{ }

()

» ﷺ

:

. : «

الشرح

كلمة ملئت الخافقين منذ ان أطلقها سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ حيث صدع بها في بيان أهم أمر بعد النبوة بل هو امتداد لها.

لا يبالغ القائل انها من أوضح كلمات رسول الله ﷺ في الولاية والإمامة، رفع بها عقيرته مرات وفي مواطن أشهرها في غدير خم بعد حجة الوداع وهو يعلم نفوس أصحابه المؤمن منهم والمنافق، فاختار الظرف المناسب من الزمان والمكان واختار أبلغ الكلمات في بيان ذلك (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ).

بيان واعلان يحمل منهجاً ومشروعاً سماوياً كتب له الخلود وان كره المتربصون بالنبي وأهل بيته.

تخطيط رباني ابهت المعاندين فما كان منهم إلا البخبخة والتهنئة والاعتراف بالأمر الواقع.

حقيقة قهرت وغلبت شائتيها ففرضت نفسها على من كادها وأراد بها شراً فأرغمته على حملها ونقلها وذكرها وتسطيرها.

ففي الصواعق المحرقة لابن حجر قال: زعموا ان من النص التفصيلي المصرح بخلافة علي ﷺ قوله ﷺ يوم غدير خم - موضع بالجحفة - مرجعه من حجة الوداع بعد ان جمع الصحابة وكرر عليهم ألتى بكم من أنفسكم ثلاثاً وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف ثم رفع يد علي ﷺ وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم

وال من والاه وعاد من عادة فأحب من أحبه وأبغض من ابغضه وانصر من نصره
واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار.

قالوا: فمعنى المولى الأولى أي فلعلي عليهم من الولاء ماله ﷺ منه بدليل قوله
ألست أولى بكم. لا الناصر وإلا لما احتاج إلى جمعهم كذلك مع الدعاء له لأن ذلك
يعرفه كل أحد. قالوا ولا يكون هذا الدعاء إلا لمام معصوم مفترض الطاعة.

قالوا فهذا نص صريح صحيح على خلافته. ثم قال ابن حجر:

وجواب هذه الشبهة التي هي أقوى شبههم يحتاج إلى مقدمة وهي بيان الحديث
ومخرجه، وبيانه انه حديث صحيح لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي
والنسائي وأحمد وطرقه كثيراً جداً، ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً، وفي رواية
لأحمد أنه سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته
كما مر وسيأتي، وكثير من أسانيدنا صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في
صحته ولا لمن رده بأن علياً كان باليمن، لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحج مع النبي
ﷺ، وقول بعضهم ان زيادة اللهم وال من والاه.. إلى آخرها موضوعة مردود فقد
ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيراً منها^(١).

أقول: بعد اعترافهم بثبوت هذه الحقيقة فليأولوا كلام رسول الله ﷺ بما شاءوا
وبما يحلوا لهم، فلا يثبت إلا ما أراد الله ورسوله وأهل بيته وشيعتهم للقرائن
القطعية المقامية واللفظية وغيرها، وكما انه لا نبي بعد خاتم الانبياء والمرسلين فلا
بيان بعد بيانه ولا تفسير بعد تفسيره ولا قول بعد قوله وإلا لزم حمل كلامه على
اللغو والهزل والفضول وانه ﷺ قصر وعجز عن بيان مراده فاحتجنا إلى ابن حجر
وأمثاله ممن سبقه أو لحقه في تعيين مراده وهو أفصح من نطق بالضاد، والحال انهم

فهموا من كلام أبي بكر وهو على فراش الموت وقد أغمي عليه^(١) فهماً لا يقبل التأويل ولا يتطرق إليه الاحتمال ان الخليفة من بعده عمر بن الخطاب ، ولم يهجر ولم يغلبه الوجع.

وعلى كل حال ان المتتبع لكلماتهم حول حديث الولاية هذا لا يقف على معنى حصل فكلامهم أشبه بالهممة والدممة والرطانة وكأن بضاعتهم ردت إليهم فغلبهم الوجع والهجر الذي نسهب اسيادهم إلى نبي الرحمة.

وقال في الصواعق المحرقة أيضاً: عن الطبراني وغيره بسند صحيح أنه ﷺ خطب بغدير خم تحت شجرات ، فقال : أيها الناس أنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي من قبله واني لاظن اني يوشك ان ادعى فاجيب واني مسئول وانكم مسئولون فماذا انتم قائلون؟ قالوا: نشهد انك قد بلغت وجهت ونصحت فجزاك الله خيرا فقال اليس تشهدون أن لا اله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله وان جنته حق وان ناره حق وان الموت حق وان البعث حق بعد الموت وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور؟ قالوا بلى ، نشهد بذلك قال : اللهم اشهد ثم قال : يا ايها الناس ان الله مولاي وانا مولى المؤمنين وانا اولى بهم من انفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه - يعنى علياً - اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه. ثم قال : يا ايها الناس اني فرطكم وانكم واردون على الحوض حوض اعرض مما بين بصرى الى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة واني سائلكم حين تردون على عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الاكبر كتاب الله عز وجل سبب

طرفه بيد الله و طرفه بايديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا وعترتي أهل بيتي فانه قد بناني اللطيف الخبير انهما لن ينقضيا حتى يردا على الحوض^(١).

وروى أحمد بن حنبل بسندين عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله ﷺ تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي رضي الله تعالى عنه فقال: أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى قال: أستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى قال: فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. قال: فلقية عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة^(٢).

وروى أيضاً بسندين عن رباح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدیر خم يقول: من كنت مولاه فان هذا مولاه، قال رباح: فلما مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري^(٣).

وروى أبو الفرج الأُموي بإسناده عن يزيد بن عيسى بن مورك قال: كنت بالشام زمن وكي عمر بن عبد العزيز، وكان بخصرة، وكان يعطي الغرباء مائتي درهم. قال: فجئته فأجده متكئاً على إزار وكساء من صوف، فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل الحجاز. قال: من أيهم؟ قلت: من أهل المدينة. قال: من أيهم؟ قلت: من قريش: قال: من أي قريش؟ قلت: من بني هاشم. قال: من أي بني

() :

() / :

() / :

هاشم؟ قلت: مولى علي. قال: من علي؟ فسكت. قال: من؟! فقلت: ابن أبي طالب. فجلس وطرح الكساء ثم وضع يده على صدره وقال: وأنا والله مولى علي، ثم قال: أشهد على عدد ممن أدرك النبي ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: من كنت مولاة فعلي مولاة^(١).

وروى البلاذري في ترجمة معاوية من أنساب الاشراف قال: حدثني أبو مسعود الكوفي عن ابن الكلبي عن عوانة عن أبيه قال: قال سعد بن أبي وقاص لمعاوية في كلام جرى بينهما: قاتلت علياً وقد علمت أنه أحق بالامر منك، فقال معاوية: ولم ذاك؟ قال: لان رسول الله ﷺ يقول فيه «من كنت مولاة فعلي مولاة اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وفضله في نفسه وسابقته. قال معاوية: فما كنت قط أصغر في عيني منك الآن. قال سعد: ولم؟! قال: لتركك نصرته وعودك عنه وقد علمت هذا من أمره!!!

أجل امثل رسول الله ﷺ أمر ربه أيما امثال، فبلغه إلى أمته بلاغاً واصلاً إلى كل جيل من الأجيال، وفسره وبينه بالاقوال والافعال، فتعال لنقرأ معاً أمر السماء. فقد روى الواحد في أسباب النزول وغيره من المفسرين وأصحاب الحديث في تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)^(المائدة/٦٧) عن

() : /

!

أبي سعيد الخدري قال : نزلت هذه الآية يوم غدیر خم في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ^(١) .

وقال السيوطي في الدر المنثور : وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال : نزلت هذه الآية : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) على رسول الله ﷺ يوم غدیر خم في علي بن أبي طالب ^(٢) .

قال : وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال : كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) ان علياً مولى المؤمنين (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) ^(٣) .

وأخرج الحاكم الحسكاني في هذا المعنى روايات كثيرة ، منها ما أخرجه بإسناده عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا : أمر الله محمداً ان ينصب علياً للناس ليخبرهم بولايته فتخوف رسول الله ان يقولوا حابا ابن عمه وان يطعنوا في ذلك عليه ، فأوحى إليه : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) الآية ، فقام رسول الله بولايته يوم غدیر خم ^(٤) .

ومنها ما أخرجه بإسناده عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه قال : سمعت زياد بن المنذر يقول : كنت عند أبي جعفر محمد بن علي وهو يحدث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له : عثمان الاعشى - كان يروي عن الحسن

() : ﷺ /



() :

()

()

()

البصري - فقال له : يا بن رسول الله جعلني الله فداك إن الحسن يخبرنا أن هذه الآية نزلت بسبب رجل ولا يخبرنا من الرجل (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) فقال : لو أراد أن يخبر به لاخبر به ، ولكنه يخاف ، إن جبرئيل هبط على النبي ﷺ فقال له : إن الله يأمرك أن تدل أمتك على صلاتهم. فدلهم عليها ، ثم هبط فقال : إن الله يأمرك أن تدل أمتك على زكاتهم. فدلهم عليها ، ثم هبط فقال : إن الله يأمرك أن تدل أمتك على وليهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم ليلزمهم الحجة في جميع ذلك. فقال رسول الله : يا رب إن قومي قريبوا عهد بالجاهلية وفيهم تنافس وفخر ، وما منهم رجل إلا وقد وتره وليهم وإنني أخاف فأنزل الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) يريد فما بلغت تامة (وَاللَّهُ يَعَصُمُكَ مِنَ النَّاسِ). فلما ضمن الله له بالعصمة وخوفه ، أخذ بيد علي بن أبي طالب ثم قال : يا أيها الناس من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه^(١).

قال الحسكاني في اثناء نقله لهذه الروايات : وطرق هذا الحديث مستقصاة في كتاب - الهداة إلى اداء حق الموالاتة - من تصنيفي في عشرة أجزاء^(٢).

وبعد ان امثثل رسول الله ﷺ أمر ربه في تنصيب علي بن أبي طالب ﷺ إماماً هادياً وولياً قائداً نزل الوحي في بيان عظمة هذا اليوم وجلالة هذا الحدث واهمية هذا الموقف ، فقد روى الخطيب البغدادي وابن عساكر والحاكم الحسكاني وغيرهم عن أبي هريرة قال : من صام يوم ثمانى عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً ،

()

()

وهو يوم غدیر خم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: أَلَسْتُ وَلِي المؤمنین؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم، فانزل الله عز وجل: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً وهو أول يوم نزل جبرئيل بالرسالة.

قال الخطيب: اشتهر هذا الحديث برواية حبشون، وكان يقال انه تفرد به، وقد تابعه عليه أحمد بن عبد الله بن البصري (النيري) فرواه عن علي بن سعيد^(١). وقال: كان حبشون ثقة يسكن باب البصرة من بغداد. وقال ايضاً: أنبأنا الأزهري، أنبأنا علي بن عمر الحافظ، قال: حبشون بن موسى بن أيوب الخلال صدوق.

وروى الخوارزمي والحسكاني والجويني وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري، ان النبي ﷺ يوم دعا الناس إلى غدیر خم أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فُكِّمَ وذلك يوم الخميس، ثم دعا الناس إلى علي فأخذ بضبعه فرفها حتى نظر الناس إلى بياض ابطنه، ثم لم يتفرقا حتى نزلت (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين واتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي، ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره، واخذل من خذله، فقال حسان بن ثابت:

()

/ :

/ :

:

:

أثذن لي يارسول الله ان أقول ابياتاً، قال : قل ببركة الله تعالى فقال حسان : يامعشر
مشيخة قريش اسمعوا شهادة رسول الله ﷺ ثم قال :

يناديهم يوم الغدير نبيهم بجم واسمع بالرسول مناديا
فقال فمن مولاكم ونبيكم فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
الهك مولانا وأنت نبينا ولم تلق منها في الولاية عاصياً
فقال له قم يا علي فاني رضيتك من بعدي إماماً وهادياً
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له اتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه وكن للذي عادا علياً معادياً^(١)

وقال السيد الحميري (رحمه الله) من قصيدة له في هذا المعنى :

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمد ولا عهده يوم الغدير مؤكدا
فاني كمن يشتري الضلالة بالهدى تنصّر من بعد التقى أو تهودا
ومالي وتيمأ أو عدياً وانما اولوا نعمتي في الله من آل أحمدا
تتم صلاتي بالصلاة عليهم وليست صلاتي بعد ان اتشهدا
بكاملة إن لم أصل عليهم وادع لهم ربا كريماً مجدا^(٢)

() / :

/ : - / :

:

.

/ : / : ()

المذكرة السياسية لعمر بن العاص:

وفي المذكرة السياسية لعمر بن العاص المسماة بالقصيدة الجلجلية التي كشف بها عن حقائق دامغة وذلك عندما اختلف مع شريكه معاوية، على حطام الدنيا الفانية وقد اعتاد السياسيون قديماً وحديثاً الذين تجمعهم المصالح المشتركة من الطمع والجشع والحرص والهلع إذا تقطعت بينهم أواصر الدنيا واسبابها نشر ما حاولوا كتمانها والتستر عليه، وكما قيل - مصائب قوم عند قوم فوائد - فمن حسن الحظ ان استياء عمرو بن العاص وسخطه على معاوية جره إلى نشر هذه الوثائق، وسبحان مبعثر القبور، ومحصل ما في الصدور، ومدبر الأمور، إذ أنطق هذا العدو المبين، بفضائل علي أمير المؤمنين، ورذائل اعداءه الشائنين، واليك القصيدة:

معاوية الحال لا تجهل	وعن سبل الحق لا تعدل
نسيت احتيالي في جلق	على أهلها يوم لبس الحلبي؟
وقد أقبلوا زمرا يهرعون	مهاليع كالبقرة الجفّل ^(١)
وقولي لهم: إن فرض الصلاة	بغير وجودك لم تقبل
فولوا ولم يعبأوا بالصلاة	ورمت النفار إلى القسطل
ولما عصيت إمام الهدى	وفي جيشه كل مستفحل
أبالبقرة البكم أهل الشام	لأهل التقى والحجى أبتلي؟
فقلت: نعم، قم فإنني أرى	قتال المفضل بالأفضل
فبي حاربوا سيد الأوصياء	بقولي: دم طل من نعثل ^(٢)

() : : : :

() :

وكدت لهم أن أقاموا الرماح
 وعلمتهم كشف سوءاتهم
 فقام البغاة على حيدر
 نسيت محاوره الأشعري
 ألين فيطمع في جانبي
 خلعت الخلافة من حيدر
 وألبستها فيك بعد الأياس
 ورقيتك المنبر المشمخر
 ولو لم تكن أنت من أهله
 وسيرت جيش نفاق العراق
 وسيرت ذكرك في الخافقين
 وجهلك بي يا بن آكلة الكبود
 فلولا موازرتي لم تطع
 ولولاي كنت كمثل النساء
 نصرنالك من جهلنا يا بن هند
 وحيث رفعناك فوق الرؤوس
 وكم قد سمعنا من المصطفى
 وفي يوم «خم» رقى منبراً
 وفي كفه كفه معلنا

عليها المصاحف في القسطل
 لرد الغضنفة المقبل
 وكفوا عن المشعل المصطلي
 ونحن على دومة الجندل؟
 وسهمي قد خاض في المقتل
 كخلع النعال من الأرجل
 كلبس الخواتيم بالأتمل
 بلا حد سيف ولا منصل
 ورب المقام ولم تكمل
 كسير الجنوب مع الشمال
 كسير الحمير مع المحمل
 لأعظم ما أبتلي
 ولولا وجودي لم تقبل
 تعاف الخروج من المنزل
 على النبأ الأعظم الأفضل
 نزلنا إلى أسفل الأسفل
 وصايا مخصصة في علي؟
 يبلغ والركب لم يرحل^(١)
 ينادي بأمر العزيز العلي

ألست بكم منكم في النفوس فأنخله إمرة المؤمنين وقال: فمن كنت مولى له فوال مواليه يا ذا الجلال ولا تنقضوا العهد من عترتي فبخبخ شيخك لما رأى فقال: وليكم فاحفظوه وإنما وما كان من فعلنا وما دم عثمان منج لنا وإن علينا غدا خصمنا يحاسبنا عن أمور جرت فما عذرنا يوماً كشف الغطا؟ إلا يا بن هند أبعث الجنان وأخسرت أخراك كيما تنال وأصبحت بالناس حتى استقام وكنت كمقتنص في الشرك^(٢) كأنك أنسيت ليل الهرير وقد بت تذرق ذرق النعام

بأولى؟ فقالوا: بلى فافعل من الله مستخلف المنحل فهذا له اليوم نعم الولي وعاد معادي أخ المرسل فقاطعهم بي لم يوصل عرى عقد حيدر لم تحلل فمدخله فيكم مدخلي لفي النار في الدرك الأسفل من الله في الموقف المخجل ويعتز بالله والمرسل^(١) ونحن عن الحق في معزل لك الويل منه غدا ثم لي بعهد عهدت ولم توف لي يسير الحطام من الأجزل لك الملك من ملك محول تذود الظماء عن المنهل بصفين مع هولها المهول حذارا من البطل المقبل

()

()

وحين أراح جيوش الضلال
 وقد ضاق منك عليك الخناق
 وقولك : يا عمرو؟ أين المفر
 عسى حيلة منك عن ثنيه
 وشاطرتي كلما يستقيم
 فقممت على عجلتي رافعاً
 فستر عن وجهه وانثنى
 وأنت لخوفك من بأسه
 ولما ملكت حماة الأنام
 منححت لغيري وزن الجبال
 وأنحلت مصرا لعبد الملك^(٣)
 وإن كنت تطمع فيها فقد
 وإن لم تسامح إلى ردها
 بخيل جواد وشم الأنوف
 وأكشف عنك حجاب الغرور
 فإنك من إمرة المؤمنين
 ومالك فيها ولا ذرة
 فإن كان بينكما نسبة

() :

() :

()

وأين الحصاص من نجوم السما؟ وأين معاوية من علي؟
 فإن كنتَ فيها بلغت المنى ففي عنقي علق الجلجل^(١)
 قال العلامة في كتاب الغدير، ج ٢، ص ١١٧: هذه القصيدة المسماة بالجلجلية
 كتبها عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان في جواب كتابه إليه يطلب
 خراج مصر ويعاتبه على امتناعه عنه، توجد منها نسختان في مجموعتين في المكتبة
 الخديوية بمصر كما في فهرستها المطبوع سنة ١٣٠٧ ج ٤ ص ٣١٤ وروى جملة منها
 ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢ ص ٥٢٢ وقال: رأيتها بخط أبي زكريا يحيى^(٢)
 بن علي الخطيب التبريزي المتوفى ٥٠٢.
 وقال الاسحاقي في «لطايف أخبار الدول» ص ٤١: كتب معاوية إلى عمرو بن
 العاص: إنه قد تردد كتابي إليك بطلب خراج مصر وأنت تمتنع وتدافع ولم تسيره
 فسيره إليّ قولاً واحداً وطلباً جازماً، والسلام.
 فكتب إليه عمرو بن العاص جواباً وهي القصيدة الجلجلية المشهورة.
 قال: ذكرها الشيخ محمد الأزهري في شرح مغني اللبيب: ١ / ٨٢ هذه الأبيات
 برمتها حرفياً نقلاً عن تاريخ الاسحاقي.
 وقال: وذكرها برمتها الزنوزي في الروضة الثانية من رياض الجنة وقال: هذه
 القصيدة تسمى بالجلجلية لما في آخرها: وفي عنقي علق الجلجل.
 فتأمل أيها القارئ الكريم قوله:
 نصرناك من جهلنا يا بن هند على النبأ الأعظم الافضل

()

()

/ :

وحيث رفعناك فوق الرؤوس نزلنا إلى أسفل الأسفل
وتأمل قوله :

وكم قد سمعنا من المصطفى وصايا مخصصة في علي
وفي يوم خم رقى منبراً يُبلغ والركب لم يرحل
وقوله :

ولا تنقضوا العهد من عترتي فقاطعهم بي لم يوصل
فبخيخ شيخك لما رأى عُرى عقد حيدر لم تحلل

أجل انه نبا عظيم هم فيه مختلفون وعنه مسؤولون ، وانه لمحك في معرفة المؤمن من المخالف والإيمان الصحيح من الزائف ، وانه الميزان والقسطاس في معرفة معادن الناس ، انه حدث مصيري انقسمت عنده الامة إلى فريقين ، فريق لبي نداء رسول الله ﷺ بالسمع والطاعة والخضوع والتسليم وقالوا : لبيك يا رسول الله لا نرد لك قولاً بتأويل وتحريف وتغيير وتصريف ، وفريق أبى وأظهر الانقياد ، وبيت التمرد والعناد ، وكرهوا ما أحبه الله وأراد من اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد ، واتبع أكثر الناس خطوات المعاندين الكارهين (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)

ولكن البلاغ المبين والحجة الواضحة على ولاية علي أمير المؤمنين تلاحقهم في كل حين ، وقد سد الرسول العظيم بأسلوبه المتقن الحكيم كل ذرائع الانكار والتكتم والإسرار ، فعرفوا ان لامناص ولا مجال لنفي هذه الحقيقة الساطعة فجاءوا إلى كلام رسول الله ﷺ وحملوه على معان أثلجت قلب الشيطان فضحك لعنه الله واخزاه بملاً فيه عجباً في جرئتهم على تأويل الكلام وتحريفه إذ حملوه على معنى المحب والناصر والصديق وغيرها من المعاني التي يشترك فيها كل مسلم ، فانخرطوا من

حيث يشعرون أو لا يشعرون في مقولة الشيطان من معاداته لخليفة الرحمن وعدم امتثال الامر الالهي بالسجود والخضوع والتسليم ومن ثم العمل بأراهه من القياس والاستحسان ورفض النهج الرباني في جعل الاوصياء الامناء على الدنيا والدين. فتكون النتيجة عند القوم شاءوا أم أبوا ان خطاب الرسول وبيانه وكلامه لا خصوصية فيه توجب تقدم علي ﷺ وتفضيله على غيره، فلا وقع ولا أثر لعشرات الآيات الآمرة باطاعة الرسول ﷺ كقوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) وقوله (وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) وقوله (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ❖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ).

ونحن لو جعلنا هذه النصوص الواردة في بيعة الغدير وغيرها بين يدي انسان لا يدين بدين الاسلام لقال بقول الشيعة وان النبي أراد تنصيب ذلك الرجل ليكون اماماً مطاعاً أولى بهم من أنفسهم، لا انه أراد ان يقول لهم ان علياً ناصركم وصديقكم ومحبكم وغيرها من المعاني التي لا تحتاج إلى كل هذا الاهتمام والعناية والاستعداد والتهيؤ والتمهيد بالقول والفعل، ومن نظر إلى التاريخ الاسلامي وغيره وجد مصاديقاً لما نقول، فهذا مسترهمفر الجاسوس البريطاني في البلاد الاسلامية واستاذ محمد بن عبد الوهاب يقول في مذكراته السياسية:

واني اظن ان الحق مع الشيعة في خلافة علي والحسن والحسين لأن الثابت من التاريخ الإسلامي - حسب مطالعاتي - ان علياً كان يمتاز بصفات نفسية عالية تؤهله للقيادة، ولا استبعد ان يكون الرسول (محمد) قال بأن الحسن والحسين أيضاً إمامان، وهذا لا ينكره أهل السنة أيضاً، لكنني أشك في نفس الوقت بأن أولاد الحسين (التسعة) أيضاً عينهم الرسول (محمد) خلفاء له، إذ كيف يعلم محمد المستقبل، لأنه قد مات والحسين طفل، فكيف يعلم بأنه سيكون للحسين أولاد ويكونون مسلسلين إلى تسعة، نعم لو كان محمد رسولاً حقاً لكان من الممكن ان

يعلم كل ذلك بارشاد من الله كما كان المسيح يخبر بالمستقبل ، لكن نبوة محمد مشكوكة عندنا نحن المسيحيين^(١).

في الصواعق المحرقة لابن حجر قال : الآية الثامنة قوله تعالى : (وَأِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) قال ثابت البناني : اهتدى إلى ولاية أهل بيته ﷺ وجاء ذلك عن أبي جعفر الباقر أيضاً^(٢).

فقد روى الحاكم الحسكاني بثلاثة طرق عن أبي جعفر قال : ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت^(٣).

وروى الطبري وغيره من المفسرين والحافظ عن ابن عباس قال : لما نزلت (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) وضع ﷺ يده على صدره فقال : أنا المنذر (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) وأوماً بيده إلى منكب علي فقال : أنت الهادي يا علي ، بك يهتدي المهتدون بعدي^(٤).

قال السيوطي في الدر المنثور : أخرج ابن جرير ، وابن مردويه ، وابو نعيم في المعرفة ، والديلمي وابن عساكر وابن النجار عن ابن عباس... فذكر الحديث^(٥).

ورواه الحاكم الحسكاني بتسعة عشر طريقاً في شواهد التنزيل وابن عساكر بخمسة طرق في ترجمة الامام من تاريخ دمشق ، والفخر الرازي في تفسيره وابن كثير في تفسيره ، وروى الحاكم في المستدرک بإسناده عن علي ﷺ في (أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ

()

()

()

()

()

قَوْمِ هَادٍ) قال علي: رسول الله المنذر وأنا الهادي. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (١).

وفي مسند أحمد بن حنبل بإسناده إلى علي عليه السلام قوله تعالى (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال: رسول الله المنذر، والهاد رجل من بني هاشم (٢).

أقول: لا يخفى ان الامام عليه السلام أراد نفسه بقوله: انه من بني هاشم أو اشار إلى الأئمة من ولده فأنهم من بني هاشم وانه لكل قوم وقرن وجيل هاد، إذ الآية تدل على وجود الهادي في كل زمان ولكل قوم.

وروى ابن عساکر بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال: مع علي بن أبي طالب (٣).

ورواه الخوارزمي بأسناده إلى ابن عباس قال: هو علي بن أبي طالب (٤).

وفي شواهد التنزيل بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: مع آل محمد عليهم السلام (٥).

وفيه بإسناده إلى نافع عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى (اتقوا الله) قال: أمر الله أصحاب محمد بأجمعهم ان لا يخافوا الله، ثم قال لهم: (كونوا مع الصادقين) يعني محمداً وأهل بيته.

() : / .

() : / .

() : عليه السلام :

() :

() / : / .

وقد جمعها صاحب الكتاب المذكور - أعني الحاكم الحسكاني - مع اختلاف الفاظها وطرقها^(١).

والآية تدل على وجوب متابعة الصادقين، للأمر بالكون معهم بقوله (كونوا) وتدلل على عصمتهم فيقودهم الصادق ويهديهم إلى الصواب في كل تكليف وخطاب وإلا انتفت مصلحة التكليف إذا احتمل في حقه الخطأ وعاد كأحدهم، وتدلل على وجود المعصوم في كل عصر وزمان للقطع واليقين ببقاء شريعة سيد الأنبياء والمرسلين إلى قيام يوم الدين فلا بد من هاد عاصم صادق.

وقد اعترف بذلك الفخر الرازي في تفسيره إذ قال: والرابع: أن قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أمر لهم بالتقوى، وهذا الأمر إنما يتناول من يصح منه أن لا يكون متقياً، وإنما يكون كذلك لو كان جائز الخطأ، فكانت الآية دالة على أن من كان جائز الخطأ وجب كونه مقتدياً بمن كان واجب العصمة، وهم الذين حكم الله بكونهم صادقين. وترتب الحكم في هذا يدل على أنه إنما وجب على جائز الخطأ كونه مقتدياً به، ليكون مانعاً لجائز الخطأ عن الخطأ، وهذا المعنى قائم في جميع الأزمان، فوجب حصوله في كل الأزمان، قوله: (لم لا يجوز أن يكون المراد هو كون المؤمن مع المعصوم الموجود في كل زمان؟).

قلنا: نحن نعترف بأنه لا بد من معصوم في كل زمان، إلا أننا نقول: إن ذلك المعصوم هو مجموع الأمة انتهى كلام الفخر الرازي^(٢).

فقد اعترف بوجود المعصوم لكنه فسره باجتماع الأمة اعتماداً واستناداً على قول القائل - لا تجتمع أمتي على خطأ - ولنا إن نتساءل هل تحقق مصداق لهذا القول؟ أفي

() : / - .

()

سقيفة بني ساعدة التي قاطعها الصادقون الطاهرون آل محمد وشيعتهم وبنو هاشم ومن والاهم من غيرهم؟! أم عندما أدلى الأول بالخلافة إلى الثاني؟! فهذا القول منذ ان أختلق والى يومنا ما تحقق له مصداق.

فالحق مع من قال بوجود إمام معصوم في كل زمان كما عليه الإمامية القائلون بإمامة اثني عشر إماماً أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي المنتظر عجل الله بظهوره، وقد اتفقت الإمة الإسلامية على صحة الاحاديث القائلة بأن الأئمة اثنا عشر أو أن الخلفاء اثنا عشر، والاحاديث في هذا المعنى كثيرة رواها الفريقان، ولنا تحقيق رشيق حولها في كتابنا صديق السفر والحضر ص ١٨١ فليغتنم.

في الصواعق المحرقة لابن حجر قال: الآية الرابعة قوله تعالى (وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُؤْلُونَ) أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري ان النبي ﷺ قال: (وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُؤْلُونَ) عن ولاية علي (عليه السلام)، وكأن هذا مراد الواحدي بقوله روي في قوله تعالى (وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُؤْلُونَ) أي عن ولاية علي وأهل البيت، لان الله أمر نبيه ﷺ ان يعرف الخلق أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلا المودة في القربى، والمعنى انهم يسئلون هل والهم حق الموالة كما أوصاهم النبي ﷺ أم اضاعواها واهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة^(١).

ومما قدمنا وذكرنا من أحاديث الولاية يتجلى لنا بوضوح من هذا التأكيد والتشديد ان المراد من الولاية هي تلك الولاية المجعولة من قبل الله لمحمد وآله الاطهار من أجل تطبيق القانون الإلهي وشريعة السماء، تلك الولاية والخلافة الظاهرية المعبر عنها بالطريقة والصراط المستقيم والعروة الوثقى وحبل الله وغيرها من الألفاظ

() : / : / : / :

الجميلة، تلك التي من آثارها الطيبة على الكون والانسان كما قال تعالى (وَأَلُو
 اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً) تلك التي توصل الانسانية إلى كمالها وآمالها.
 أما الخلافة الالهية الكبرى المتحققة بوجود الحجة من آل محمد فلا تنفك عنهم طرفة
 عين، ومن مات ولم يعرفها مات ميتة جاهلية.

فعلى هذا تعرف أيها القارئ الكريم ضحالة وضلالة تفسير الولاية بالمحبة والمودة
 والنصرة، إذ ان الاسلام حث اتباعه على المحبة والود والاخاء والتراحم والتناصر
 والتعاون فمنذ اللحظة الأولى لإسلام علي (عليه السلام) فقد ثبتت له وعليه هذه الأمور.
 وان قالوا انا نقصد بتفسيرنا تلك المحبة الخاصة الفاتكة اللاتقة بآل محمد، نقول ان
 هذه قد أمر الله بها في آية المودة فقد ثبت وحصل الأمر بها فمن الخطأ او من الخلط
 المتعمد تفسيركم الولاية بالمودة، بل المناسب هو ان تفسر المودة بالولاية وان أهل
 البيت قادة ذادة أدلاء امناء وانهم شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة
 ومعدن العلم وأهل بيت الوحي، الفلك الجارية في اللجج الغامرة يأمن من ركبها
 ويغرف من تركها، المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق يجب
 امتثال أمرهم ونهيهم، فهذا هو الاجر المناسب لرسول الله في تبليغ الرسالة، وتفسير
 القوم لا ينسجم مع أدنى مرتبة من مراتب ولاية أهل البيت، نعم قد ينسجم مع ما
 ثبت للسادة الاشراف من نسل فاطمة وعلي عليهما أفضل الصلاة والسلام.

ثم أين هذه المحبة والنصرة التي يدعونها وحملوا الآيات والروايات عليها، فهل
 نصرروا فاطمة على من آذاها، أم نصرروا بعلها علياً على من ناواه أم نصرروا ابنيها
 سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، وهل الترحم والترضي على الناكثين
 والقاسطين والمارقين وعلى من حارب الحسن والحسين من المودة والموالاتة؟!!

فتفاسير القوم أقرب للسياسة والتمويه والتضليل حيث انها تنسجم مع أهواء
 حكام الجور إذ ليس فيها تهديد لسلطانهم ولذلك كان بعضهم يتظاهر بالمحبة والمودة

لأهل البيت ويروي عن رسول الله أحاديث في هذا المجال، أما الأحاديث التي تشير إلى زعامتهم وقيادتهم الدنيوية والدينية فمحصورة ممنوعة.

وهذا الذي ذكرناه نزر يسير من تراث كبير أُلّف فيه المتقدمون والمتأخرون من الفريقين، ولا يسعنا في هذه العجالة إلا الإشارة والتلميح إلى بعض ذلك منها:

١. (طرق أحاديث الغدير) لابي جعفر محمد بن جرير الطبري، فقد قال ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) عند ترجمة الطبري: اني رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين وكتاباً جمع فيه طرق حديث الطير^(١). وفي هذا يقول الذهبي في طبقاته: رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير فاندهرت له ولكثرة تلك الطرق.

٢. (كتاب الولاية في طرق حديث الغدير) للحافظ أبي العباس احمد بن محمد المعروف بابن عقدة روى فيه حديث الغدير بمائة وخمس طريقاً، قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب) بعد ذكر حديث الغدير: صححه واعتنى بجمع طرقه أبو العباس ابن عقدة فأخرجه من حديث سبعين صحابياً أو أكثر^(٢). وقال في (فتح الباري): أما حديث من كنت مولاه فعلي مولاه فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً وقد استودعها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من اسانيدنا صحيح وحسان.

٣. (مجموعة طرق حديث الغدير) للحافظ علي بن عمر الدارقطني.

٤. (حديث الغدير) من كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر فقد ذكر في ترجمة الامام علي عليه السلام أكثر من تسعين طريقاً.

() : / .

() : / .

قال الحافظ الكنجي الشافعي في اثناء كلامه عن حديث الغدير: وجمع الدارقطني الحافظ طرقة في جزء، وجمع الحافظ ابن عقدة الكوفي كتاباً مفرداً فيه، وروى أهل السير والتواريخ قصة غدير خم، وذكره محدث الشام في كتابه بطرق شتى عن غير واحد من الصحابة والتابعين^(١).

وهناك الكثير ممن جمع وألف وكتب وصنف حول هذا الحديث، وخير موسوعة كتبت في هذا المجال (كتاب الغدير) للعلامة الأميني فله دره وعلى الله أجره من عالم بارع ومحقق صادق، تألق في الآفاق، وحاز قصبه السباق، فقد اخرج حديث الغدير عن مائة وعشرة صحابياً وأربع وثمانين تابعياً وثلاثمائة وستين عالماً من علماء القوم، ثم ذكر الشعراء في القرون الإسلامية المتعددة الذين نظموا قصة الغدير أو اشاروا اليها في اشعارهم.

ونقول كما قال أبو حامد الغزالي: أسفرت الحجة وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدير خم وهو يقول: (من كنت مولاه فعلي مولاه) فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن. فهذا تسليم ورضى وتحكيم، ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرياسة، وحمل عمود الخلافة وعقود النبوة، وخفقان الرايات، وازدحام الخيول، وفتح الامصار، وسقاهاهم كأس الهوى فعادوا إلى الخلاف الأول، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً^(٢).

()

() : () :

:

:

.

الشرح:

حديث الطير كأسمه حلق في سماء الحق والحقيقة، وتألق في أفق المعاني الرشيقة، وترنم بألغاز عذبة أنيقة، على بجناحيه فوق الزمان والمكان، فراح يناغي أهل الولاية والإيمان، ويغيض المعاندين أهل البغض والشنآن، فضيلة لا غبار عليها ولا ستار، أذعن لها الجهابذة من الحفاظ الكبار، من نقلة الاخبار والآثار، ففي المستدرك أخرج الحاكم بإسناده عن أنس بن مالك قال:

كنت اخدم رسول الله ﷺ فقدم لرسول الله ﷺ فرخ مشوي فقال: «اللهم ائتني بأحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطير» قال: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الانصار فجاء علي رضي الله عنه فقلت ان رسول الله ﷺ على حاجة ثم جاء فقلت ان رسول الله ﷺ على حاجة ثم جاء فقال رسول الله ﷺ: «افتح» فدخل فقال رسول الله ﷺ: ما حبسك علي؟ فقال: ان هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس، يزعم انك على حاجة فقال ﷺ: ما حملك على ما صنعت فقلت يا رسول الله سمعت دعاءك فاحببت ان يكون رجلاً من قومي فقال رسول الله ﷺ ان الرجل قد يجب قومه.

ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد رواه عن أنس جماعة من اصحابه زيادة على ثلاثين نفساً ثم صحت الرواية عن علي وابي سعيد الخدري وسفيينة^(١).

ثم رواه بسندين آخرين من طريق ثابت البناني عن أنس بن مالك. وأخرجه محدث الشام الحافظ ابن عساكر في ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق بثلاثة وثلاثين طريقاً، واستدرك عليه المحقق الخبير الشيخ المحمودي ما يقرب من ستين طريقاً حيث قال: فهذه بضعة وتسعون حديثاً من طريق القوم عن عشرة من أجلاء الصحابة، مع كثرة اهتمام القوم على اخفائه وشدة نكيرهم على من افشاه، وسلطان الدنيا الإسلامية كان بيدهم فامتنع الناس من نقل أمثاله خوفاً وطمعاً^(٢).

وأخرجه الفقيه ابن المغازلي الشافعي في مناقب الامام علي عليه السلام بأربعة وعشرين طريقاً^(٣).

وأخرجه الحافظ الموفق بن أحمد الخوارزمي الحنفي في المناقب بثلاثة طرق^(٤). والحافظ النسائي في خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بإسناده عن أنس بن مالك: ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده طائر، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر فجاء أبو بكر فرده، وجاء عمر فرده، ثم جاء علي فأذن له^(٥).

() : / .

() : / - .

() :

()

() :

وأخرجه الحافظ الكنجي الشافعي بإسناده عن السدي عن أنس بن مالك، قال :
كان عند النبي ﷺ طير فقال : اللهم ائتني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطائر ،
فجاء علي فأكل معه .

ثمّ قال : هكذا أخرجه الترمذي في جامعه ، وهو أحد الصحاح الستة ، وقد
صحح الترمذي سماع السدي من أنس ، ووثقه أحمد بن حنبل وسفيان الثوري ،
وشعبة ، و عبد الرحمن بن مهدي ، ويحيى بن سعيد القطان^(١) .

وقال في ص ١٥٢ من الكفاية ايضاً : وحديث أنس الذي صدرته في أول الباب
أخرجه الحاكم أبو عبد الله الحافظ النيسابوري عن ستة وثمانين رجلاً كلهم رووه عن
أنس وهذا ترتيبهم على حروف المعجم ، ثمّ ذكرهم بأجمعهم .

وفيها ص ١٥٦ قال : ومن الرواة عدة كثيرة من كبار التابعين المتفق على ثقتهم
وعدااتهم المخرّج حديثهم في الصحاح ممن لا إرتياب في واحد منهم ، والحديث
مشهور وبالصححة المذكور .

وقال سبط ابن الجوزي : حديث الطير ، قد أخرجه أحمد في الفضائل ،
والترمذي في السنن ، فاما أحمد فإسنده إلى سفيان مولى رسول الله ﷺ واسمه
مهران قال : أهدت امرأة من الانصار إلى رسول الله طيراً بين رغيفين فقدمته إلى
رسول الله ﷺ وفي رواية طيرين بين رغيفين ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم ائتني
بأحب خلقك إليك » فاذا الباب يفتح فدخل علي ﷺ فأكل معه .

واما الترمذي فقال : حدثنا سفيان عن وكيع عن عبيد الله بن موسى عن عيسى
بن عمر عن السدي عن أنس بن مالك قال : كان عند النبي ﷺ طير فقال : اللهم
ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطائر ، فجاء علي فأكل معه .

() : .

قال الترمذي : السدي اسمه اسماعيل بن عبد الرحمن سمع من أنس بن مالك وروى عن الحسن بن علي ووثقه سفيان الثوري وشعبة ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم. انتهى كلام السبط^(١).

والروايات الواردة في حديث الطير ذكرت لنا محاولة انس بن مالك في ابعاد علي عليه السلام ودفعه فتارة يعتذر بان رسول الله مشغول، واخرى انه على حاجة، وثالثة انه نائم، ورابعة انه لا اذن عليه، وغيرها. ومهما كان الامر فكل ذلك خلاف الامانة في جعله حاجباً، فلذلك تدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ولام أنساً على فعله فأعتذر أيضاً بأنه احب ان يكون ذلك الرجل من الانصار.

والذي يدرس نفسية الرجل أو شخصيته ويتأمل مواقفه مع علي وابناءه يرى ان اعتذاره للنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن صحيحاً بل لما يحمله من مبدأ متخاذل وانحراف متواصل اتجاه أهل البيت، منها كتمان الحق في شأن بيعة الغدير فناشده علي عليه السلام ولامه على سكوته فاعتذر هنا أيضاً فدعا عليه الإمام فأصابه البرص.

قال ابن أبي الحديد تحت عنوان - فصل في ذكر المنحرفين عن علي - : وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين أن عدة من الصحابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن علي عليه السلام، قائلين فيه السوء، ومنهم من كتم مناقبه وأعان أعداءه ميلاً مع الدنيا، وإيثارا للعاجلة، فمنهم أنس بن مالك، ناشد على عليه السلام الناس في رحبة القصر أو قال رحبة الجامع بالكوفة : أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من كنت مولاه فعلى مولاه»؟ فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها، وأنس بن مالك في القوم لم يقم، فقال له : يا أنس، ما يمنعك أن تقوم فتشهد،

ولقد حضرتها! فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت ونسيت، فقال: اللهم إن كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا تواربها العمامة.

قال طلحة بن عمير: فوالله لقد رأيت الوضح به بعد ذلك أبيض بين عينيه^(١).
وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر: قد ذكر ابن قتيبة حديث البرص والدعوة التي دعا بها أمير المؤمنين عليه السلام على أنس بن مالك في كتاب (المعارف) في باب البرص من أعيان الرجال، وابن قتيبة غير متهم في حق علي عليه السلام على المشهور من انحرافه عنه^(٢).

أقول: زادت الاقلام الحاقدة باسم التحقيق والتعليق في كلام ابن قتيبة في المعارف واليك الزيادة بين قوسين: (قال أبو محمد: ليس لهذا أصل) ويكفي في الرد ان الكتاب كان بين يدي ابن أبي الحديد عندما نقل كلام ابن قتيبة فقله - في كتاب المعارف، في باب البرص، من أعيان الرجال - يدل بوضوح على ان الزيادة لم تكن موجودة وإلا لذكرها ونقلها، ثانياً: لو كانت هذه الزيادة موجودة فلا معنى لكلام ابن أبي الحديد - وابن قتيبة غير متهم... إذ لا يصح هذا الكلام مع من ينفي قصة استجابة دعاء الامام عليه أفضل الصلاة والسلام.

ومنها: موقفه البارد الخجول مع ابن مرجانه وقد جعل رأس الحسين عليه السلام في طشت يضرب ثناياه بقضيب، ولعله حضر للشماتة أو لتهنئة ابن زياد بالنصر والظفر، قال ابن حجر في الصواعق المحرقة، لما حمل رأسه لابن زياد جعله في طشت وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويقول به في أنفه، ويقول: ما رأيت مثل هذا

() : / .

() : / .

حسناً إن كان لحسن الثغر. وكان عنده أنس فبكى وقال: كان أشبههم برسول الله ﷺ. قال ابن حجر رواه الترمذي وغيره^(١).

وفي صحيح البخاري بإسناده عن أنس بن مالك: أتني عبيد الله بن زياد برأس الحسين ﷺ فجعل في طست، فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئاً، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله وكان مخضوباً بالوسمة^(٢).

أما كان الأجدر بأنس ان يهتز ويتفض لهذا المصاب الجلل والرزية العظمى التي ابكت السموات والارض وقد تفاعل مع هذه المصيبة اليهود والنصارى واستنكروا فعل يزيد بن معاوية.

قال ابن حجر: ولما فعل يزيد برأس الحسين ما مر، كان عنده رسول قيصر فقال متعجباً، ان عندنا في بعض الجزائر في دير حافر حمار عيسى، فنحن نحج إليه كل عام من الاقطار، ونذر الندور ونعظمه كما تعظمون كعبتكم، فأشهد أنكم على باطل.

وقال ذمي آخر: بيني وبين داود سبعون أبا وان اليهود تعظمني وتحترمني وانتم قتلتم ابن نبيكم.

ولما كانت الحرس على رأس الحسين كلما نزلوا منزلاً وضعوه على رمح وحرسوه، فرآه راهب في دير فسأل عنه فعرفوه به فقال: بثس القوم انتم، هل لكم في عشرة آلاف دينار ويبيت الراس عندي هذه الليلة؟ قالوا نعم، فأخذه وغسله

() :

() :

وطيبه ووضعه على فخذه وقعد يبكي إلى الصبح ثم أسلم لأنه رأى نوراً ساطعاً من الرأس إلى عنان السماء، ثم خرج عن الدير وما فيه وصار يخدم أهل البيت^(١).
 فهلا كان أنس بن مالك مثل هذا النصراني إذ رأى آية واحدة من رأس الحسين فأسلم وصار يخدم أهل البيت، وأنس رأى آيات كثيرة من صاحب الرسالة في حق عترته وآله، أوليس الرجل يحفظ في أهله وطالما كان يلحس قصعة رسول الله ﷺ.
 وتفنن المعاندون في تكذيب حديث الطير، وأغرب أو أطرف شيء قرأته في هذا المجال قول بعضهم: ان صح حديث الطير فنبوة النبي ﷺ باطلة!! لأنه يحكي عن حاجب النبي خيانة، وحاجب النبي لا يكون خائناً!^(٢).

ورد عليه بعض الأجلاء بقوله: للشيطان شره من ناصبي غبي لا يستحي، أو لا يدري ان خادم النبي لا يكون الصق بالنبي من زوجه ولا أطول معاشرة منه، وقد أثبت الله سبحانه وتعالى خيانتة بصريح القرآن، أو لم يسمع قوله تعالى من سورة التحريم: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِنَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ).

والعلة أو السبب في محاولتهم تكذيب الحديث هي ان هذا الحديث يفند ويهدم ما أسسه القوم من تقديم فلان وفلان على علي ﷺ إذ انه نص صريح في ان احب الخلق إلى الله بعد رسول الله علي بن أبي طالب، وهذا ما يثير أسئلة لا تتماشى مع

()

()

رغباتهم، كما اثارها المأمون^(١) العباسي تزلفا وتملقا لأهل البيت وشيعتهم في حوارهِ أو احتجاجه مع المتكلمين والفقهاء فكان مما قال: يا اسحاق اتروي الحديث؟ قلت: نعم، قال: فهل تعرف حديث الطير؟ قلت: نعم. قال: فحدثني به قال: فحدثته الحديث. فقال: يا إسحاق، إني كنت أكلمك وأنا أظنك غير معاند للحق، فأما الان فقد بان لي عنادك، إنك توقن أن هذا الحديث صحيح. قلت: نعم، رواه من لا يمكنني رده. قال: أفرأيت من أيقن أن هذا الحديث صحيح، ثم زعم أن أحدا أفضل من علي لا يخلو من إحدى ثلاثة: من أن تكون دعوة رسول الله ﷺ عنده مردودة عليه، أو أن يقول عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحب إليه، أو أن يقول إن الله عز وجل لم يعرف الفاضل من المفضول، فأبي الثلاثة أحب إليك أن تقول؟ فأطرقت...^(٢).

قال المسعودي: والأشياء التي استحق بها أصحاب رسول الله ﷺ الفضل هي: السبق إلى الإيمان، والهجرة، والنصرة لرسول الله ﷺ والقربى منه وبذل النفس له، والعلم بالكتابة والتنزيل والجهاد في سبيل الله، والورع والزهد، والقضاء والحكم، والفقهاء والعلم، وكل ذلك لعلي ﷺ منه النصيب الأوفر والحظ الأكبر إلى ما ينفرد به من قول رسول الله ﷺ حين آخى بين أصحابه «أنت أخي» وهو ﷺ لا ضد له ولا ند، وقوله ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي» وقوله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من

()

()

عاداه» ثم دعاؤه ﷺ وقد قدم إليه أنس الطائر: اللهم ادخل إليّ أحب خلقك يأكل معي من هذا الطائر، فدخل عليه ﷺ إلى آخر الحديث^(١).

قال ابن كثير: وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة، منهم: أبو بكر بن مردويه، والحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان، فيما رواه شيخنا أبو عبد الله الذهبي، ورأيت فيه مجلداً في جمع طرقه وألفاظه لابي جعفر بن جرير الطبري المفسر صاحب التاريخ^(٢).

وقال الموفق الخوارزمي الحنفي: أخرج الحافظ ابن مردويه هذا الحديث بمائة وعشرين اسناداً^(٣).

() : / .

() : / .

() : ﷺ .

﴿:﴾

:

.

«

الشرح:

مواقف الرجال العظماء ترجمة صادقة عما يتحلى به الرجل من ملكات نفسية وصفات انسانية كاملة، ونعني بالموقف: الصدق والثبات في الساعات الحرجة المصيرية، والسلوك المستقيم الذي لا أمت فيه ولا اعوجاج ولا انكسار ولا اندحار ولا هزيمة ولا فرار، وكما قاله سبحانه: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) فما داخلهم وجل ولا خوف ولا شك ولا ارتياب في طاعة وامثال، وما غفلوا عن العهد حتى في ساعة النزال والقتال، وعبروا بمواقفهم عن كمالاتهم، وبذلك دخلوا التاريخ من أوسع باب وأعظمه.

وحديث الراية هذا أطبقت الأمة الإسلامية على نقله وصحته في حق ذلك الجندي المطيع لأمر سيده وقائده وهو منه واليه ونفسه التي بين جنبيه وأبو سبطيه، لكنه لا يرى لنفسه وجوداً أمام ذلك النبي العظيم والرسول الكريم ﷺ.

أخذ الراية وكتب ذلك الموقف بكلمات نبوية خالدة لا نفاذ لها ولا اضمحلال ولا أفول ولا زوال، لم يمنعه المرض الذي في عينيه وبصره (فَإِنَّهَا لَأَنْ تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) مسح النبي ﷺ على عينيه بريقه فبراً من ساعته فتهول إلى طاعة الله وطاعة رسوله بعد ان رجع غيره فاراً منهزماً^(١).

() : ()

() :

قال ابن اسحاق بإسناده عن سلمة بن عمرو بن الأكوع، قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر برأيته، وكانت بيضاء، فيما قال ابن هشام، إلى بعض حصون خيبر فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد، فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه، ليس بفرار» قال: يقول سلمة: فدعا رسول الله ﷺ علياً رضوان الله عليه وهو أرمم فتفل في عينه، ثم قال: خذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك، قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يؤج، يهرول هرولة، وأنا خلفه نتبع أثره، حتى ركز رأيته في رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال اليهودي: علّوتم^(١)، وما أنزل على موسى، قال فما رجع حتى فتح الله على يديه^(٢).

ورواه ابن المغازلي بإسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى خير فلم يفتح عليه، ثم بعث عمر فلم يفتح عليه فقال: «لأعطين الراية رجلاً كراراً غير فرار يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله» فدعا علي بن أبي طالب وهو أرمم العين، فتفل في عينه، ففتح عينه وكأنه لم يرمم قط، قال: خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك، فخرج يهرول وأنا خلف أثره حتى ركز رأيته في رضم^(٣) تحت الحصن، فاطلع رجل يهودي من رأس الحصن

() « »

() / :

() :

وقال: من أنت؟ قال علي بن أبي طالب، فالتفت إلى أصحابه وقال غلبتم والذي أنزل التوراة على موسى، قال: فوالله ما رجعت حتى فتح الله عليه^(١).

وروى الطبري بإسناده عن بريدة الأسلمي قال: لما كان حين نزل رسول الله ﷺ بحضن أهل خيبر أعطى رسول الله ﷺ اللواء عمر بن الخطاب ونهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله ﷺ يجنبه أصحابه ويجنبهم فقال رسول الله ﷺ: «لا عطين اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فلما كان من الغد تناول لها أبو بكر وعمر فدعا علياً ﷺ وهو أرمم فتفل في عينيه وأعطاه اللواء ونهض معه من الناس من نهض قال: فلقى أهل خيبر فإذا مرحب يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيماً أضرب إذا الليوث أقبلت تلهب

فاختلف هو وعلي ضربتين فضربه علي ﷺ على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته، فما تمام آخر الناس مع علي ﷺ حتى فتح الله له ولهم^(٢).

وروى الحافظ النسائي بإسناده عن ابن أبي ليلي وكان يسير مع علي ﷺ: ان الناس قد انكروا منك أنك تخرج في البرد في الملائتين، وتخرج في الحر في الحشو والثوب الغليظ. قال: أولم تكن معنا بخيبر؟ قال: بلى قال: فان رسول الله بعث أبا بكر وعقد له لواء فرجع، وبعث عمر وعقد له لواء فرجع بالناس، فقال رسول

() : / .

() : / .

الله ﷺ : «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار» فأرسل إليّ وأنا أرمد، فتفل في عيني، وقال: «اللهم اكفه أذى الحر والبرد» فما وجدت حرّاً بعد ذلك ولا برداً^(١).

وروى أحمد بن حنبل بإسناده عن سهل بن سعد: ان رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لا أعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها قال فقال أين علي ابن أبي طالب فقال هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا إليه فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كان لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم^(٢).

وروى أيضاً بإسناده عن بريدة قال: حاصرنا خيبر، فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له، ثم اخذه من الغد فخرج فرجع ولم يفتح له وأصاب الناس يؤمئذٍ شدة وجهد، فقال رسول الله ﷺ: «اني دافع اللواء غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له»، فبتنا طيبة انفسنا ان الفتح غداً، فلما أصبح رسول الله ﷺ صلى الغداة ثم قام قائماً فدعا باللواء والناس على

() : ﷺ .

() : / .

مصافهم فدعا علياً وهو أرمد فتفل في عينيه ودفع إليه اللواء، وفتح له، قال بريدة: وانا فيمن تناول لها^(١).

وروى بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: ان رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزها ثم قال من يأخذها بحقها؟ فجاء فلان فقال: أنا، قال: أمط، ثم جاء رجل فقال: أمط، ثم قال النبي ﷺ: «والذي كرم وجه محمد لأعطينها رجلاً لا يفر» هاك يا علي، فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها وقديدها^(٢).

وروى الحاكم النيسابوري بإسناده عن أبي ليلى عن علي أنه قال: يا أبا ليلى أما كنت معنا بخيبر؟ قال: بلى والله كنت معكم قال: فان رسول الله ﷺ بعث أبا بكر إلى خيبر فسار بالناس وانهمز حتى رجع^(٣). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

وروى أيضاً بإسناده عن علي عليه السلام قال: سار النبي إلى خيبر فلما أتاها بعث عمر وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم فقاتلوهم، فلم يلبثوا أن هزموا عمر واصحابه، فجاؤا يجبنونه ويجنبهم، فسار النبي... الحديث قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه^(٤).

وروى بإسناده عن جابر: ان النبي ﷺ دفع الراية يوم خيبر إلى عمر فانطلق، فرجع يجبن أصحابه ويجبنونه^(٥). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

() : / .

() : / .

() : / .

() : / .

() : / .

وروى باسناد آخر عن جابر ايضاً قال : لما كان يوم خيبر بعث رسول الله ﷺ رجلاً فجبن ، فجاء محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله لم أرَ كالיום قط... إلى ان قال : ثم قال رسول الله ﷺ : «لأبعثن غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبانه لا يولى الدبر يفتح الله على يديه» فتشرف لها الناس وعلي رضي الله عنه يومئذ ارمد فقال له رسول الله ﷺ : «سر» فقال : يارسول الله ما أبصر موضعاً فتقل في عينيه وعقد له ودفع إليه الراية فقال علي : يارسول الله على ما أقاتلهم؟ فقال : على ان يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد حقنوا مني دماء هم واموالهم الا بحقهما وحسابهم على الله عزوجل قال فلقبهم ففتح الله عليه. قال الحاكم : قد اتفق الشيخان على اخراج حديث الراية ولم يخرجاه بهذه السياقة^(١).

روى أحمد في المسند بإسناده عن اياس بن سلمة عن أبيه قال : ثم ان نبي الله ﷺ أرسلني إلى علي ، فقال : لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله ، قال : فجئت به أفوده أرمد ، فبصق نبي الله ﷺ في عينه ، ثم أعطاه الراية فخرج مرحب يخطر بسيفه ، فقال :

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريحه المنظرة

أوفيكم بالصاع كيل السندرة

ففلق رأسَ مرحب بالسيف وكان الفتح على يديه^(١).

وأخرجه الحاكم في المستدرک ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي في التلخيص.

قال السهيلي في الروض الأنف: ومما يتصل بقصة مرحب اليهودي مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - من غير رواية الكتاب قول علي:

أنا الذي سمّني أمي حيدرة أضرب بالسيف رؤوس الكفرة

أكيلهم بالصاع كيل السندرة

أي: أجزئهم بالوفاء، والسندرة: شجرة يصنع منها مكابيل عظام. وفي قوله رضي الله عنه: سمّني أمي حيدرة ثلاثة أقوال، ذكرها قاسم بن ثابت، أحدها: أن اسمه في الكتب المتقدمة أسد، والاسد: هو الحيدرة.

والثاني: أن أمه فاطمة بنت أسد حين ولدته كان أبوه غائباً، فسمته باسم أبيها أسد، فقدم أبوه فسماه علياً.

الثالث: أنه لقب في صغره بحيدره، لأن الحيدرة المعتلي لحماع عظم بطن، وكذلك كان علي رضي الله عنه.

وقال أبو الفرج الأموي في هذا المعنى: وكانت فاطمة بنت أسد أمه - رحمة الله عليها - لما ولدته سمته حيدرة، فغير أبو طالب اسمه وسماه علياً. وقيل إن ذلك اسم كانت تسميه به، والقول الأول أصح، ويدل عليه خبره يوم خيبر وقد برز إليه مرحب اليهودي وهو يقول:

قد علمت خيبر أنني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

() : / : / .

إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز إليه علي عليه السلام وهو يقول :

أنا الذي سميتني أمي حيدرة كليث غاب في العرين قسورة
أكيلكم بالصاع كيل السندرة^(١)

ونقل ابن المعازلي كلاماً لابن قتيبة الدينوري فقال : قال أبو محمد بن عبد الله بن مسلم : سألت بعض آل ابي طالب عن قوله : (انا الذي سميتني امي حيدرة). فذكر : ان أم علي كانت فاطمة بنت أسد ، ولدت علياً وابو طالب غائب فسمته أسد بأسم أبيها ، فلما قدم أبو طالب ، كره هذا الاسم الذي سمته به امه ، وسماه علياً ، فلما رجز علي يوم خيبر ، ذكر الاسم الذي سمته به امه .

قال : وحيدرة اسم من اسماء الأسد والسندرة : شجرة تعمل منها القسي ، والسندرة في الحديث يحتمل ان يكون مكيالاً يتخذ من هذه الشجرة ، ويحتمل ان يكون السندرة أيضاً امرأة تكيل كيلاً وافياً^(٢) .

وقال الدميري بعد ان نقل حديث المبارزة : وكان مرحب قد رأى في المنام كأن أسداً أفترسه ، فاراد علي رضي الله عنه ان يذكره انه هو الأسد الذي يقتله فكاشفه بذلك ، فلما سمع مرحب قوله تذكر المنام فأرعد فقتله علي رضي الله عنه^(٣) .

وقيل : أنه لما سمع مرحب قول علي عليه السلام : (أنا الذي سميتني أمي حيدرة) هرب لأنه كانت له ظئر وكانت كاهنة تعجب بشأنه ، وتقول له : قاتل كل من قاتلك وغالب كل من غالبك إلا من تسمى عليك بحيدرة فإنك إن وقفت له هلكت ، قال

() : .

() : .

() : / .

فتمثل له إبليس في صورة حبر من أحبار اليهود فقال إلى أين يا مرحب؟ فقال قد تسمى علي هذا القرن بجيدرة، فقال له إبليس فما جيدرة إلا هذا وحده؟ ما كان مثلك يرجع عن مثله تأخذ بقول النساء وهن يخطئن بأكثر مما يصبن وحيدرة في الدنيا كثير فان قتلته سدت قومك وأنا في ظهرك أستصرخ اليهود، فرجع مرحب وكان من أمره ما كان.

قال ابن اسحاق: حدثني عبد الله بن الحسن عن بعض أهله عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حين بعثه رسول الله ﷺ برايته فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقَاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول علي ﷺ باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه^(١).

وفي الصواعق المحرقة لابن حجر قال: واخبر ﷺ ان الفتح يكون على يده كما في الصحيحين، وحمل يؤمئذٍ باب حصنها على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها، وانهم جروه بعد ذلك فلم يحمله إلا أربعون رجلاً، وفي رواية أنه تناول باباً من الحصن - حصن خيبر - فترسب به عن نفسه فلم يزل يقاتل وهو في يده حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه فأراد ثمانية أن يلقوه فما استطاعوا^(٢).

() : / : /

() : .

وروى ابن عساكر والخوارزمي والجويني عن جابر بن عبد الله : ان علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها ، وانه جربوه بعد ذلك فلم يحمله إلا أربعون رجلاً^(١).

وروايات حديث الرابية وطرقه كثيرة فقد أخرج ابن عساكر في ترجمة الامام علي عليه السلام من تاريخ دمشق أكثر من سبعين طريقاً ، وأخرجه الحافظ النسائي في الخصائص بثلاثة عشر طريقاً ، وأخرجه ابن المغازلي في المناقب بعشرة طرق ، وغيره هؤلاء من أعلام القوم فراجع إذا أردت المزيد.

() / : / : / :

: ﴿الْبَلَاءُ﴾ :
 . :
 :

الشرح

مواقف علي عليه السلام منبثقة من ايمانه الراسخ ومعرفته اليقينية بالله والرسول، تلك المعرفة التي قال عنها هو سلام الله عليه: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا» معرفة يقصر عن ادراكها العقلاء والحكماء، ويعجز عن وصفها الفصحاء والبلغاء، معرفة كمعرفة رسول الله بربه أهلته ان صار نفس رسول الله ﷺ ولا توجد كلمة أتم وأجمل وأعظم وأكمل من كلمة «نفسي» كما في احاديث رسول الله ﷺ و(أنفسنا) كما في كتاب الله، إذ انها تعني الانسان الكامل الذي فتح الله به وختم وجعله اسوة وقدوة وفضله على من خلق وأسجد له الملائكة المقدسين.

فمن بلغ هذه الرتبة والمنزلة أعني «نفس رسول الله» يكون الحديث عن شجاعته وعن خوضه الالهوال وقتله الابطال من نافلة القول.

ولهذه المكانة والمنزلة كان سلام الله عليه أطوع الناس لرسول الله ﷺ فما ردّ له طلباً ولا كذب له قولاً ولا شك ولا ارتاب في امر من أوامره، طاعة عن علم ومعرفة ووعي واخلاص، والمصاديق على هذه الحقيقة كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال ما يرويه أعلام القوم ففي مسند أحمد باسنده عن سعد بن عبيد قال: تنازع أبو عبد الرحمن السلمى وحبان بن عطية فقال أبو عبد الرحمن لحبان قد علمت ما الذي جرى صاحبك - يعنى علياً رضى الله عنه - قال فما هو لا أبالك قال قول سمعته من علي رضى الله عنه يقوله قال بعثنى رسول الله ﷺ والزيبر وأبا مرثد وكلنا فارس قال انطلقوا حتى تبلغوا روضة خاخ فان فيها امرأة معها صحيفة من حاطب

بن أبي بلتعة إلى المشركين فاتوني بها فانطلقنا على افراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول الله ﷺ تسير على بعير لها قال وكان كتب إلى أهل مكة بمسير رسول الله ﷺ فقلنا لها اين الكتاب الذي معك قالت ما معى كتاب فأنخنا بها بعيرها فابتغينا في رحلها فلم نجد فيه شيئاً فقال صاحبى ما نرى معها كتابا فقلت لقد علمتما ما كذب رسول الله ﷺ ثم حلفتُ والذي أحلف به لئن لم تخرجي الكتاب لاجردنك فاهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فاخرجت الصحيفة...^(١).

وفرق كبير بين من ارتاب في أمثال أمر رسول الله ﷺ لقول امرأة وبين من مضى على بصيرة لا يثنيه شيء.

وفيه بإسناده عن أبي سعيد الخدري ، ان ابا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني مررت بوادي كذا وكذا ، فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي فقال له النبي ﷺ : اذهب إليه فاقتله قال فذهب إليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحال كره ان يقتله فرجع إلى رسول الله ﷺ قال فقال النبي ﷺ لعمر اذهب فاقتله فذهب عمر فرآه على تلك الحال التى رآه أبو بكر قال فكره أن يقتله قال فرجع فقال يا رسول الله أنى رايته يصلى متخشعا فكرهت ان أقتله قال : يا علي اذهب فاقتله قال فذهب على فلم يره فرجع على فقال يا رسول الله انه لم يره قال فقال النبي ﷺ ان هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الدين... الحديث^(٢).

وأخرجها بتفصيل أكثر وبيان أتم جماعة من أهل السنن والمسانيد من الأئمة وحفظه الآثار واللفظ لابي يعلى في مسنده - كما في ترجمة ذي الثدية من اصابة ابن

() : /

() : /

حجر - عن أنس قال : كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يعجبنا تعبده واجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه فوصفناه بصفته فلم يعرفه فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل قلنا هو هذا قال إنكم لتخبروني عن رجل إن في وجهه لسفعة من الشيطان فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم فقال له رسول الله ﷺ : فأشذك الله هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني قال اللهم نعم ثم دخل يصلي فقال رسول الله ﷺ من يقتل الرجل فقال أبو بكر أنا فدخل عليه فوجده يصلي فقال سبحان الله أقتل رجلا يصلي وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل المصلين فخرج فقال رسول الله ﷺ ما فعلت قال كرهت أن أقتله وهو يصلي وأنت قد نهيت عن قتل المصلين.

قال ﷺ : من يقتل الرجل ؟ قال عمر أنا فدخل فوجده واضعاً جبهته فقال عمر أبو بكر أفضل مني فخرج فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مه قال وجدته واضعاً جبهته لله فكرهت أن أقتله فقال من يقتل الرجل فقال علي أنا فقال أنت إن أدركته فدخل عليه فوجده قد خرج فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مه قال وجدته قد خرج قال لو قتل ما اختلف من أمتي رجلاً... الحديث.

ولنا أن نسائل هل في امتثال أمر رسول الله ﷺ معصية؟ أو انهما أشد ورعاً من رسول الله ﷺ وانه ﷺ لا يتورع من سفك الدماء أو انه كان يهجر أو غلبه الوجع أو أن تركهما امتثال أمر رسول الله ﷺ كان من باب الاجتهاد مقابل النص؟

ومهما يكن من أمر فانك لا تجد كعلي بن أبي طالب في طاعته لرسول الله ﷺ وذلك لايمانه العميق بمقام النبوة الشامخ ولما يتمتع به من تصديق راسخ فما تردد ولو للحظة واحدة في أمر من أوامر رسول الله ﷺ وهذا الأمر في غاية الوضوح لمن تأمل معارك النبي وغزواته ، وكيف لا يكون كذلك وهو أخو رسول الله ونفسه فلهذا واذك جعلت له الطاعة على المؤمنين كما هي لله ورسوله نطقت بذلك الآثار

والأخبار منها ما رواه الحاكم بإسناده عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني»^(١).

وقد قال الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) فعلي سلام الله عليه والأئمة من أبناءه وأولياء الأمة الذين فرض الله طاعتهم ومودتهم والرجوع إليهم ولذا جاء في الأثر عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل علي فيكم - أو قال في هذه الأمة - كمثل الكعبة النظر إليها عبادة والحج إليها فريضة»^(٢).

وفي آخر: «حق علي على المسلمين كحق الوالد على ولده»^(٣).

وفي الفقرة التي نحن بصددنا أشار أمير المؤمنين ﷺ إلى وجوب طاعته بأدل كلمة على المقصود والمراد، جرت على لسان خير من نطق بالضاد ألا وهي كلمة «نفسى» التي تعني أنهما أولى بالمؤمنين من أنفسهم وفي هذا المعنى أخبار رواها أعلام القوم، فقد روى الحافظ النسائي بإسناده عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «لينتهين بنو وليعة»^(٤) أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسى ينفذ فيهم أمري، فيقتل المقاتلة ويسبي الذرية» فما راعني إلا كف عمر في حجرتي من خلفي: مَنْ يعني؟ فقلت:

(١) / : ()
 (٢) : ()
 (٣) : ()
 (٤) : ()

ما أياك يعني ولا صاحبك. قال: فمن يعني؟ قلت: قال خاصف النعل، قال: وعلي رضي الله عنه يخصف نعلًا^(١).

وروى الحاكم بإسناده عن عبد الرحمن بن عوف قال: افتتح رسول الله ﷺ مكة ثم انصرف إلى الطائف فحاصره ثمانية أو سبعة، ثم أوغل غدوة أو روحة، ثم نزل ثم هجر ثم قال: «أيها الناس إني فرط واني اوصيكم بعثري خيراً، موعدكم الحوض والذي بيده لتقمن الصلاة ولتوتون الزكاة أو لأبعثن عليكم رجلاً مني أو كنفي فليضربن اعناق مقاتليهم وليسين ذراريهم» قال: فرأى الناس أنه يعني أبا بكر أو عمر، فأخذ بيد علي فقال: «هذا»^(٢).

وروى الموفق بن أحمد الخوارزمي بإسناده إلى المطلب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ لوفد ثقيف حين جاءوه: «لتسلمن أو ليعثن الله رجلاً مني أو قال مثل نفسي فليضربن اعناقكم وليسين ذراريكم وليأخذن أموالكم، فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما تمنيت الامارة إلا يؤمئذٍ، جعلت انصب صدري له رجاء ان يقول: هو هذا، قال: فالتفت إلى علي بن أبي طالب فأخذ بيده ثم قال: هو هذا، هو هذا»^(٣).

وروى بإسناده عن ربيعي بن حراش قال: سمعت علياً يقول وهو بالمدائن: جاء سهيل بن عمرو إلى النبي فقال انه قد خرج اليك ناس من ارقائنا ليس بهم الدين تعوذوا بك، فارددهم علينا، فقال له أبو بكر وعمر: صدق يا رسول الله، فقال

() : : / :

() : / : . / :

() : / : / :

رسول الله: لن تنتهوا يا معاشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه
 بالآيمان، يضرب أعناقكم وانتم مجفلون عنه اجفال النعم، فقال أبو بكر: أنا هو
 يا رسول الله؟ قال: لا، قال له عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه خاصف
 النعل، قال وفي كف علي نعل يخرصها لرسول الله ﷺ^(١).

() : / .

» : ﷺ : «

الشرح:

أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، بل انه صريح الإيمان وحقيقتها كما جاء في الأخبار «لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب ويبغض لله، فإذا أحب لله وأبغض لله فقد أستحق الولاية من الله، وان اوليائي من عبادي واحبائي من خلقي الذين يُذكرون بذكري وأذكر بذكرهم»^(١).

وفي آخر «من أحب لله وأبغض لله ومنع الله فقد استكمل الإيمان»^(٢).

فالحب تعبير صادق عن علاقة وثيقة وارتباط شديد بين المحب والحبيب تذوب عنده كل الموانع والحجب للوصول إلى مرضاة الحبيب.

والرسول أو النبي ﷺ هو حجة الله وخليفته وصفوته من بين خلقه وحبيبه والرمز والعلامة التي تمثل الحب الإلهي (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) فحب الله يكمن في اتباع النبي ﷺ واتباعه هو التمسك بأوامره ونواهيه وتعاليمه وهديه (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) وكان مما ثبت بالقطع واليقين انه أمر ﷺ أمته واتباعه بمحبة علي ﷺ والتمسك به كما في حديث الثقلين وغيره ونهاهم عن بغضه والتخلف عنه والتقدم عليه.

وكما يحق لنا ان نقول في الآية ان محبة الله (يحببكم الله) التي هي جزاء الشرط متوقفة على فعل الشرط (اتبعوني) فإذا انتفى الاتباع انتفت المحبة وحل محلها غضب

() / :

() / :

الله لعدم الاتباع، أيضاً يحق لنا أن نقول في ما ثبت عن الرسول ﷺ من احاديث في حب علي ﷺ وان عدم اتباع علي ﷺ يساوي أو يعني انتفاء المحبة وحلول الكراهية والبغض لوحدة المناط وتحققه لان علياً أخوه ونفسه ومثله ومنه وإليه ولا ينكر ذلك إلا مكابر أو شقي.

فاحاديث النبي ﷺ تتوافق مع الآية، والآية محكمة صريحة ونص على ان محبة الله متوقفة على اتباع الرسول ﷺ وإلا فلا.

ولكي تتجلى هذه الحقيقة هاك بعض هذه الأحاديث فقد روى الحاكم بعدة طرق عن ابن عباس قال: نظر النبي ﷺ إلى علي فقال: «يا علي أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة، حبيبك حبيبي، وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدي»^(١). قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين.

وروى بإسناده عن عوف بن أبي عثمان النهدي قال: قال رجل لسلمان: ما أشد حبك لعلي! قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني» قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(٢).

وروى بإسناده عن عمار بن ياسير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك»^(٣). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

() : / .

() : / .

() : / .

وروى عن حيان الاسدي : سمعت علياً يقول : قال لي رسول الله ﷺ : « ان الأمة ستغدر بك بعدي وانت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي ، من احبك احبني ، ومن أبغضك ابغضني ، وان هذه ستخضب من هذا» يعني لحيته من رأسه^(١). قال الحاكم : صحيح.

وروى ابن المغازلي بإسناده عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي : يا علي لا يبالي من مات وهو يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً^(٢).

وإسناده عن الزهري قال : سمعت أنس بن مالك يقول : والله الذي لا إله إلا هو لسمعت رسول الله ﷺ يقول : «عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب»^(٣).

وروى الحافظ الكنجي الشافعي بإسناده إلى جابر قال : قال رسول الله ﷺ لعلي : يا علي لو ان أمتي أبغضوك لأكبهم الله عز وجل في النار^(٤).
ثم قال : ولا يستريب اللبيب ان مبغض علي ﷺ في النار ، وذلك من وجوه ، منها ان مبغضه مخالف لرسول الله ﷺ لأنه قد صح الحديث في علي عليه السلام انه يحبه الله ويحبه رسوله ، فمن خالف الله ورسوله وجبت له النار ، ومن أبغض ما أحب الله ورسوله وجبت له النار ، ومن أبغض من شناً أهل الشر والنفاق لأجل ذلك كان من المشركين والمنافقين ، وقد توعدهم الله بأشد العذاب في قوله تعالى :
(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ).

() : / .

() :

() :

() : / .

وروى بإسناده عن جابر أيضاً يقول: كان رسول الله ﷺ بعرفات وعلي ﷺ تجاهه، فأومى إليّ وإلى علي ﷺ فأتينا النبي ﷺ وهو يقول: ادن مني فدنا منه علي ﷺ فقال: ضع خمسك في خمسي - يعني كفك في كفي - يا علي: خلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها، وأنت فرعها، والحسن والحسين اغصانها، فمن تعلق بغصن منها دخل الجنة. يا علي لو أن أمتي قاموا حتى يكونوا كالحنايا، وصلوا حتى يكونوا كالأوتار ثم ابغضوك لأكبهم الله في النار^(١).

وروى بإسناده إلى أنس قال: قال رسول الله ﷺ: مررت ليلة أسري بي إلى السماء فإذا انا بملك جالس على منبر من نور والملائكة تحديق به، فقلت: يا جابر من هذا الملك؟ قال: ادن منه وسلم عليه، فدنوت منه وسمعت عليه فإذا انا بأخي وابن عمي علي بن أبي طالب، فقلت، يا جبرئيل سبقني علي إلى السماء الرابعة؟ فقال لي:

يا محمد لا ولكن الملائكة شكت حبها لعلي فخلق الله تعالى هذا الملك من نور على صورة علي، فالملائكة تزوره في كل ليلة جمعة ويوم جمعة سبعين ألف مرة، يسبحون الله ويقدمونه ويهدون ثوابه لمحبه علي^(٢).

وروى ابن عساکر بثلاث عشر طريقاً عن جميع بن عمير قال: دخلت مع أمي على عائشة فسألته عن علي، فقالت: ما رأيت رجلاً كان أحب إلى رسول الله ﷺ منه، ولا امرأة كانت أحب إلى رسول الله ﷺ من امرأته^(٣).

() : .
 () : .
 () : / .

وروى بعدة طرق واسانيد عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على أم سلمة رضي الله عنها فقالت: يا أبا عبد الله أيسب رسول الله ﷺ فيكم وأنتم أحياء؟! قال: قلت: سبحان الله وأنى يكون هذا؟! قالت: أليس يسب علي ومن يحبه؟ قلت: بلى قالت: أليس كان رسول الله ﷺ يحبه^(١).

وروى عن جابر وابي سعيد وام سلمة قالوا: قال رسول الله ﷺ لعلي: يا علي كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك^(٢).

وفي الرياض النضرة عن أنس قال: دفع علي بن أبي طالب إلى بلال درهماً يشتري به بطيخاً، قال: فاشتريت به فأخذ بطيخة فقورها فوجدها مراً. فقال يا بلال ردّ هذا إلى صاحبه وأتني بالدرهم فان رسول الله ﷺ قال لي: «ان الله أخذ حبك على البشر والشجر والثمر والبذر، فما أجاب إلى حبك عذب وطاب وما لم يجب خبث ومر» وأني اظن هذا مما لم يجب. قال المحب الطبري: أخرجه الملاء^(٣).

وأخرج بن عساكر بإسناده عن عبادة بن الصامت قال: كنا نبور أولادنا بحب علي بن أبي طالب فاذا أرينا أحداً لا يحب علي بن أبي طالب علمنا أنه ليس منا وانه لغير رشده^(٤).

وأخرج بعدة طرق عن مالك بن انس عن محبوب بن أبي الزناد قال: قالت الانصار: ان كنا لنعرف الرجل إلى غير أبيه ببغضه علي بن أبي طالب^(٥). وفي هذا ينسب إلى الصاحب بن عباد:

() / :

() / :

() / :

() / :

() / :

يحب علي تزول الشكوك وتزكوا النفوس وتصفوا الثمار
ومهما رأيت عدوا له ففي أصله نسب مستعار
فلا تعذله على بغضه فحيطان دار أيه قصار
ومهما رأيت محباً له فشم الزكاء وشم الفخار

وروى الحافظ الكنجي الشافعي بإسناده عن سعيد بن زيد قال: خرج علينا رسول الله ﷺ من بيت زينب حتى دخل بيت أم سلمة، وكان يومها من رسول الله ﷺ فلم يلبث ان جاء علي بن أبي طالب ﷺ فدق الباب دقاً خفيفاً فاستثبت رسول الله ﷺ الدق وقال: يا أم سلمة قومي فافتحي له فقلت: ومن هذا يا رسول الله؟ الذي بلغ من خطره ما أفتح له الباب وألقاه بمعاصمي، وقد نزلت بالأمس آية من كتاب الله؟! فقال: يا أم سلمة إن طاعة رسول الله طاعة الله وإن بالباب رجلاً ليس بنزق ولا خرق يحب الله ورسوله، لم يكن يدخل حتى ينقطع الوطي.

قالت: فقامت ففتحت له الباب فأخذ بعضادتي الباب حتى لم أسمع حساً استأذن ودخل، فقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة أتعرفينه؟ قلت نعم هذا علي بن أبي طالب، قال: صدقت، سجيته سجيته ودمه دمي، وهو عيبة علمي فاسمعي واشهدي لو ان عبداً من عباد الله عز وجل عبد الله ألف عام وألف عام بعد ألف عام بين الركن والمقام، ثم لقي الله عز وجل مبغضاً لعلي بن أبي طالب وعترتي أكبه الله تعالى على منخره يوم القيامة في نار جهنم.

قال الحافظ الكنجي : هذا حديث سنده مشهور عند أهل النقل ، وفيه موعظة ووعده شديد لمبغضي علي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام ، والويل لمن يشأنهم ويسبهم وطوبى لمن يحبهم^(١) .

وقد ذكرنا فيما سبق ان المراد من محبة علي عليه السلام وأهل بيته هو التمسك بذهبهم والاستقامة على طريقتهم والتدين بالاصول والفروع على طبق مذهبهم كما مهّد واكد ووطد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بداية دعوته المباركة والى آخر لحظة من عمره الشريف ، كلما سنحت له الفرصة باساليب متنوعة مختلفة منها على سبيل المثال حديث الثقلين واحاديث ان الأئمة من قريش وانهم اثنا عشر ، والعقل قبل النقل والواقع الخارجي يقولان لنا : انه ليس لهذه الاحاديث الحقبة الثابتة مصداق في الخارج إلا الأئمة الاطهار من آل النبي المختار صلى الله عليه وسلم أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم الامام الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله فرجه .

اما من ادعى محبتهم وفارق طريقتهم فانه ليس على شيء وان ملأ الدنيا شعراً ونشراً هاتفاً بحب علي عليه السلام وأهل بيته ، وان الذي يقول : قال الباقر وأنا أقول وقال الصادق وأنا أقول وأسس مذهباً على ذلك فهذه هي عين المفارقة والتقدم عليهم والتخلف عنهم ، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها بقوله : «يا علي من فارقني فقد فارق الله ، ومن فارقك يا علي فقد فارقني»^(٢) مجارياً ممثلاً في ذلك قول ربه سبحانه وتعالى فيما أوحى إليه : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ). واحاديثه صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى كثيرة لا تحفى على ذوي النهى والبصيرة .

()

()

/ :

: / :

فالمحبة التي نحن في صدها تعني الاتباع والطاعة والتسليم لمحمد ﷺ وآله
الطاهرين في كل صغيرة وكبيرة من أمور الدنيا والدين وإلا فلا تنفع اظهار المحبة
بالشعر والنثر والكتابة والسطر.

وفي الآية الأنفة الذكرجاءت الافعال مضارعة وذلك يفيد الاستمرار والبقاء
والثبوت ، فلا بد من البقاء والاستمرار حتى الموت على محبتهم ومتابعتهم وولايتهم
ولا يوفق إلى ذلك إلا من طابت نطفته وطهرت بطنه من الحرام واجتنب المعاصي
والآثام (اللهم ثبتني على دينك ما أحبيتني ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي
من لدنك رحمة انك أنت الوهاب).

:



الشرح:

قال ابن أبي الحديد وهو يريد ذكر بعض الاحاديث والأخبار في مناقب علي عليه السلام وفضائله قال: وانا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً مما رواه علماء الحديث الذين لا يتهمون فيه، وجلهم قائلون بتفضيل غيره عليه، فروايتهم فضائله توجب من سكون النفس ما لا يوجب رواية غيرهم... إلى ان قال:

الحديث السادس عشر: لما كانت ليلة بدر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يستقى لنا ماء؟»، فأحجم الناس، فقام علي عليه السلام فاحتضن قربة، ثم أتى بئراً بعيدة القعر مظلمة فانحدر فيها، فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل وإسرافيل: أن تاهبوا لنصر محمد وأخيه وحزبه، فهبطوا من السماء، لهم لغط يذعر من يسمعه، فلما حاذوا البئر، سلموا عليه من عند آخرهم إكراماً له وإجلالاً.

قال: رواه أحمد في كتاب فضائل علي عليه السلام، وزاد فيه في طريق أخرى عن أنس بن مالك: «لتؤتين يا علي يوم القيامة بناقة من نوق الجنة فتركبها، وركبتك مع ركبتك، وفخذك مع فخذك، حتى تدخل الجنة»^(١).



() : / :

: / :

. / :

ونحن إذا تأملنا هذه المنقبة تجلت لنا معان عظيمة ومواقف كريمة قد اختص بها علي بن أبي طالب عليه السلام دون غيره، ونكتفي بالاشارة اليها والتلميح منها:

الاقدام حيث احجم الناس وذلك كما قلنا لمعرفة بالله ورسوله وحبه لهما فلا يرى لنفسه وجوداً ووزناً في سبيل امثال أمرهما، ولهذا الموقف نظائر يجدها من تتبع سيرته عليه السلام.

ومنها السقاية ومجيئه بالماء لرسول الله واصحابه، وكم في ذلك من الاجر العظيم وانها منتهى الجود والكرم إذ عرض نفسه للموت والقتل.

ومنها تسليم الملائكة عليه مباشرة بوحي من الله وفيهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وهذه من خصائصه ليس في بدر فحسب بل في كل سرية ومعركة فقد روى اعلام القوم عن هبيرة بن يريم قال: خطبنا الحسن بن علي بعدما قتل علي عليه السلام فقال: لقد قتلتهم بالامس رجلاً ما سبقه الأولون ولن يدركه الآخرون، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فيقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت عن عطائه أراد ان يشتري بها خادماً^(١).

وروا عن أبي خالد بن جابر عن ابيه قال: لما قتل علي بن أبي طالب قام الحسن خطيباً فقال: لقد قتلتهم والله رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن، وفيها رفع عيسى بن مريم، وفيها قتل يوشع فتى موسى، والله ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد يكون بعده^(٢) والله ان كان ليبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرية، جبرئيل عن يمينه

() : / : / :

: / : / : / : / :

()

وميكائيل عن يساره، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم ارصدها لجارية يشتريها^(١).

وعن نزول الملائكة في يوم بدر كما في هذه الفقرة من المناشدة تحدثت الآيات القرآنية.

قال ابن كثير: **الدمشقي**: وروي هذا عن الحسن البصري وعامر الشعبي والربيع بن أنس وغيرهم، واختاره ابن جرير قال عباد بن منصور عن الحسن في قوله: (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ) قال: هذا يوم بدر، رواه ابن أبي حاتم. ثم قال حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا داود عن عامر يعني الشعبي أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين فشق ذلك عليهم فأنزل الله تعالى: (أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ) إلى قوله (مسمومين) قال: فبلغت كرزاً الهزيمة فلم يمد المشركين ولم يمد الله المسلمين بالخمسة. وقال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف فإن قيل فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول وبين قوله في قصة بدر (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمَدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ) (الأنفال/٩) إلى قوله: (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)؟



:

/ :!!

/ :

/ :

:

()

:

/ :

:

/ :

فالجواب أن التنصيص على الألف ههنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها لقوله (مردفين) بمعنى يردفهم غيرهم ويتبعهم ألوف آخر مثلهم. وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر^(١).

وقال الفخر الرازي في التفسير: المسألة الثالثة، أجمع أهل التفسير والسيران الله تعالى أنزل الملائكة يوم بدر وانهم قاتلوا الكفار، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر وفيما سواه كانوا عدداً ومدداً لا يقاتلون ولا يضربون، وهذا قول الاكثرين^(٢).

()

()

:
:
:
:
:

الشرح:

روى الحافظ الكنجي الشافعي بإسناده إلى أبي رافع قال: لما كان يوم أحد نظر النبي ﷺ إلى نفر من قريش فقال لعلي ﷺ: أحمل عليهم فحمل عليهم فقتل هاشم بن أمية المخزومي وفرق جماعتهم، ثم نظر النبي ﷺ إلى جماعة من قريش فقال لعلي: أحمل عليهم فحمل عليهم وفرق جماعتهم وقتل أحد بني عامر ابن لؤي. فقال جبرئيل: هذه المواساة، فقال النبي ﷺ: انه مني وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكم يا رسول الله^(١).

وروى ابن عساكر بإسناده إلى جابر بن عبد الله قال: جاء علي إلى النبي ﷺ يوم أحد، فقال رسول الله ﷺ: اذهب، فقال جبرئيل: هذه والله المواساة يا محمد، فقال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل انه مني وانا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما^(٢). وفي الرياض النضرة عن أبي رافع قال: لما قتل علي أصحاب الألوية يوم أحد، قال جبرئيل: يا رسول الله ان هذه لهي المواساة، فقال له النبي ﷺ: انه مني وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله. قال المحب الطبري: خرجه أحمد في المناقب^(٣).

() : /

() : /

() : :

وأخرج أحمد بن حنبل في المسند بطرق خمسة من حديث حبشي بن جنادة السلولي قال: قال رسول الله ﷺ: علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي^(١).

وفي صحيح البخاري كتاب الصلح باب رقم^(٦) وكتاب المغازي باب رقم (٤٥) عن البراء في حديث طويل عن رسول الله ﷺ قال: وقال لعلي أنت مني وأنا منك، وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي، وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا. وروى النسائي بإسناده إلى عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ ان علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي^(٢).

وروى بإسناده عن حبشي بن جنادة السلولي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: علي مني وأنا منه^(٣).

فانه أعني النسائي قد أخرج كلمة الرسول هذه بطرق ثمان في كتابه خصائص علي بن أبي طالب ﷺ.

وأخرجها ابن المغازلي الشافعي في كتابه مناقب علي بن أبي طالب ﷺ بتسعة طرق^(٤).

وفي الصواعق المحرقة لابن حجر قال: أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة عن حبشي بن جنادة قال: قال رسول الله ﷺ: علي مني وأنا من علي، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي^(١).

() : / .

() : .

() : .

() : / - :

./ :

قال سبط ابن الجوزي: وقيل إنما قال رسول الله ﷺ علي مني وأنا منه في يوم أحد، فقد ذكر أحمد في الفضائل، قال: لما قصد صاحب لواء المشركين يوم أحد رسول الله ﷺ فداه علي بن أبي طالب بنفسه وحمل علي صاحب اللواء فقتله، فنزل جبرئيل فقال: يا محمد ان هذه لمهي المواساة، فقال رسول الله ﷺ علي مني وأنا منه، فقال جبرئيل وأنا منكما.

وذكره محمد بن اسحاق في المغازي أيضاً، قال الزهري: انما قال جبرئيل ان هذه لمهي المواساة لأن الناس فروا عن رسول الله ﷺ يوم أحد حتى عثمان بن عفان فانه أول من فرَّ ودخل المدينة وفيه نزل (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) الآية^(٢).

أقول: التعليل الذي ذكره سبط بن الجوزي وكذلك ما ذكره الزهري كلاهما عليان هزيلان لانه لا يخفى على المتأمل ان قول النبي لم يكن معلولاً لموقف علي بن أبي طالب من أصحاب الألوية ولا لثباته في القتال وفرار عثمان، بل العكس هو الصحيح أي ان مواقف علي معلولة ومنبثقة من الحقيقة التي اشار اليها رسول الله بقوله علي مني وأنا منه، أي من كان بهذه المكانة والمنزلة من رسول الله فمن شأنه التفدية والتضحية من أجل سيده.

ولعمري هذا واضح ظاهر لانه لما أعجب جبرئيل بهذه البسالة والشجاعة وقال: ان هذه لمهي المواساة، اجابه النبي ﷺ انه لا عجب ولا غرابة في ذلك لانه مني وانا منه وهذه المواساة متفرعة من ذلك الاصل المتأصل.

() :

() :

وقول جبرئيل (وانا منكما) مفتخراً بالانتساب اليهما فيه من المعان السامية والمضامين العالية لا يمكن ذكرها وسطرها هنا إذ لا كل ما يعلم يقال.

ولكن لكي يتضح قول رسول الله ﷺ هذا في علي ﷺ اليك هذه الاحاديث التي اشرنا إلى بعض منها فيما سبق: ففي تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي قال: قال أحمد في الفضائل: حدثنا عن معمر عن الزهري عن خالد بن معدان عن زاذان عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: كنت أنا وعلي بن أبي طالب نوراً بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم بأربعة آلاف عام فلما خلق آدم قسم ذلك النور جزئين فجاء أنا وجزء علي. وتكلم السبط على تصحيح الحديث فقال: فان قيل فعبد الرزاق كان يتشيع، قلنا هو أكبر شيوخ أحمد بن حنبل ومشى إلى صنعاء من بغداد حتى سمع منه قال ما رأيت مثل عبد الرزاق، ولو كان فيه بدعة لما روى عنه وما زال إلى ان مات يروي عنه ومعظم الاحاديث التي في المسند رواها من طريقه وقد أخرج عنه أيضاً في الصحيح^(١).

وروى الحافظ الكنجي بإسناده إلى ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: خلق الله قضيباً من نور قبل ان يخلق الدنيا بأربعين ألف عام فجعله أمام العرش حتى كان أول مبعثي فشق منه نصفاً فخلق منه نبيكم والنصف الآخر علي بن أبي طالب. قال الكنجي: هكذا أخرجه امام أهل الشام عن امام أهل العراق كما سقناه وهو في كتابهما^(٢).

وروى ابن المغازلي بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بعرفات وعلي تجاهه، إذ قال له رسول الله ﷺ: ادن مني يا علي خلقت أنا

() :

() : :

وأنت من شجرة، صنع جسمك من جسمي، خلقت أنا وأنت من شجرة، فأنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين اغصانها، فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة^(١).

وروى الخوارزمي بإسناده عن جابر أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ أنا وعلي من شجرة واحدة والناس من أشجار شتى^(٢).

وروى ابن عساكر بإسناده إلى أبي هارون العبدي قال: سألت أبا سعيد الخدري عن علي بن أبي طالب خاصة فقال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: خلق الناس من أشجار شتى وخلقنا أنا وعلي من شجرة واحدة، فانا أصلها وعلي فرعها، فطوبى لمن استمسك بأصلها وأكل من فرعها^(٣).

وروى بإسناده إلى أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: خلق الله الانبياء من أشجار شتى وخلقني وعلياً من شجرة واحدة فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمرها فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ هوى. ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم لم يدرك محبتنا لأكبه الله على منخربه في النار، ثم تلا ﷺ: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)^(٤).

وروى بإسناده إلى يحيى بن عبد الله بن الحسن عن أبيه، وعن جعفر بن محمد، عن أبيهما عن جدهما قال: قال رسول الله ﷺ: ان في الفردوس لعيناً أحلى من الشهد وألين من الزبد وأبرد من الثلج وأطيب من المسك، فيها طينة خلقنا الله منها

() : / .

() :

() : / .

() :

وخلق منها شيعتنا، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس لنا ولا من شعيتنا وهي الميثاق الذي أخذ الله عزّ وجلّ عليه ولاية علي بن أبي طالب.

قال عبيد الله بن يحيى: فذكرت لمحمد بن الحسين هذا الحديث فقال: صدقك يحيى بن عبد الله هكذا أخبرني أبي عن جدي عن النبي^(١).

وروى سبط ابن الجوزي بإسناده إلى الامام الباقر^(عليه السلام) قال:

أخبرنا أبو طاهر الخزمي أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن علي أنبأنا عبد الله بن عطاء الهروي أنبأنا عبد الرحمن بن عبيد الثقفي أنبأنا الحسين بن محمد الدينوري أنبأنا عبد الله بن ابراهيم الجرجاني أنبأنا محمد بن علي بن الحسين العلوي أنبأنا أحمد بن عبد الله الهاشمي، عن الحسن بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي^(عليه السلام) قال: خطب أمير المؤمنين خطبة بليغة في مدح رسول الله^(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال بعد حمد الله: لما أراد الله أن ينشئ المخلوقات ويبدع الموجودات أقام الخلائق في صورة قبل دحو الارض ورفع السماوات، ثم أفاض نورا من نور عزه فلمع قبسا من ضيائه وسطع، ثم اجتمع في تلك الصورة، وفيها هيئة نبينا^(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له تعالى: أنت المختار وعندك مستودع الانوار، وأنت المصطفى المنتخب والمرضى المنتجب من أجلك أضع البطحاء وأرفع السماء، وأجرى الماء، واجعل الثواب والعقاب والجنة والنار وأنصب أهل بيتك علماً للهداية، وأودع أسرارهم في سري بحيث لا يشكل عليهم دقيق ولا يغيب عنهم خفي واجعلهم حجتي على بريتي والمنبهين على قدرتي والمطلعين على اسرار خزائني ثم اخذ الحق سبحانه عليهم الشهادة بالربوبية والاقرار بالوحدانية وان الامامة فيهم والنور معهم ثم ان الله اخفى الخليفة في غيبة وغيبها في مكنون علمه ونصب العوالم وموج الماء واثار الزبد واهاج الدخان فطفأ عرشه على

الماء ثم انشأ الملائكة من أنوار ابتدعها وانواع اخترعها ثم خلق الله الأرض والملائكة والعرش والكرسي والشمس والقمر والنجوم وما في الأرض له بالنبوة فلما خلق آدم أبان للملائكة فضله وأراهم ما خصه به من سابق العلم فجعله محراباً وقبلة لهم فسجدوا له وعرفوا حقه ثم بين لآدم حقيقة ذلك النور ومكنون ذلك السر فلما حانت أيامه اودعه شيئاً ولم يزل ينتقل من الأصلاب الفاخرة إلى الارحام الطاهرة إلى ان وصل إلى عبد المطلب ثم إلى عبد الله ثم إلى نبيه ﷺ فدعا الناس ظاهراً وباطناً وندبهم سراً وعلانية واستدعى الفهوم القيام بحقوق ذلك السر اللطيف وندب العقول إلى الاجابة لذلك المعنى المودع في الذر قبل النسل فمن وافقه قبس من لمحات ذلك النور اهتدى إلى السر وانتهى إلى العهد المودع في باطن الامر وغامض العلم ومن غمرته الغفلة وشغلته المحنة استحق البعد ثم لم يزل ذلك النور ينتقل فينا ويشعشع في غرايزنا فنحن أنوار السماوات والأرض وسفن النجاة وفينا مكنون العلم والينا مصير الأمور وبمهدينا تقطع الحجج فهو خاتم الأئمة ومنقذ الأمة ومنتهى النور وغامض السر فليهن من استمسك بعروتنا وحشر على محبتنا^(١).

روى الحاكم النيسابوري بإسناده إلى ميسرة الفخر قال: قلت لرسول الله: متى كنت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه^(٢). ووافقه الذهبي في التلخيص.

وروى بإسناده عن أبي هريرة قال: قيل للنبي ﷺ: متى وجبت لك النبوة؟ قال: بين خلق آدم ونفخ الروح فيه^(٣).

() :

() / :

() / :

وروى عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله، محمد رسول الله فسكن^(١). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وروى بإسناده إلى عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: لما اقترب آدم الخطيئة قال: يا رب أسالك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحي، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ، ادعني بحقه فقد عرفت لك ولولا محمد ما خلقتك^(٢).

فهذا رسول الله وهذا علي بن أبي طالب لأنه من رسول الله ورسول الله منه، في كل نشأة وخلق وميثاق في عالمنا هذا أو ما قبله من عوالم وما بعده، فهو من طراز رسول الله ﷺ في كل دور وطور، وكلمة رسول الله ﷺ التي نحن في صددتها (علي مني وأنا منه) تعبير عن الانسجام التام والاتحاد في حقيقة نوارنية واحدة وليست هذه من قبيل الاضافة التشريعية الاعتبارية كقوله ﷺ «سلمان منا أهل البيت».

كلمة ما كان رسول الله ﷺ يقولها تعصباً لابن عمه بل للعهد والوعد المأخوذ ولأداء التكليف في ترشيح أقرب الناس إلى رسالته واحرصهم عليها، فنشر رسول الله ﷺ تلك اللئالي بألفاظ رصينة ومعان ثخينة، فمرة ينفرد في تعريف نفسه

() : / .

() : / .

المباركة، واخرى يخلص علياً بالتعريف وثالثة يجمع بين نفسه وعلي حرساً على أداء الحقيقة وتفناً في ابلاغ الحجة وايهاماً للخصوم والاعداء.

وهلم معي إلى اسلوب آخر في الاشادة بعلي والتعريف به وانه الامتداد الطبيعي للرسول والرسالة والخلافة المتمثلة بالأئمة الاثني عشر وانهم ذرية النبي ﷺ من صلب علي.

فقد روى القوم بأسانيدهم عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: قال رسول الله ﷺ: ان الله جعل ذرية كل نبي من صلبه، وان الله عز وجل جعل ذرية محمد من صلب علي بن أبي طالب ﷺ^(١).

وروا عن ابن عباس قال: كنت أنا وابي العباس بن عبد المطلب جالسين عند رسول الله ﷺ إذ دخل علي بن أبي طالب فسلم فرد عليه رسول الله ﷺ وبش به وقام إليه واعتنقه وقبل بين عينيه واجلسه عن يمين، فقال العباس: أتحب هذا يارسول الله؟

فقال رسول الله ﷺ: يا عم رسول الله، الله أشد حباً له مني، ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلبه^(٢).

قال في الصواعق: وأخرج الطبراني، ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وان الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب^(٣).

قال: واخرج أبو الخير الحاكمي وصاحب كنوز المطالب في بني أبي طالب: ان علياً دخل على النبي ﷺ وعنده العباس، فقال له العباس: أتجبه؟ قال يا عم والله

() :

() / :

() / :

() :

لله أشد حباً له مني ، ان الله عزّ وجلّ جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا. زاد الثاني يعني - صاحب كنوز المطالب - في روايته إنه إذا كان يوم القيامة دعي الناس بأسماء أمهاتهم سترّاً عليهم إلا هذا وذريته فانهم يدعون بأسمائهم لصحة ولادتهم^(١).

وأكمل واجمل من هذه ما رواه المسعودي قال: وجدت في كتاب (الأخبار) لأبي الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن صالح بن علي بن عطية الأصب قال: حدثنا عبد الرحمن بن العباس الهاشمي عن أبي عوف صاحب الدولة عن محمد بن عبد الله بن العباس عن أبيه عن جده عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت عند رسول الله ﷺ إذ أقبل علي بن أبي طالب، فلما رآه اسفرّ في وجهه، فقلت: يا رسول الله انك لتسفر في وجه هذا الغلام، فقال: يا عمّ رسول الله، والله لله أشد حباً له مني، انه لم يكن نبي إلا وذريته الباقية بعده من صلبه، وان ذريتي بعدي من صلب هذا، انه إذا كان يوم القيامة دُعيَ الناس بأسمائهم وأسماء أمهاتهم سترّاً من الله عليهم إلا هذا وشيعته فانهم يُدعون بأسماءهم واسماء آبائهم لصحة ولادتهم^(٢).

قال في الصواعق: واخرج أبو يعلى والطبراني: أنه ﷺ قال: كل بني أم يتمون إلى عصبية إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم، وله طرق يقوي بعضها بعضها^(٣). وقال: أخرج الطبراني عن جابر والخطيب عن ابن عباس: ان النبي ﷺ قال: ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب^(٤).

()

() /

()

()

وقال: الآية الثانية عشرة، قوله تعالى (وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِّلسَّاعَةِ) قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين: ان هذه الآية نزلت في المهدي، وستأتي الاحاديث المصرحة بأنه من أهل البيت النبوي، وحينئذ ففي الآية دلالة على البركة في نسل فاطمة وعلي (رضي الله عنهما) وان الله ليخرج منهما طيباً وان يجعل نسلهما مفاتيح الحكمة ومعادن الرحمة، وسر ذلك انه ﷺ أعادها وذريتها من الشيطان الرجيم ودعا لعلي بمثل ذلك^(١).

ولكي يلفت رسول الله ﷺ انظار أمته إلى منزلة علي عليه السلام منه أشار إلى بديهية وواضحة وهي انه لا قيمة للجسد بدون رأس ولا للرأس بدون جسد فهما معاً قوام الانسان ووجوده فمن فارق علياً فقد فارق الرسول لانه بمنزلة رأسه من بدنه لا يمكن الفصل بينهما.

فقد روى ابن المغازلي بسندين عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: علي مني مثل رأسي من بدني^(٢).

وفي الصواعق قال: أخرج الخطيب عن البراء والديلمي عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال: علي مني بمنزلة رأسي من بدني^(٣).

أجل، الراس أشرف أعضاء الانسان وافضلها لوجود السمع والبصر والنطق والقوة المفكرة وانه في القمة، فكل هذه الطوائف من الاخبار وما كان في معناها تفسر ما نحن فيه من قول النبي ﷺ «علي مني وأنا منه» وانه يشير إلى الاصل الواحد في كل نشأة والى بقاء وديمومة الرسالة والرسول بعلي وأبناء علي عليهم سلام الله.

()

()

()

» : « . : »

الشرح :

قال ابن أبي الحديد: روى أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد اللغوى، غلام ثعلب، ورواه أيضا محمد بن حبيب في أماليه، أن رسول الله ﷺ لما فر معظم أصحابه عنه يوم أحد، كثرت عليه كتائب المشركين، وقصدته كتيبة من بنى كنانة، ثم من بنى عبد مناة بن كنانة، فيها بنو سفيان بن عوف، وهم خالد بن سفيان، وأبو الشعثاء بن سفيان وأبو الحمراء بن سفيان، وغراب بن سفيان، فقال رسول الله ﷺ يا على إكفنى هذه الكتيبة، فحمل عليها وإنها لتقارب خمسين فارسا، وهو عليه السلام راجل، فما زال يضربها بالسيف حتى تتفرق عنه ثم تجتمع عليه، هكذا مرارا حتى قتل بنى سفيان بن عوف الأربعة، وتمام العشرة منها، ممن لا يعرف باسمائهم، فقال جبرئيل ﷺ لرسول الله ﷺ يا محمد، إن هذه المواساة، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى فقال رسول الله ﷺ: وما يمنع وهو منى وأنا منه فقال جبرئيل ﷺ: وأنا منكما. قال: وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء، لا يرى شخص الصارخ به، ينادى مرارا:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

قلت: - والكلام لابن أبي الحديد - وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الاخبار المشهورة، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازى محمد بن إسحاق، ورأيت بعضها خاليا عنه، وسألت شيخي عبد الوهاب بن سكينه رحمه الله عن هذا الخبر، فقال: خبر صحيح، فقلت: فما بال الصحاح لم تشتمل عليه قال: أو كلما كان

صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح كم قد أهمل جامعوا الصحاح من الاخبار الصحيحة^(١).

وروى الطبري بإسناده إلى ابن أبي رافع عن أبيه عن جده قال لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الالوية أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش فقال لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي قال ثم أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش فقال لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جماعتهم وقتل شيبه بن مالك أحد بنى عامر بن لؤى فقال جبريل يا رسول الله إن هذه للمواساة فقال رسول الله ﷺ إنه منى وأنا منه فقال جبريل وأنا منكما قال فسمعوا صوتاً:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي^(٢)

وقال ابن الأثير: وكان الذي قتل أصحاب اللواء عليّ، قاله أبو رافع، قال: فلما قتلهم أبصر النبي ﷺ جماعة من المشركين فقال لعلي: احمل عليهم فحمل عليهم وفرقهم وقتل فيهم، ثم أبصر جماعة أخرى فقال له: أحمل عليهم فحمل عليهم وفرقهم وقتل فيهم، فقال جبرائيل: يا رسول الله هذه المواساة! فقال رسول الله ﷺ: إنه منى وأنا منه. فقال جبرائيل: وأنا منكما. قال فسمعوا صوتاً:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي^(٣)

() : / / / .

() : / : / .

() : / : / .

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم إن ابن أبي نجيح قال: نادى مناد يوم
أحد:

لا سيف إلا ذو الفقار () ()

وقال سبط ابن الجوزي: ذكر أحمد في الفضائل أنهم سمعوا تكبيراً من السماء
في ذلك اليوم وقائلاً يقول:

لا سيف إلا ذو الفقار رولا فتى إلا علي

فاستأذن حسان بن ثابت رسول الله ﷺ أن ينشد شعراً فاذن له فقال:
جبريل نادى معلنا والنقع ليس بمنجلي

() « » :

:

:

: « » :

:

() « » :

:

:

: « » :

:

« » :

والمسلمون قد احدقوا حول النبي المرسل
لا سيف إلا ذو الفقار رولا فتى إلا علي^(١)

وروى نصر بن مزاحم، عن عمرو بن شمر، عن جابر عن عمير الانصاري قال: والله لكأني أسمع علياً يومَ الهرير حين صار أهل الشام... وذكر كلاماً ودعاءً للإمام عليه السلام ثم قال:

لا والله الذي بعث محمداً عليه السلام بالحق نبياً، ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السموات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب. انه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من اعلام العرب، يخرج بسيفه منحياً فيقول: معذرة إلى الله عز وجل وإليكم من هذا، لقد هممت ان أصقله (أفلقه) ولكن حجزني عنه أنني سمعت رسول الله يقول كثيراً:

لا سيف إلا ذو الفقار رولا فتى إلا علي

وانا أقاتل به دونه. قال: فكنا نأخذه فنقومه ثم يتناوله من ايدينا فيقتحم به عرض الصف، فلا والله ما ليث بأشد نكاية في عدوه منه^(٢).

() :

() :

:



:

.

الشرح:

قال ابن أبي الحديد المعتزلي بضرس قاطع: قد ثبت عن النبي ﷺ انه قال لعلي «تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين»^(١). فقوله ثبت عن النبي أي ليس هناك شك وريب وتزلزل بل ثبوت ويقين.

وبأربعة عشر طريقاً أخرج ابن عساكر هذا المعنى نكتفي بذكر حديث واحد

منها:

فبإسناده عن علي ؑ قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين^(٢).

وروى البيهقي في المحاسن والمساوي عن ابن عباس في حديث طويل مع رجل من أهل الشام، قال: ان علياً رضي الله عنه، لم يقتل إلا من كان يستحل قتله، وإني اخبرك أن رسول الله ﷺ كان عند ام سلمة بنت أبي امية، إذ أقبل علي عليه السلام يريد الدخول على النبي ﷺ فنقر نقراً خفياً، فعرف رسول الله ﷺ نقره، فقال: «يا ام سلمة، قومي فافتحي الباب» فقالت: يارسول الله من هذا الذي يبلغ خطره أن أستقبله بمحاسني ومعاصمي؟ فقال: يا ام سلمة، إن طاعتي طاعة الله عزوجل، قال: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) قومي يا ام سلمة، إن بالباب

() : / .

() ﷺ : / - .

رجلاً ليس بالحزق ولا النزق ولا بالعجل في أمره، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يا ام سلمة، إنه إن تفتحي الباب له فلن يدخل حتى يخفى عليه الوطأ، فلم يدخل حتى غابت عنه وخفي عليه الوطأ، فلما لم يحس لها حركة دفع الباب ودخل فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام وقال: يا ام سلمة، هل تعرفين هذا؟ قالت: نعم هذا علي بن أبي طالب. فقال رسول الله ﷺ: نعم هذا علي سبط لحمه بلحمي ودمه بدمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. يا ام سلمة، هذا علي سيد مبجل، مؤمل المسلمين وأمير المؤمنين، وموضع سري وعلمي، وبابي الذي آوي إليه، وهو الوصي على أهل بيتي وعلى الاختيار من أمتي وهو أخي في الدنيا والآخرة وهو معي في السناء الأعلى. اشهدي يا ام سلمة، إن علياً يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. قال ابن عباس: وقتلهم الله رضا وللامة صلاح ولاهل الضلالة سخط.

قال الشامي: يابن عباس، من الناكثون؟ قال: الذين بايعوا علياً بالمدينة ثم نكثوا فقاتلهم بالبصرة، أصحاب الجمل. والقاسطون معاوية وأصحابه. والمارقون أهل النهروان ومن معهم. فقال الشامي يابن عباس، ملات صدري نوراً وحكمة، وفرجت عني فرج الله عنك. أشهد أن علياً رضي الله عنه مولاي ومولى كل مؤمن^(١).

وروى الخوارزمي بإسناده إلى أبي سعيد التميمي عن علي ﷺ قال: عهد إلي رسول الله ﷺ أن اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ففعل له: يا أمير المؤمنين من

الناكثون؟ قال الناكثون أصحاب الجمل، والمارقون الخوارج، والقاسطون أهل الشام^(١).

()

() :

:

من هم الناكثون؟

بذلك سماهم النبي ﷺ لانهم نكثوا الأيمان والعهود والمواثيق إذ نكثوا بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد توكيدها (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا).

قادة هذه الفئة : طلحة والزبير وعائشة

يقول علي (عليه السلام) فيهما : كل واحد منهم يرجوا الامر له ويعطفه عليه دون صاحبه ، لا يمتان إلى الله بحبل ولا يمدان إليه بسبب ، كل واحد منها حامل ضب لصاحبه واما قليل يكشف قناعه به ، والله لئن اصابوا الذين يريدون لينزعن هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا^(١).

وقال سلام الله عليه : فخرجوا يجرؤن حرمة رسول الله ﷺ كما تجر الأمة عند شرائها متوجهين بها إلى البصرة ، فحبسا نساءهما في بيوتهما وبرزوا حبيس رسول الله ﷺ لهما ولغيرهما في جيش ما منهم إلا وقد اعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعاً غير مكره ، فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من اهلها فقتلوا طائفة صبراً وطائفة غدراً^(٢).

كلام الحوآب:

يقول ابن أبي الحديد: روى أبو مخنف قال: حدثنا إسماعيل بن خالد، عن قيس بن أبي حازم. وروى الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس. وروى جرير بن

() : / :

() :

يزيد، عن عامر الشعبي، وروى محمد بن إسحاق، عن حبيب بن عمير، قالوا جميعاً:

لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة، طرقت ماء الحوآب، وهو ماء لبنى عامر بن صعصعة، فنبحتهم الكلاب فنفرت صعاب إبلهم، فقال قائل منهم: لعن الله الحوآب فما أكثر كلابها فلما سمعت عائشة ذكر الحوآب، قالت: أهذا ماء الحوآب؟ قالوا: نعم، فقالت: ردوني ردوني. فسألوها ما شأنها؟ ما بدالها؟ فقالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كأنى بكلاب ماء يدعى الحوآب، قد نبحت بعض نسائي» ثم قال لي: «إياك يا حميراء أن تكونيها» فقال لها الزبير: مهلاً يرحمك الله، فإننا قد جزنا ماء الحوآب بفراسخ كثيرة، فقالت: أعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابجة ليست على ماء الحوآب؟ فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً جعلاً لهم جعلاً، فحلفوا لها، وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوآب، فكانت هذه أول شهادة زور في الإسلام^(١).

وقال ابن حجر الهيثمي: وبسند رجاله رجال الصحيح أن عائشة لما نزلت على الحوآب - بضم أوله المهمل وفتح - سمعت نباح الكلاب فقالت ما أظنني إلا راجعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول لنا أيتكن تنبح عليها كلاب الحوآب، فقال لها الزبير: لا ترجعين عسى الله ان يصلح بك الناس^(٢).

() / :

() :

قال : وبسند رجاله ثقات انه ﷺ قال لنسائه : أيتكن صاحبة الجمل الأزيب - أي بزاي فتحتيه فموحدة - الطويل أو الضامر ، تخرج فتنبحها كلاب الحوآب تقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثيرة ثم تنجو بعدما كادت تهلك^(١) .
وصح انها مرت بماء لبني عامر يقال له الحوآب فنبحها الكلاب ، فقالت : ما هذا؟ قالوا : ماء لبني عامر ، قالت ردوني ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : تنبح لها كلاب الحوآب^(٢) .

وأخرج الحاكم بإسناده عن خيثمة ابن عبد الرحمن قال : كنا عند حذيفة (رضي الله عنه) فقال بعضنا : حدثنا يا ابا عبد الله ما سمعت من رسول الله ﷺ قال : لو فعلت لرجتموني ، قال : قلنا : سبحان الله أنحن نفعل ذلك ! قال : أرايتكم لو حدثتكم ان بعض أمهاتكم تأتيكم في كتيبة كثير عددها ، شديد بأسها ، صدقتم به؟ قالوا : سبحان الله ومن يصدق بهذا؟! ثم قال حذيفة : أتتكم الحميراء في كتيبة يسوقها أعلاجها حيث تسوء وجوهكم . ثم قام فدخل مخدعاً^(٣) . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

القاسطون:

هكذا سماهم رسول الله ﷺ وهو بمعنى الجور والعدول عن الحق ومنه قوله تعالى (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) وكذلك سماهم ﷺ الفئة الباغية لانها

()

()

()

بغت على الإمام (عليه السلام) واعتدت وتعدت، وسميت فيما بعد وقعة صفين أو معركة صفين.

قال ابن أبي الحديد: وأما الطائفة الفاسقة فاصحاب صفين وسماهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القاسطين. وأما الطائفة المارقة فأصحاب النهروان، وأشرنا نحن بقولنا: سماهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القاسطين إلى قوله (عليه السلام): «ستقاتل بعدى الناكثين، والقاسطين والمارقين» وهذا الخبر من دلائل نبوته صلوات الله عليه، لانه إخبار صريح بالغيب، لا يحتمل التمويه والتدليس، كما تحتمله الاخبار المجملة إلى أن يقول: وأما أصحاب صفين، فإنهم عند أصحابنا رحمهم الله مخلدون في النار لفسقهم، فصح فيهم قوله تعالى: (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)^(١).

وقادة الفئة الباغية القاسطين معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص. فأما معاوية فانه ترعرع ونشأ في بيت أبيه صخر بن حرب (أبي سفيان) الذي قاد قريشاً في حروبها ضد الاسلام، فورث من أبيه صفاته وأخلاقه.

وأمه هند آكلة الأكباد وهي مثل أبي سفيان، يقول ابن أبي الحديد: وكانت هند تذكر في مكة بفجور وعُهر^(٢).

وقال الزمخشري في ربيع الابرار: كان معاوية يعزى إلى أربعة... ذكرهم بأسمائهم وذكر شيئاً آخر من هذا القبيل^(٣).

() / :

() / :

() / :

أقول: ان الاسلام يجب عما قبله بل حتى الاستسلام الشكلي الظاهري، ولكن هم الذين كشفوا عن عوراتهم بحريتهم وبغضهم ولعنهم وسبهم وشتهم لعلي وابناء علي وشيعة علي، فهم لا يكثرثون بما قيل ويقال فيهم إذا سلمت دنياهم. وأما عمرو بن العاص فقد شابه معاوية شبيهاً كبيراً حتى من جهة الأب والأم، فأبوه العاص بن وائل أحد المستهزين برسول الله ﷺ والمكاشفين له بالعداوة والاذى، وفيه وفي امثاله نزل قوله تعالى: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) ولقب بالأبتر لأنه قال لقريش: سيموت هذا الابتر غداً ويعني بذلك النبي ﷺ فينقطع ذكره لأنه لم يكن له ﷺ ولد ذكر يُعقب منه فأنزل الله سبحانه (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ).

وأمه تلقب بالنابغة واسمها ليلي أو سلمى، يقول الزمخشري: كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمةً لرجل من عنزة فسبيت فأشترها عبد الله بن جدعان التيمي بمكة، فكانت بغياً ثم أعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب وامية بن خلف الجمحي وهشام بن المغيرة المخزومي وابو سفيان بن حرب والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد. فولدت عمراً فادعاه كلهم فحكمت أمه فيه فقالت: هو من العاص بن وائل وذلك لان العاص كان ينفق عليها كثيراً.

قالوا: وكان أشبه بأبي سفيان وفي ذلك يقول أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في عمرو بن العاص:

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت لنا فيك منه بينات الشمائل
ففاخر به اما فخرت ولا تكن تفاخر بالعاص الهجين بن وائل^(١)
وهناك اشياء من هذا القبيل نعرض عنها خوف الاطالة.

() : / :

وتكرر صلح الحديبية:

قال نصر: فلما رضى أهل الشام بعمرو وأهل العراق بابي موسى أخذوا في سطر كتاب المودعة وكانت صورته: هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية: بئس الرجل انا أن أقررت انه أمير المؤمنين ثم قاتلته. وقال عمرو بل يكتب اسمه واسم أبيه إنما هو أميركم، واما اميرنا فلا، فلما اعيد الكتاب أمر بمحوه، فقال الأحنف: لا تمح أسم أمير المؤمنين فاني أخوف ان محوتها ان لا ترجع اليك أبداً فلا تمحها، فقال علي عليه السلام: ان هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتبتُ الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو، فقال سهيل لو اعلم انك رسول الله لم اقاتلك ولم أخالفك! اني اذن لظالم لك ان منعتك ان تطوف ببيت الله الحرام وأنت رسوله! ولكن اكتب من محمد بن عبد الله فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي اني لرسول الله واني محمد بن عبد الله ولن يحو عني الرسالة كتابي لهم من محمد بن عبد الله، فأكتبها وامح ما أراد محوه، اما ان لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد^(١).

وفي لفظ النسائي (ستأنيها وأنت مضطر).

وفي كامل المبرد (ثم تبسم إليّ وقال: يا علي أما انك ستسام مثلها فتعطي).

() : / : : / : : / : : / : : .

المارقون:

سماهم بذلك رسول الله ﷺ والاحبار كثيرة متظافرة مستفيضة متواترة وهي من الدلائل الباهرة. ونحن نذكر بعضها على سبيل المثال، قال ﷺ: ان قوماً من أمتي أشدة ذلقة ألسنتهم بالقرآن لا يجاوز تراقيهم، يرقون من الدين كما يرقق السهم من الرمية، فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان المأجور من قتلهم^(١).

وقال ﷺ: ان فيكم قوماً يعبدون ويدأبون حتى يعجبوا الناس وتعجبهم انفسهم يرقون من الدين كما يرقق السهم من الرمية^(٢).

فالنظر المتأمل إذا لحظ تلك الأخبار أدرك حقيقة هؤلاء الأشرار وخصوصياتهم ومميزاتهم فكانوا يمتازون بكثرة العبادة لكنها قائمة على اساس الجهل فكانوا يعيشون بين افراط وتفريط.

افراط في العبادة من صلاة وقراءة قرآن وغيرها، وتفريط في التعقل والتدبر والتفكير والوعي. وهذه العبادة الفارغة اورثتهم الغرور والعجب بأنفسهم فكانوا يرون أنفسهم أفضل الناس حتى أفضل من رسول الله ﷺ كما في بعض الاخبار.

بشاعة وارهاب:

قال أبو مخنف عن عطاء بن عجلان عن حميد بن هلال أن الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من إخوانها بالنهر فخرجت عصابة منهم فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار فعبروا إليه فدعوه فتهددوه وأفزعوه وقالوا له من أنت قال أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من

() : /

()

الارض - وكان سقط عنه لما أفرغوه - فقالوا له : أفرغناك قال نعم قالوا له لا روع عليك فحدثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبي ﷺ لعل الله ينفعنا به قال حدثني أبي عن رسول الله ﷺ أن فتنة تكون يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه يمسى فيها مؤمنا ويصبح فيها كافرا ويصبح فيها كافرا ويمسى فيها مؤمنا فقالوا لهذا الحديث سألناك فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيراً قالوا ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها قال إنه كان محققاً في أولها وفي آخرها قالوا فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده؟ قال :

إنه أعلم بالله منكم وأشد توقياً على دينه وأنفذ بصيرة فقالوا إنك تتبع الهوى وتوالى الرجال على أسمائها لا على أفعالها والله لنقتلنك قتله ما قتلناها أحدا فأخذوه فكتفوه ثم أقبلوا به وبامراته وهى حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل مواقر فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم فكدف بها في فمه .

فقال أحدهم : بغير حلها وبغير ثمن فلفظها وألقاها من فمه ثم أخذ سيفه فأخذ يمينه فمر به خنزير لاهل الذمة فضربه بسيفه فقالوا هذا فساد في الارض فأتى صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره .

فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليّ منكم بأس إنى مسلم ما أحدثت في الاسلام حدثاً ولقد أمتتموني إذ قلت لاروع عليك فجاءوا به فأضجعوه فذبحوه وسال دمه في الماء .

وأقبلوا إلى المرأة فقالت إنما أنا امرأة ألا تتقون الله فبقروا بطنها وقتلوا ثلاث نسوة من طيئٍ وقتلوا أم سنان الصيداوية .

فبلغ ذلك علياً ومن معه من المسلمين من قتلهم عبد الله ابن خباب واعتراضهم الناس فبعث إليهم الحارث بن مرة العبدى ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم ويكتب به إليه على وجهه ولا يكتبه .

فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسائلهم فخرج القوم إليه فقتلوه وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس فقام إليه الناس فقالوا يا أمير المؤمنين علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا سر بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام(١).

ويقول أبو العباس في الكامل: فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا في طريقهم مسلماً ونصرانياً، فقتلوا المسلم لأنه عندهم كافر، إذ كان على خلاف معتقدهم، واستوصوا بالنصراني، وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم.

قال أبو العباس: وساموا رجلاً نصرانياً بنخلة له، فقال هي لكم، فقالوا: ما كنا لناخذها إلا بئمن، فقال: واعجباه! أتقتلون مثل عبد الله بن خباب، ولا تقبلون جنا نخلة إلا بئمن.

وعلى كل حال فكل ما فعلته الفرق أو الفئات الثلاثة كان تحذيراً ونهياً قد اشتهر وظهر على لسان النبي الأمي ﷺ.

وكل هذا العداء لأمير المؤمنين هو نتيجة حب الدنيا والتكالب عليها طلباً للرياسة والسلطة والجاه والعلو والفساد كما قال ﷺ:

فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وفسق آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها(٢).

() / : / : / :

() / : / :

قول رسول الله ﷺ هذا موجه إلى قريش إلى الذين كذبوا الرسول والرسالة
 وكرهوا ما أنزل الله فقاتلهم ﷺ على التنزيل فمنهم من أسلم ومنهم من استسلم
 خوفاً وطمعاً.

الشرح :

وقال رسول الله ﷺ هذا موجه إلى قريش إلى الذين كذبوا الرسول والرسالة
 وكرهوا ما أنزل الله فقاتلهم ﷺ على التنزيل فمنهم من أسلم ومنهم من استسلم
 خوفاً وطمعاً.

وعلي عليه السلام قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين على تأويل القرآن وارجاع
 الشريعة إلى مسارها الصحيح ، لانه بوفاة رسول الله ﷺ حدث تعديل وتبديل
 وخرق وتعطيل في كثير من جوانب الشريعة ، واستفحلت هذه الخروق إلى ان ثار
 الناس وبايعوا علياً بانتخاب حر لم يشهد التاريخ الاسلامي مثيلاً له ، انتخبوه
 لخلافة ظاهرية لا وزن ولا قيمة لها عند علي عليه السلام إلا باقامة العدل وتطبيق القرآن -
 المعبر عنه على لسان رسول الله بالتأويل - وهو روح الشريعة وقلبها النابض ، إذ ان
 القانون أو النظرية تموت ويموت المجتمع إذا وضعت على الرف بدون تطبيق وتنفيذ ،
 وقد اشار الشارع المقدس إلى هذه الحقيقة (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي
 الْأَلْبَابِ) وهذه الحقيقة سارية في كل جانب من جوانب الشريعة ، فكل تعطيل موت
 وكل تفعيل حياة.

وقال علي عليه السلام كان من أجل التأويل والتفعيل وارجاع الروح والحياة إلى
 القانون والشريعة المنزلة على سيد الانبياء والمرسلين ﷺ .

فمن قاتل علياً عليه السلام فقد قاتل من أجل البدع والموت والفناء والتعطيل فلا رزق
 له عند ربه.

ومن قاتل مع علي عليه السلام قاتل من أجل القانون الالهي الذي يعني الحياة فهو حي يرزق عند ربه : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ).

وبهذا البيان الذي هو في غاية الاتقان أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعري اعداء علي ومخالفيه من الايمان، لانه من حارب شخصاً أو قاتله فقد قطع كل أواصر المحبة والمودة وأظهر الكراهية والبغض بأبرز مصاديقها، وهنا تأتي آية المودة وغيرها وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن أبغض علياً أو حاربه وفارقه وآذاه لتأخذ مكانها المناسب. فالحق والحق يقال ان التأويل روح التنزيل وهو بمنزلة الرأس من الجسد، ولولا الحروب التي خاضها علي عليه السلام وأبناء علي من أجل التأويل لأصبح القرآن كالتوراة والانجيل التي في أيدي اتباعها اليوم، ومن تأمل تاريخ أهل البيت أعني النبي والأئمة الأثني عشر يرى بوضوح وحدة الهدف وتنوع الدور بين النبي والوصي والأئمة من ولده، كل ذلك من أجل التنزيل والتأويل.

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رواه اعلام القوم. ففي مسند أحمد بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان منكم من يقاتل علي تأويله كما قاتلت علي تنزيهه قال: فقام أبو بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم: لا ولكن خاصف النعل - وعلي يخصف نعله^(١).

وروى بسندين آخرين عن أبي سعيد أيضاً قال: كنا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج علينا من بعض بيوت نسائه قال: فقمنا معه، فانقطعت نعله فتخلف عليها علي يخصفها، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضينا معه، ثم قام^(٢) ينتظره وقمنا

() / :

()

معه ، فقال ﷺ : ان منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر فقال ﷺ : لا ولكنه خاصف النعل قال : فجئنا نبشره قال : وكأنه قد سمعه^(١) .

وفي لفظ النسائي بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال : كنا جلوساً ننتظر رسول الله ﷺ فخرج الينا قد انقطع شسع نعله ، فرمى بها إلى علي ، فقال : ان منكم من يقاتل على القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فقال أبو بكر : أنا قال : لا قال عمر : أنا قال : لا ولكن صاحب النعل^(٢) .

وفي لفظ الحاكم بإسناده عن أبي سعيد قال : كنا مع رسول الله ﷺ فانقطعت نعله ، فتخلف علي يخصفها ، فمشى قليلاً ثم قال ﷺ : ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فاستشرف لها القوم وغيرهم أبو بكر وعمر ، قال أبو بكر : أنا هو قال لا . قال عمر : أنا هو قال : لا ولكن خاصف النعل يعني علياً ، فأتيناه فبشرناه فلم يرفع به رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(٣) .

وروى الخوارزمي الحنفي بإسناده إلى أبي ذر قال : كنت مع رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد فقال : والذي نفسي بيده ان فيكم رجلاً يقاتل الناس من بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت المشركين على تنزيله ، وهم يشهدون ان لا إله إلا الله فيكبر قتلهم على الناس حتى يطعنوا على ولي الله ويسخطوا عمله كما سخط موسى أمر

() : / .

() :

ﷺ : / - .

() : / .

السفينة وقتل الغلام وامر الجدار، وكان خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار،
 لله رضى وسخط ذلك موسى. أراد بالرجل علي بن أبي طالب عليه السلام^(١).
 وروى الحافظ الكنجي الشافعي بإسناده إلى ابن عباس قال: ستكون فتنة فمن
 أدركها منكم فعليه بخصلة من كتاب الله تعالى وعلي بن أبي طالب عليه السلام فاني سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: هذا اول من آمن بي، وأول من يصفحني، وهو فاروق
 هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة،
 وهو الصديق الأكبر، وهو بابي الذي أوتي منه، وهو خليفتي من بعدي^(٢). قال
 الكنجي: هكذا اخرجه محدث الشام (ابن عساكر) في فضائل علي عليه السلام بطرق
 شتى^(٣).

وفي كنز العمال عن مسند أبي سعيد قال: كنا جلوساً في المسجد فخرج رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلينا ولكأن على رؤوسنا الطير لا يتكلم من احد فقال: ان منكم
 رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قوتلتم^(٤) على تنزيهه، فقام أبو بكر فقال:
 انا هو يارسول الله؟ قال: لا فقام عمر فقال: أنا هو يارسول الله؟ قال: لا ولكنه
 خاصف النعل في الحجرة، فخرج علينا علي ومعه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلح منها.
 قال المتقي الهندي: رواه ابن أبي شيبه في مصنفه، وأحمد في المسند، وابو يعلى في

() : : :

() :

() : / - .

() : ()

() .

مسنده، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرک، وأبو نعیم في الحلیة،
وسعيد بن منصور^(١).

:

:

الشرح:

قال في الصواعق المحرقة: ومن كراماته الباهرة ان الشمس ردت عليه لما كان رأس النبي ﷺ في حجره والوحي ينزل عليه وعلي لم يصل العصر، فما سرى عنه ﷺ إلا وقد غربت الشمس فقال النبي ﷺ: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، فطلعت بعدما غربت. قال ابن حجر: وحديث ردها صححه الطحاوي والقاضي في الشفاء وحسنه شيخ الاسلام أبو زرعة وتبعه غيره، وردوا على جمع قالوا انه موضوع^(١).

وأخرج ابن المغازلي بإسناده عن أسماء بنت عميس، قالت: كان رسول الله ﷺ يوحى إليه وراسه في حجر علي، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: صليت يا علي؟ قال: لا فقال رسول الله ﷺ: اللهم ان علياً كان على طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت^(٢).

وأخرج بسناد آخر عن أبي رافع قال: رقد رسول الله ﷺ على فخذ علي وحضرت صلاة العصر ولم يكن علي صلى، وكره ان يوقظ النبي ﷺ حتى غابت

() :

() :



:

() :

الشمس فلما استيقظ قال: ما صليت أبا الحسن العصر؟ قال: لا يارسول الله، فدعا النبي ﷺ فردت الشمس على علي كما غابت حتى رجعت لصلاة العصر في الوقت، فقام علي فصلى العصر، فلما قضى صلاة العصر غابت الشمس فاذا النجوم مشتبكة^(١).

وأخرج الخوارزمي بسندين عن أسماء بنت عميس جاء في أحدهما: ان النبي ﷺ صلى الظهر بالصهباء^(٢). ثم أرسل علياً في حاجة فرجع وقد صلى النبي العصر، فوضع النبي رأسه في حجر علي ﷺ فلم يحركه حتى غابت الشمس، فقال النبي ﷺ: اللهم ان عبدك علياً احتسب بنفسه على نبيك، فرد عليه شرقها، قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى وقفت على الجبال وعلى الأرض، ثم قام علي ﷺ فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس وذلك بصهباء في غزوة خيبر^(٣).

() ﷺ :

()

() :

إنَّ اللهَ على كل شيء قدير:

من آمن بالله فقد آمن بان الله على كل شيء قدير، وانه (إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فالقدرة الالهية مطلقة لا حدود لها، وان من آمن بالقرآن فقد آمن بان الله جعل النار برداً وسلاماً لإبراهيم عليه السلام وجعل بطن الحوت سجناً آمناً ليونس عليه السلام وأنام أصحاب الكهف ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعة، وأمات عزيز مائة عام ثم بعثه، وانه سبحانه شق القمر^(١) لبنينا عليهما السلام وغيرها من الآيات التي في نظر الدهرية والزنادقة ومن تفلسف وتمنطق من المستحيالات والممتنعات، والمنقبة أو الفضيلة التي نحن في صدها من هذا القبيل، فقول القائل ان للكواكب أو النجوم نظاماً تكويناً لا يمكن خرقه وتعطيله لا وقع له ولا أثر لان هذا النظام مخلوق لله وتحت قدرته وسيطرته وتدييره وامره، وانه سبحانه اظهراً لقدرته واثباتاً لمعجزة يريد ان يجريها على يدي نبي أو ولي يفعل ما يشاء وما يريد، والمعاجز من هذا القبيل، وكلما كانت خلاف النظم أو النواميس فهي أبلغ وأعظم، وقد أحسن واجاد الحافظ الكنجي الشافعي حيث قال:

فصل في الحديث المروي في رد الشمس بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى صلى علي بن أبي طالب عليه السلام العصر.

نعتضد بالله ونقول: منكر ذلك اما ان ينكره من حيث الامكان، أو من حيث صحة النقل من عدالة الرواة.



{ }

:

()



أما القسم الأول: فان المتكلم فيه احد رجلين، اما من يثبت الشرايع أو ينفيها، اما نفاتها كالدرهية أو الفلاسفة، والمنجمين، فلا كلام معهم، وأما مثبتوها فلا يتمكنون من ذلك للحديث الذي خرجه مسلم في صحيحه في حبس الشمس، كما أخبرنا الامام الحافظ عثمان... إلى آخر السند عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد ان يبيني بها ولما بين، ولا آخر قد بنى بنياناً ولما يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو منتظر ولادها.

قال: فغزا فادنى للقرية حين صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس: انت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها عليّ شيئاً، فحبست عليه حتى فتح الله عليه^(١). قال الكنجي: هذا حديث متفق على صحته، رواه البخاري في الغلول، وأخرجه مسلم في الجهاد كما سقناه، ورواه احمد بن حنبل في مسنده وقال: ان الشمس حبست ليوشع بن نون عليه السلام ورواه الطبراني في معجمه كذلك، ولا يخلو اما ان يكون ذلك معجزة لموسى عليه السلام أو ليوشع عليه السلام فان كان لموسى عليه السلام فنبينا عليه السلام أفضل وعلي عليه السلام أقرب إليه من يوشع إلى موسى، وان كان معجزو ليوشع عليه السلام فان كان نبياً فعلي عليه السلام مثله، وان لم يكن نبياً فعلي أفضل منه إذ قال النبي عليه السلام: علماء

()

/ :

:



امتي كأنباء بني اسرائيل، وفي لفظ آخر انبياء بني اسرائيل، وحذف الكاف لقوة المشابهة.

والمعنى ان انبياء بني اسرائيل دعاة إلى الله سبحانه بالوعظ والزجر والتحذير والترغيب والترهيب، وعلماء أمته ﷺ قائمون في هذا المقام منخرطون في سلك هذا النظام، وعلي ﷺ أولى الناس بهذا النص لقوله ﷺ: أقضاكم علي. وأما القسم الثاني وهو الانكار من حيث العدالة من نقل ذلك وذكره في كتابه، فقد عده جماعة من العلماء في معجزاته ﷺ.

منهم ابن سبع ذكره في (شفاء الصدور) وحكم بصحته. ومنهم القاضي عياض ذكره في (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى) وحكى فيه عن الطحاوي انه ذكر ذلك في شرح مشكل الحديث، قال: روى من طريقين صحيحين.

وقال ابن خزيمة: كان أحمد بن صالح يقول: لا ينبغي لمن سبيلة العلم التخلف عن حديث اسماء بنت عميس في رد الشمس، لانه من علامات نبوة نبينا ﷺ. وقد شفى الصدور الامام الحافظ أبو الفتح محمد بن الحسين الازدي الموصلي في جمع طرقه في كتاب مفرد، ورواه الحافظ أبو عبد الله الحاكم في تاريخه في ترجمة عبد الله بن حامد بن محمد بن ماهان الفقيه الواعظ المحدث وخرجه عنه، كما أخبرنا بقية السلف.. إلى آخر السند عن عروة، عن عبد الله قال: دخلت على فاطمة بنت علي ﷺ فرأيت في عنقها خرزة، ورأيت في يدها مسكتين غليظتين وهي عجوز كبيرة فقلت لها: ما هذا؟ قالت: انه يكره للمرأة ان تشبه بالرجال.

ثم حدثني عن اسماء بنت عميس حديثها، ان علياً ﷺ دفع إلى النبي ﷺ وقد أوحى إليه يجلبه بثوبه فلم يزل كذلك حتى ادبرت الشمس - يقول غابت أو كادت

تغيب - ثم ان النبي ﷺ سري عنه فقال : أصليت يا علي؟ قال : لا ، فقال النبي ﷺ : اللهم ردّ الشمس على علي ، فرجعت الشمس حتى بعلت نصف المسجد .

قال الكنجي : هكذا ذكره الحاكم في تاريخ نيسابور في هذه الترجمة .

وقد أملاه أبو منصور أحمد بن شعيب بن صالح البخاري ببغداد في جامع المنصور في ملأ من أهل الحديث ، اخبرنا عبد الله بن عمر الليثي... إلى آخر السند عن اسماء قالت : أمر رسول الله ﷺ علياً يوم خيبر ان يقسم الغنائم على الناس ، فشغل عن الصلاة حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله ﷺ لعلي : صليت العصر؟ قال : لا يا رسول الله شغلني ما أمرتني ، فدعا رسول الله ﷺ ان ترد عليه الشمس حتى يصلي علي ﷺ فاقبلت الشمس ولها حفيف كحفيف المنشار إذا وقع في الخشب حتى توسطت مسجد خيبر فقام علي ﷺ فصلى فلما فرغ علي من صلاته غربت الشمس^(١) . انتهى كلام الحافظ الكنجي نقلناه باختصار .

وأخرج الدولابي بإسناده عن فاطمة بنت الحسين ، عن الحسين قال : كان راس رسول الله ﷺ في حجر علي ، وكان يوحى إليه ، فلما سري عنه قال : يا علي صليت العصر؟ قال : لا . قال : اللهم انك تعلم انه كان في حاجتك وحاجة رسولك فردّ عليه الشمس ، فردها عليه فصلى وغابت الشمس^(٢) .

أقول : ان ابن الجوزي ادعى الوضع في هذا الحديث ، وقد رده جماعة كثيرة من الحفاظ والاعلام منهم سبطه في تذكرة الخواص ، وابن حجر في فتح الباري ، والعيني في عمدة القاري ، والشهاب الخفاجي في شرح الشفا ، والزرقاني في شرح المواهب . قال الشهاب الخفاجي في شرحه على الشفاء :

() : - .

() : .

ورواه الطبراني بأسانيد مختلفة رجال أكثرها ثقة...

قال: وهذا الحديث صححه المصنف وأشار إلى ان تعدد طرقه شاهد صدق على صحته وقد صححه قبله كثير من الأئمة كالطحاوي، وأخرجه ابن شاهين، وابن مندة، وابن مردويه، والطبراني في معجمه وقال: انه حسن.

قال: وقد صنف السيوطي في هذا الحديث رسالة مستقلة سماها (كشف اللبس عن حديث رد الشمس) وقال انه سبق بمثله لابي الحسن الفضلي، أو رد طرقه بأسانيد كثيرة وصححه بما لا مزيد عليه.

ذكر سبط ابن الجوزي والحافظ الكنجي وابن حجر الهيتمي والكلام للأول قال: وفي الباب حكاية عجيبة، حدثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق قالوا: شاهدنا أبا منصور المظفر بن أردشير العبادي الواعظ وقد جلس بالتاجية مدرسة بباب ابرز محلة ببغداد، وكان بعد العصر وذكر حديث رد الشمس لعلي عليه السلام وطرزه بعبارته ونمقه بألفاظه، ثم ذكر فضائل اهل البيت، فنشأت سحابة غطت الشمس حتى ظن الناس أنها غابت، فقام أبو منصور على المنبر قائماً وأومى إلى الشمس وانشد:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي مدحي لآل المصطفى ولنجله
 واثني عنانك ان أردت ثناءهم أنسيت إذ كان الوقوف لأجله
 ان كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لخياله ولرجله

قالوا: فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت^(١).

قال الفخر الرازي في تفسير سورة الكوثر من تفسيره الكبير: وأما سليمان فان الله ردَّ له الشمس مرة، وفعل ذلك أيضاً للرسول ﷺ حين نام ورأسه في حجر علي ﷺ فانتهبه وقد غربت الشمس، فردها حتى صلى، وردّها أخرى لعلي فصلّى العصر في وقته.

وقول الفخر الرازي: وردّها مرة أخرى... اشارة فيه إلى ما رواه العامة والخاصة من رجوع الشمس لعلي ﷺ في بابل، فقد روى نصر قال: حدثني عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة الثقفي، عن أبيه، عن عبد خير قال: كنت مع علي أسير في أرض بابل، قال: وحضرت الصلاة صلاة العصر. قال: فجعلنا لأنأتي مكاناً إلا رأيناه أفيح من الآخر، قال: حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا قد كادت الشمس ان تغيب. قال: فنزل علي ﷺ ونزلت معه قال: فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر، قال: فصلينا العصر، ثم غابت الشمس^(١).

وروى الخوارزمي بإسناده إلى مجاهد قال: قيل لابن عباس ما تقول في علي بن أبي طالب؟

فقال: ذكرت والله أحد الثقلين، سبق بالشهادتين وصلّى القبلتين، وباع البيعتين واعطى السبطين وهو أبو السبطين الحسن والحسين، وردت عليه الشمس مرتين بعدما غابت عن الثقلين^(٢).

() : /

() :

ومن أراد المزيد من التفصيل حول هذه المنقبة فليرجع إلى العلامة الاميني في الغدير: ١٢٦/٣ - ١٤١ وإلى ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق بتحقيق المحمودي: ٢٨٣/٢-٣٠٦ فقد ذكرا تحقيقاً شيقاً رشيقاً وأنيقاً متسقاً.

ﷺ :
 :
 :

الشرح :

ان هذا الموقف من رسول الله ﷺ يختلف عن سائر مواقفه في شأن علي ﷺ يريد بذلك ان يبين لأمة منزلة علي ﷺ وانه هو لا غير الذي يؤدي عنه ويخلفه ويقوم مقامه ، فهذه احدى العلامات والآيات التي نصبها نبي الرحمة ﷺ لأمة في كل مفترق ليهتدوا إلى المحجة البيضاء والصراط المستقيم ، هذا.

وان المبلغ الرسالي ينبغي ان يكون بمستوى ما يبلغ ويؤدي وانه يفعل ويطبق ما يقول ، وهنا حيث البراءة من الشرك والمشركين فينبغي ان يصدر هذا التبليغ ممن لم يشرك بالله طرفة عين ، وليس ذلك إلا نفس رسول الله ﷺ وأخوه وابن عمه علي بن أبي طالب ﷺ وكما يقول القوم عند ذكر اسمه (كرم الله وجهه) وهم يعلمون ماذا تعني هذه الكلمة ، حين خرت وجوه غيره ساجدة عابدة للأوثان.

فأراد رسول الله ﷺ بهذا الموقف الذي صدر عن علم ووعي ان يبين منزلة رجلين ، احدهما لا ينبغي له ان يؤدي عن رسول الله ﷺ وآخر ينبغي له ذلك وقول بعضهم : ان من عادات العرب إذا كان بينهم عقداً أو ميثاقاً واران أحدهم نقضه وحله فانه لا يحل إلا به أو بسيد من رهطه وقومه غير ثابت ، وعلى فرض ثبوته جديلاً فان رسول الله ﷺ لم يكن يجهل عادات العرب واعرافهم ، وقد كفانا مؤنة الرد على هذا علم من أعلام القوم ، فقد قال ابن أبي الحديد :

فأما ما حكاه - قاضي القضاة - عن أبي علي من أن عادة العرب ألا يحل ما عقده الرئيس منهم إلا هو أو المتقدم من رهطه ، فمعاذ الله أن يجرى النبي ﷺ سنته

وأحكامه على عادات الجاهلية، وقد بين ﷺ لما رجع إليه أبو بكر يسأله عن اخذ السورة منه الحال، فقال أنه أوحى إلى ألا يؤدي عنى إلا أنا أو رجل منى، ولم يذكر ما ادعاه أبو علي، على أن هذه العادة قد كان يعرفها النبي ﷺ قبل بعثه أبا بكر بسورة براءة فما باله لم يعتمدها في الابتداء ويبعث من يجوز أن يحل عقده من قومه^(١).

وحديث براءة هذا طرقة ومصادره كثيرة نقتصر على ذكر بعضها، ففي مسند أحمد عن حنش عن علي ﷺ قال: لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي ﷺ دعا النبي ﷺ أبا بكر فبعثه بها ليقراها على أهل مكة، ثم دعاني النبي ﷺ فقال لي: أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فقرأه عليهم، فلحقه بالجحفة فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: لا ولكن جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك^(٢).

وفيه عن زيد بن يثيع عن أبي بكر: ان النبي ﷺ بعثه ببراءة لأهل مكة، لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، من كان بينه وبين رسول الله ﷺ مدة فأجله إلى مدته والله بريء من المشركين ورسوله، قال: فسار بها ثلاثاً ثم قال ﷺ لعلي رضي الله عنه: الحق، فرد علي أبا بكر وبلغها أنت، قال: ففعل، قال: فلما قدم على النبي ﷺ أبو بكر بكى، قال: يا رسول الله

() : / .

() : / .

حدث في شيء؟ قال: ما حدث فيك إلا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني^(١).

وفيه عن أبي هريرة قال: كنت مع علي بن أبي طالب حيث بعثه رسول الله إلى أهل مكة ببراءة... الحديث^(٢).

وروى النسائي عن زيد بن بثيع عن علي عليه السلام: ان رسول الله ﷺ بعث ببراءة إلى أهل مكة مع أبي بكر ثم أتبعه بعلي، فقال له: خذ الكتاب فامض به إلى أهل مكة، قال: فلحقته فأخذت الكتاب منه، فانصرف أبو بكر وهو كئيب، فقال: يا رسول الله أنزل في شيء؟ قال: لا إلا اني أمرت ان ابغعه أنا أو رجل من اهل بيتي^(٣).

وفيه عن أنس بن مالك: ان رسول الله ﷺ بعث ببراءة مع أبي بكر إلى أهل مكة قال: ثم دعاه فبعث بها علياً، قال: لا يبلغها إلا رجل من أهلي^(٤).

وأخرج ابن عساكر في هذا المعنى عدة روايات منها ما عن ابن عباس قال: بينا أنا مع عمر بن الخطاب في بعض طرق المدينة يده في يدي إذ قال لي: يا ابن عباس ما أحسب صاحبك إلا مظلوماً، فقلت: فرد إليه ظلامته يا أمير المؤمنين، قال فانتزع يده من يدي ونفر مني يهيمهم ثم وقف حتى لحقته فقال لي: يا ابن عباس ما أحسب القوم إلا استصغروا صاحبك!!! قال: قلت: والله ما استصغره رسول الله ﷺ حين أرسله وأمره أن يأخذ براءة من أبي بكر فيقرأها على الناس، فسكت^(٥).

() : / .

() : / .

() : .

() : / .

() / .

وروى الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل في نفس المعنى أكثر من عشرين طريقاً وقد أجاد وأفاد وأتحف العباد العلامة المحقق والمدقق في موسوعته الرائعة كتاب الغدير الجزء ٦ ص ٣٣٨ - ٣٥٠ فاغتنمه أيها القارئ الكريم فانه غدير عذب فرات ، بل انه ماء الحياة.



:

:

الشرح:

لكي تتضح لنا هذه المنزلة والمكانة بعض الشيء ينبغي ان نذكر أولاً بعض الآيات الواردة في منزلة هارون من موسى عليهما السلام، فقد قال سبحانه وتعالى:

أولاً: (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا) (مريم/٥٣).

ثانياً: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ) (الأنبياء/٤٨).

ثالثاً: (وَلَقَدْ مَنَّنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْأَنَّهُمْ الْغَالِيْنَ ﴿٣﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٤﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿٦﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) (الصافات/١١٤-١٢٢).

رابعاً: (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ) (يونس/٧٥).

خامساً: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (يونس/٨٧).

سادساً: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) (المؤمنون/٤٥).

سابعاً: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿١﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ﴿٣﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٤﴾ وَاجْعَلْ لِّي زَويْرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٥﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٦﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٧﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) (طه/٣٢-٣٥).

ثامناً: (قَالَ سَتَشِدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ) (القصص/٣٥).

تاسعاً: (وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزَويْرًا) (الفرقان/٣٥).

وصح عند الفريقين دعاء نبينا ﷺ وسؤاله من الله بان يجعل علياً ﷺ منه كما جعل هارون من موسى ، فقد روى أبو اسحاق الثعلبي بإسناده إلى أبي ذر الغفاري قال : قال : أما إنني صليتُ مع رسولِ الله ﷺ يوماً صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً ، فرفع السائلُ يده إلى السماء وقال : اللهم اشهد أنني سألتُ في مسجد نبيك محمد ﷺ فما أعطاني أحد شيئاً ، وعلي (رضي الله عنه) في الصلاة راکعاً ، فأوماً إليه بخصره اليمنى وفيه خاتم ، فأقبل السائلُ فأخذ الخاتم من خصره وذلك بمرأى من النبي ﷺ وهو في المسجد فرفع رسول الله ﷺ طرفه إلى السماء وقال : « اللهم إن أخي موسى سألَكَ فقال : (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ❖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ❖ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ❖ يَفْقَهُوا قَوْلِي ❖ وَاجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي ❖ هَارُونَ أَخِي ❖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ❖ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) فأنزلت قرآناً : (سَسْئِدُ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمَّا سُلْطَانًا) اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري .

قال أبو ذر (رضي الله عنه) : فما استتم دعاءه حتى نزل جبرئيل ﷺ من عند الله عز وجل وقال : يا محمد اقرأ : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) ^(١) .

وقال الثعلبي أيضاً : قال ابن عباس ، وقال السدي ، وعتبة بن حكيم ، وثابت بن عبد الله : إنما يعني بقوله : (وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) الآية علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) مرّ به سائل وهو راکع في المسجد فأعطاه خاتمه .

ولهذه المنقبة والفضيلة مصادر وطرق كثيرة ، نذكر منها : الواحدي في أسباب النزول والطبري في التفسير وابن عساكر في ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق

والزنجشري في الكشاف والفخر الرازي في التفسير والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل فقد ذكر أكثر من عشرين طريقاً والسيوطي في الدر المنثور والقرطبي في التفسير.

وقد ذكر العلامة الأميني في كتابه الغدير ستة وستين رجلاً ممن أخرج هذه المنقبة في ج ٣، ص ١٥٦ - ١٦٢ وفي ج ٢، ص ٥٢ - ٥٣.

ولكن مما يضحك الثكلى وشر البلية ما يضحك ان بعض من نصب البغض والعداء لعلي عليه السلام يقول: ان هذا الحديث من الموضوعات وانه كذب وافتراء!!! وهذه هي وسيلة العاجز أمام الأدلة المتراكمة كما وصف المشركون نبي الرحمة صلى الله عليه وآله بالجنون والكذب والافتراء.

يقول العلامة الأميني في الغدير: ليت شعري كيف ينسب هذا الرجل إلى أهل العلم اجماعهم على كذب الحديث وهم يستدلون بالآية الشريفة وحديثها هذا على ان الفعل القليل لا يبطل الصلاة وان صدقة التطوع تسمى زكاة ويعدونها من آيات الاحكام^(١) وذلك ينم عن اتفاقهم على صحة الحديث.

ويقول العلامة الطباطبائي في الميزان: ولو صح الاعراض في تفسير آية بالأسباب الماثورة عن مثل هذه الروايات على تكاثرها وتراكمها لم يصح الركون إلى شيء من أسباب النزول الماثورة في شيء من آيات القرآن.

عاشراً: (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) (الأعراف/١٤٢).

وأخيراً قوله تعالى: (قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ❖ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (الأعراف/ ١٥٠- ١٥١).

فمن تدبر هذه الآيات علم ان الله عظم مقام هارون ومنزلته من موسى بحيث اشركه في أمره وجعله وزيره وشدّ به أزره وكان خليفته على قومه و... وكل هذه الصفات والمميزات تفرض وتوجب على أمة موسى طاعة هارون واتباعه لانه يسلك بهم سبيل النجاة.

ولا يشك المسلم في أن رسول الله ﷺ كان ملتفتاً عالماً بهذه الآيات البينات التي نزلت على قلبه الشريف في حق هارون فجاء ﷺ واعطى هذه المنزلة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) إلا النبوة بيان لطيف اتفقت الامة الإسلامية على صحته وإليك بعض هذه الروايات من مصادر القوم نبداً بما رواه أحمد بن حنبل في مسنده، فقد روى بإسناده عن عائشة بنت سعد عن أبيها:

ان علياً (رضي الله عنه) خرج مع النبي ﷺ حتى جاء ثنية الوداع، وعلي (رضي الله عنه) يبكي يقول: تخلفني مع الخوالم! فقال ﷺ: أوما ترضى ان تكون مني بمنزل هارون من موسى إلا النبوة^(١).

وروى بإسناده إلى سعيد بن المسيب قال: قلت لسعد بن مالك: اني أريد ان أسألك عن حديث وأنا أهابك ان أسألك عنه، فقال: لا تفعل يا ابن أخي اذا علمت ان عندي علماً فسألني عنه ولا تهبني، قال: فقلت: قول رسول الله لعلي (رضي الله عنه) حين خلفه في غزوة تبوك، فقال سعد: خلف النبي ﷺ علياً (رضي الله عنه) بالمدينة في

غزوة تبوك فقال: يارسول الله اتخلفني في الخالفة في النساء والصبيان؟! فقال ﷺ: أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى، قال بلى يارسول الله^(١).
 وروى أيضاً عن ابن المسيب عن ابن سعد بن مالك عن ابيه قال: دخلت على سعد فقلت حديثاً حدثني عنك حين استخلف رسول الله ﷺ علياً (رضي الله عنه) على المدينة، قال: فغضب فقال: من حدثك به؟ فكرهت ان أخبره ان ابنه حدثني فيغضب عليه، ثم قال: ان رسول الله ﷺ حين خرج في غزوة تبوك استخلف علياً (رضي الله عنه) على المدينة فقال علي: يارسول الله ما كنت أحب ان تخرج وجهها إلا وأنا معك فقال ﷺ: أوما ترضى ان تكون بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدي^(٢).

وروى بإسناده إلى عبد الله عن ابيه سعد قال: لما خرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك خلف علياً (رضي الله عنه) فقال له: أتخلفني؟! قال له: أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي^(٣).
 وبإسناده عن عامر بن سعد عن ابيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول له - وخلفه في بعض مغازيه - فقال علي (رضي الله عنه): اتخلفني مع النساء والصبيان؟ قال: يا علي أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبوة بعدي، وسمعتة يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً... الحديث^(٤).

() / :

() / :

() / :

() / :

وروى عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي^(١).

ويأسناده إلى موسى الجهني قال: دخلت على فاطمة بنت علي فقال لها رفيقي أبو سهل: كم لك؟ قالت ستة وثمانون سنة، قال ما سمعت من أيك شيئاً؟ قالت: حدثني أسماء بنت عميس ان رسول الله ﷺ قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه ليس بعدي نبي^(٢).

ورواه الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي بواحد وعشرين طريقاً منها ما عن سعيد بن المسيب عن سعد ابن أبي الوقاص قال: لما غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك خلف علياً بالمدينة فقالوا فيه: مله وكره صحبته، فتبع علي النبي ﷺ حتى لحقه في الطريق فقال: يارسول الله خلفتني في المدينة مع الذراري والنساء حتى قالوا: مله وكره صحبته، فقال له النبي ﷺ: يا علي انما خلفتك على أهلي اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدي^(٣).

وفي صحيح البخاري عن مصعب بن سعد عن أبيه: ان رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟! قال ﷺ: ألا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه ليس نبي بعدي^(٤).

وفي صحيح مسلم روى حديث المنزلة بأربعة طرق منها ما عن عامر بن سعد بن أبي الوقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك ان تسب أبا تراب؟ فقال: اما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه. لان تكون

() / :

() / :

() :

()

لي واحدة منهن أحب إليّ من حُمر النعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول له ، خلفه في بعض مغازيه ، فقال له علي : يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ : أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا انه لا نبوة بعدي.

وسمعه يقول يوم خيبر: لأعطين الراية... الحديث^(١).

وأخرج الحافظ ابن عساكر حديث المنزلة باكثر من مائة وعشرين حديثاً أكثرها صحاح^(٢).

وقال أبو عمر في الاستيعاب : لم يتخلف عن مشهد شهده رسول الله ﷺ مذ قدم المدينة إلا تبوك فانه خلفه رسول الله ﷺ على المدينة وعلى عياله وقال له : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي.

وروى قوله ﷺ لعلي انت مني بمنزلة هارون من موسى جماعة من الصحابة ، وهو من اثبت الآثار واصحها رواه عن النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص ، وطرق حديث سعد فيه كثيرة جداً قد ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره ، ورواه ابن عباس وأبو سعيد الخدري وأم سلمة واسماء بنت عميس وجابر بن عبد الله وجماعة يطول ذكرهم^(٣).

ورواه الفقيه ابن المغازلي بسبعة عشر طريقاً منها ما عن سعيد بن المسيب ، عن سعد بن أبي وقاص قال : قال النبي ﷺ لعلي : اقم بالمدينة قال : فقال له علي ﷺ : يا رسول الله انك ما خرجت في غزاة فخلفتني ، فقال النبي ﷺ لعلي : ان

()

()

()

المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، وانت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي.

قال: فقلت لسعد بن أبي وقاص: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، لا مرة ولا مرتين يقول ذلك لعلي ﷺ^(١).

وقال ابن اسحاق: وخلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، (رضوان الله عليه)، على أهله وأمره بالاقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقلاً له، وتحفظاً منه. فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف فقال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقتني وتحفت مني، فقال: كذبوا ولكنني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي، فرجع علي إلى المدينة ومضى رسول الله ﷺ على سفره^(٢).

قال ابن اسحاق: وحدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، عن ابراهيم بن سعيد بن أبي وقاص، عن ابيه سعد انه سمع رسول الله ﷺ يقول لعلي هذه المقالة. أجل روى الحاكم الحسكاني هذه المقالة عن سعد قال: لما نزل رسول الله ﷺ الجرف واذا علي بن أبي طالب يحمل سلاحاً فقال: يا رسول الله خلفتني عنك ولم أتخلف عن غزوة قبلها، وقد أرجف المنافقون في أنك خلفتني لما استثقتني، قال

()

() / :

سعد : فسمعت رسول الله ﷺ يقول : يا علي ألا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي ، فارجع فأخلفني في أهلي وأهلك^(١) .
 وحاول ابن هشام يائساً ان يدس اسم رجلين ايهاً وتمويهاً للحقيقة فقال :
 واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري . ثم قال : وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن أبيه : ان رسول الله ﷺ استعمل على المدينة مخرجه إلى تبوك سباع بن عرفة^(٢) .

أقول : من تأمل الاخبار في المقام يرى ان هذا الزعم لا نصيب له من الصحة
 وبعيد كل البعد عن الصواب وذلك لأمر منها :

١ . ان الذي أزعج المنافقين واغضبهم استخلاف علي ﷺ ولذلك أرجفوا به
 وتكلموا فيه ولم يشيروا من قريب أو بعيد إلى ابن عرفة أو غيره ، إلا ان يقال ان
 وجوده كالعدم .

٢ . قول النبي ﷺ انما خلفتك لما ورائي ، وقوله ان المدينة لا تصلح إلا بي أو
 بك وفيهما اشارة إلى خطر محقق بالمدينة يفهمه من يفهم العربية واساليبها في التعبير ،
 وهذا الخطر لا يدفع الا بعلي فقال له : ارجع فأخلفني في أهلي وأهلك ، وخص
 أهلها بالذكر لان المستهدف والمقصود في هذه المؤامرة أولاً وبالذات أهل بيته عليهم
 أفضل الصلاة والسلام ، فلم يشر ﷺ إلى وجود رجل غير علي ﷺ ولو بكلمة
 واحدة .

٣ . خلو الاخبار والآثار الكثيرة الصحيحة التي نقلنا بعضها مما زعم ابن هشام
 وغيره وحاول بعضهم محاولة سياسية لأرضاء جميع الاطراف فقال : ان ابن عرفة

() : / .

() : / .

خليفته على المدينة، وعلي عليه السلام على أهله، مثل ما صنعوا في حديث تبليغ سورة براءة إذ قالوا: كان أبو بكر على الحاج وعلي عليه السلام على تبليغ سورة براءة، وهذه عادة مطردة عند القوم إذا لم يكن بوسعهم التشكيك في منقبة أو فضيلة لعلي أو واحد من أهل بيته جعلوها لغيرهم من باب المقابلة. هذا.

وان الجمع بين الآيات القرآنية التي في حق هارون ومنزلته من موسى عليه السلام وبين حديث المنزلة قاض بما قلناه، وإليك بعض كلمات الاعلام في ذلك.

قال ابن أبي الحديد: ويدل على انه وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم من نص الكتاب والسنة قول الله تعالى: (وَاجْعَلْ لِي وَاِزِيْرًا مِّنْ اَهْلِيْ) ❖ هَارُونَ أَخِي ❖ اشْدُدْ بِهِ اَازِرِيْ ❖ وَأَشْرِكْهُ فِيْ اَمْرِيْ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الخبر المجمع على روايته بين سائر فرق الاسلام (انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا بني بعدي) فأثبت له جميع مراتب هارون عن موسى، فإذا هو وزير رسول الله وشاد أزره، ولولا أنه خاتم النبيين لكان شريكاً في أمره^(١).

وقال: روى الواقدي، قال سئل الحسن البصري عن علي عليه السلام - وكان يظن به الانحراف عنه، ولم يكن كما يظن - فقال: ما أقول فيمن جمع الخصال الأربع: ائتمانه على براءة، وما قال له الرسول في غزاة تبوك، فلو كان غير النبوة شيء يفوته لاستثناه، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الثقلان كتاب الله وعترتي» وأنه لم يؤمر عليه أمير قط وقد أمرت الامراء على غيره^(٢).

فليتأمل القارئ الكريم قوله: فلو كان غير النبوة شيء يفوته لاستثناه.

() : / .

() : / .

وقال الحافظ الكنجي: نقل عن شعبة بن الحجاج انه قال في قوله ﷺ: (انت مني بمنزلة هارون من موسى): وكان هارون أفضل أمة موسى ﷺ فوجب ان يكون علي ﷺ أفضل من كل أمة محمد ﷺ صيانة لهذا النص الصحيح الصريح، كما قال موسى لأخيه هارون: (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِح)^(١).

المنافقون:

قال ابن اسحاق: وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد، وشكاً في الحق، وارجافاً برسول الله ﷺ فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم (وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ❖ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)^(٢).

قال: وضرب عبد الله بن أبي معه على حدة عسكره - أي عسكر رسول الله ﷺ - أسفل منه نحو ذباب - جبل في الجبانة أسفل من ثنية الوداع - وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب^(٣).

فأتضح مما قدمنا وذكرنا ان قول رسول الله ﷺ «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» قاله وهو متوجه إلى غزوة تبوك، الغزوة التي حققت انتصاراً عظيماً على كافة الجبهات الخارجية والداخلية ولم يكن فيها قتال، كانت هذه الغزوة هي الفرصة الأخيرة في القضاء على هذا الدين الجديد فتحالف الكفر والنفاق على توجيه ضربة

() :

() / :

() / : / :

قاضية ، ولكن كان الله لهم بالمرصاد فإذا بجيش الروم أعتى قوة وأكبرها آنذاك تقهقر وتعثر ، واذا بالنفاق انفضح وخاب وتبعثر ، وكل هذه النتائج لم تكن مجهولة خافية على من يتلقى الوحي والعلم من السماء ، فلو كان ثمت قتال لما ترك رسول الله ﷺ حامل لواءه علي بن أبي طالب خلفه على المدينة ، فعلم ﷺ ان لا قتال في تبوك وان الخطر في هذه المرة من الداخل ، وانه لا يقوم بهذا الامر المهم إلا من فتح حصون خبير.

فأفشل ﷺ خطط المنافقين وتحركهم مما أربكهم شيئاً ما بقية عمره الشريف ولم يتم لهم ما بيتوه ليلة العقبة فخنسوا متربصين به ريب المنون ، ثم تبلورت نواياهم في سقيفة بين ساعدة.

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرَّ عينا بالاياب المسافر

واستضعفوا هارون هذه الأمة وكادوا ان يقتلوه ، وقد نقل لنا معاوية بن أبي سفيان هذا الاستضعاف بألفاظ تقطر حقداً وكراهية لعلي وأهل بيته ﷺ ظناً منه انها غمزية يتغامز بها ، قال ابن أبي الحديد : ومن كتاب معاوية المشهور إلى علي ﷺ :
وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر الصدق ، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك ، ومشيت إليهم بامرأتك ، وأدليت إليهم بابنيك ، واستنصرتهم على صاحب رسول الله ، فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة ، ولعمري لو كنت محقاً لأجابوك ، ولكنك ادعيت باطلاً وقلت ما لا تعرف ، ورُمت ما لا يدرك ، ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حرَّكك وهيجك : لو وجدت أربعين

ذوي عزم منهم لناهضتُ القوم، فما يوم المسلمين منك بواحد، ولا بغيك على الخلفاء بطريف ولا مستبدع!!^(١).

انظر أيها المسلم إلى هوان الدنيا وحقارتها وكيف يتناول الطليق اللصيق على امام المتقين ويعسوب الدين، وانظر إلى الصلف والوقاحة والجرئة على تزييف الحقائق والواقع^(٢).

أجل كما قال ابن أبي سفيان، قليل من أجاب ووفى لعلي عليه السلام ولكن كل واحد منهم نور يستضاء به ومصباح ينير الدرب وعلم من أعلام التقى.

اتبعته فاطمة التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها، واتبعه الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبو ذر الغفاري أصدق الناس لهجة ما أظلت الخضراء واقلت الغبراء، وسلمان «منا أهل البيت» وعمار بن ياسر وغير هؤلاء ممن لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يستوحش من طريق الحق لقله سالكيه.

قلة نمت وتكاثرت وآتت اكلها وهي اليوم نصف الأمة الإسلامية وسوف يرثون الأرض وما عليها تحت راية إمام المستضعفين (عجل الله فرجه) كما وعد الله بقوله: (وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ).

ليلة العقبة:

ذكر ابن كثير في تاريخه عن ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير قال: لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك إلى المدينة هم جماعة من المنافقين بالفتك به وأن

() / :

()

يطرحوه من رأس عقبة في الطريق ، فأخبر بخبرهم فأمر الناس بالمسير من الوادي وصعد هو العقبة وسلكها معه أولئك النفر وقد تلمسوا ، وأمر رسول الله ﷺ عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أن يمشيا معه ، عمار أخذ بزمام الناقة ، وحذيفة يسوقها ، فبينما هم يسيرون إذ سمعوا بالقوم قد غشوهم ، فغضب رسول الله ﷺ وأبصر حذيفة غضبه فرجع إليهم ومعه محجن ، فاستقبل وجوه رواحلهم بمحجنه ، فلما رأوا حذيفة ظنوا أن قد أظهر على ما أضمره من الامر العظيم فأسرعوا حتى خالطوا الناس ، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة ووقفوا ينتظرون الناس ، ثم قال رسول الله ﷺ لحذيفة : «هل عرفت هؤلاء القوم»؟ قال : ما عرفت إلا رواحلهم في ظلمة الليل حين غشيتهم ، ثم قال : «علمتما ما كان من شأن هؤلاء الركب»؟ قالوا : لا ، فأخبرهما بما كانوا تمالئوا عليه وسماهم لهما واستكتمهما ذلك؟ فقالا يا رسول الله أفلا تأمر بقتلهم؟ فقال : «أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه».

وقد ذكر ابن إسحاق هذه القصة إلا أنه ذكر أن النبي ﷺ إنما علم باسمائهم حذيفة بن اليمان وحده وهذا هو الاشبه والله أعلم ، ويشهد له قول أبي الدرداء لعلقمة صاحب ابن مسعود : أليس فيكم - يعني أهل الكوفة - صاحب السواد والوساد - يعني ابن مسعود - أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره - يعني حذيفة - أليس فيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان محمد - يعني عماراً - وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لحذيفة : أقسمت عليك بالله أنا منهم؟ قال لا ولا أبرئ بعدك أحدا - يعني حتى لا يكون مفشياً سر النبي ﷺ -.

قلت : وقد كانوا أربعة عشر رجلاً ، وقيل كانوا اثني عشر رجلاً ، وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث إليهم حذيفة بن اليمان فجمعهم له فأخبرهم رسول

الله ﷺ بما كان من أمرهم وبما تاملتوا عليه. ثم سرد ابن إسحاق أسماءهم قال وفيهم أنزل الله عزوجل: (وَهُمْ أُولُو يَمَانٍ لَّمْ يَنَالُوا).

وروى البيهقي من طريق محمد بن مسلمة عن أبي إسحاق، عن الاعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البخري، عن حذيفة بن اليمان قال: كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به، وعمار يسوق الناقة - أو أنا أسوق وعمار يقود به - حتى إذا كنا بالعقبة إذا باثنى عشر رجلاً قد اعترضوه فيها، قال فأنبهت رسول الله ﷺ فصرخ بهم فولوا مدبرين، فقال لنا رسول الله: «هل عرفتم القوم؟ قلنا: لا يا رسول الله قد كانوا مثلثمين، ولكننا قد عرفنا الركاب، قال: «هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة، وهل تدرون ما أرادوا؟ قلنا: لا قال: «أرادوا أن يزحموا رسول الله في العقبة فيلقوه منها» قلنا: يا رسول الله أو لا تبعث إلى عشائرتهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم؟

قال: لا، أكره أن يتحدث العرب بينها أن محمداً قاتل بقومه، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم ثم قال: «اللهم ارمهم بالدبيلة» قلنا يا رسول الله وما الدبيلة؟ قال: «هي شهاب من نار تقع على نياط قلب أحدهم فيهلك»

وفي صحيح مسلم: من طريق شعبة، عن قتادة، عن أبي نضرة، عن قيس بن عبادة. قال، قلت لعمار أرايتم صنيعكم هذا فيما كان من أمر علي أراي رأيتموه أم شئ عهده إليكم رسول الله؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، ولكن حذيفة أخبرني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم يكفيكم الدبيلة، سراج من النار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم.

قال الحافظ البيهقي: وروينا عن حذيفة أنهم كانوا أربعة عشر - أو خمسة عشر - وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وعذر ثلاثة أنهم قالوا: ما سمعنا المنادي ولا علمنا بما أراد.

وهذا الحديث قد رواه الامام أحمد في مسنده قال: حدثنا يزيد - هو ابن هارون - أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل. قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر مناديا فنادى إن رسول الله أخذ بالعقبة فلا يأخذها أحد، فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمار إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل فغشوا عمارا وهو يسوق برسول الله ﷺ وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: قد قد حتى هبط رسول الله ﷺ من الوادي، فلما هبط ورجع عمار قال: «يا عمار هل عرفت القوم»؟

قال: قد عرفت عامة الرواحل والقوم متلثمون.

قال: «هل تدري ما أرادوا»؟

قال الله ورسوله أعلم، قال: «أرادوا أن ينفروا برسول الله فيطرحوه» قال فسار عمار رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ قال أربعة عشر رجلاً، فقال إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر، قال فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا ما سمعنا منادي رسول الله وما علمنا ما أراد القوم. فقال عمار: أشهد أن الاثني عشر الباقيين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد^(١). انتهى كلام ابن كثير.

وقال أبو اسحاق الثعلبي في تفسير قوله تعالى: (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ) قال ابن كيسان: نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً

من المنافقين وقفوا لرسول الله ﷺ على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا حل بها ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنه وتكروا له في ليلة مظلمة فاخبر جبرئيل ﷺ رسول الله ﷺ ما قدموا له ، وامره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم وعمار بن ياسر يقود برسول الله ﷺ وحذيفة يسوق به ، فقال لحذيفة : اضرب بها وجوه رواحلهم فضربها حتى نحاهم فلما نزل قال : يا حذيفة من عرفت من القوم؟ قال : لم أعرف منهم احدا فقال رسول الله ﷺ : انهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم. فقال حذيفة : الا تبعث إليهم فتقتلهم؟ قال : أكره ان يقول العرب : لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم بل يكفيكم الله الدبيلة. قيل يا رسول الله : وما الدبيلة؟ قال : شهاب من جهنم يضعه على نياط فؤاد احدهم حتى تزهق نفسه فكان كذلك^(١).

وقال في تفسير قوله تعالى : (إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) : وذكروا ان النبي ﷺ أسر إلى حذيفة اثني عشر رجلاً من المنافقين ، فقال ستة يكفيهم الله بألف مائة شهاب من نار تأخذ كتف أحدهم حتى يفضي إلى صدره ، وستة يموتون موتاً. فسأل عمر حذيفة عنهم فقال : ما أنا بمخبرك أحداً منهم ما كان حياً. فقال : يا حذيفة أمنهم أنا؟ قال : لا قال : أي أصحابي منهم أحد؟ فقال : رجل واحد قال : فكأنما دل عليهم عمر حتى نزعه من غير ان يخبره به^(٢).

وروى البخاري في تفسير قوله تعالى (فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ) عن زيد بن وهب قال : كنا عند حذيفة فقال : ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة ، ولا من المنافقين إلا أربعة. فقال اعرابي : انكم أصحاب محمد تخبرونا فلا

() / :

() / :

ندري ، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسروقن أعلاقنا؟ قال : أولئك الفساق ، أجل لم يبق منهم إلا أربعة أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده^(١) .
والغرض من الإشارة إلى تحرك المنافقين ليطلع القارئ الكريم على خطورة المآمرة وحجم المنافقين التي قالت عنه الروايات : انه ليس بأقل العسكرين ، وكان عسكر رسول الله ﷺ ثلاثين ألفاً كما عن ابن كثير.

وليتعرف على الاسباب التي جعلت رسول الله ﷺ في هذه الغزوة يستخلف علياً عليه السلام على المدينة لا غيره ، لانه في هذه المرة برز الكفر والنفاق كله إلى الايمان كله.

ولكن هنا سؤال يطرح نفسه : أين ذهب النفاق والمنافقون بوفاة رسول الله ﷺ ؟ هل ابتلعتهم الأرض أم رفعوا إلى السماء ، أم اعلنوا عن باطنهم وتركوا التقية لقوة شوكتهم وجبهتهم ، ام تابوا وأسلموا؟ سؤال يحتاج إلى جواب ، والروايات التي رواها القوم والتي تقول : انهم أربعة عشر أو خمسة عشر أو اثنا عشر تشير إلى رؤوس النفاق وقادته.

وعلى كل حال أراد أمير المؤمنين عليه السلام من هذه الفقرة من مناشدته أمام النفر من أصحاب الشورى بل للعالم كله ان يبين منزلته من رسول الله ﷺ وانها بمنزلة هارون من موسى ، فأحتج وقدم ونصح لهم بما فيه الكفاية لعلهم يرجعون إلى رشدهم فأبوا إلا العناد وصدق رسول الله ﷺ إذ لم يستثنى إلا النبوة فما جرى على هارون أمة موسى جرى على هارون هذه الامة (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي) (طه/٩٠).

» :
:

الشرح :

سبق ان بيّنا وأشرنا إلى معنى الحب في مثل هذا الحديث على ضوء كتاب الله سبحانه وتعالى وأحاديث النبي ﷺ وانه يعني الاتباع والطاعة والخضوع والتسليم بالقول والفعل.

وفي هذه الفقرة أشار رسول الله ﷺ إلى منزلة ورتبة لعلي بن أبي طالب عليه السلام عندها يعرف المؤمن من الكافر وأنها الميزان في معرفة من يدعي الايمان، وانها العنوان الذي يحمل الأمن والآمان، ويبشر بالجنة والرضوان ألا وهو حبّ علي عليه السلام وأشار ﷺ إلى ما يقابل ذلك ويناقضه وانه الكفر والخسران والذل والهوان وعذاب النيران ألا وهو بغض علي عليه السلام.

فمن كان حبه ايمان وبغضه كفر فهذا يعني انه ركن من أركان الإسلام وأصل من أصوله، وهذا ما عليه أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

ثم ان للحب والبغض علامات وآثار وكما قال ذلك الاعرابي : البعرة تدل على البعير والاثري يدل على المسير. فمن آذى علياً وأقصاه وتبع ذريته وشيعته بالقتل والتشريد والتنكيل والتبعيد وكان السبب في كل ذلك لا ينطبق عليه عنوان صحيفة المؤمن - وهو حبّ علي عليه السلام - وانما ينطبق عليه عنوان انه يبغض علياً، وان صرخ بأعلى صوته بحب علي عليه السلام.

وهذا الحديث وأمثاله من الأحاديث التي اتفقت الامة الاسلامية على ثبوتها ونقلها، قال ابن حجر في الصواعق : أخرج مسلم عن علي عليه السلام قال : «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إليّ أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا

منافق»، وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً^(١).

وفي مسند أحمد عن زر بن حبیش قال: قال علي (رضي الله عنه): والله إنه مما عهد الي رسول الله ﷺ انه لا يبغضني إلا منافق ولا يحبني إلا مؤمن^(٢).

ورواه الحافظ النسائي بثلاثة طرق في الخصائص^(٣)؛ والفقهاء ابن المغازلي في المناقب بثمان طرق^(٤)؛ وابن عساكر في تاريخ دمشق بتسعة عشر طريقاً^(٥).

قال أبو نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء: هذا حديث صحيح متفق عليه.

وقال ابن أبي الحديد: قال شيخنا أبو القاسم البلخي: وقد اتفقت الأخبار التي لا ريب فيها عند المحدثين، على ان النبي ﷺ قال: لا يبغضك إلا منافق ولا يحبك إلا مؤمن. قال: وروى حبة العرنبي عن علي ﷺ انه قال: إن الله عز وجل أخذ ميثاق كل مؤمن على حبي وميثاق كل منافق على بغضي، فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو صببت الدنيا على المنافق ما أحبني.

وروى عبد الكريم بن هلال عن أسلم المكي عن أبي الطفيل قال: سمعت علياً ﷺ وهو يقول: لو ضربت خياشيم المؤمن بالسيف ما أبغضني ولو نثرت على المنافق ذهباً وفضة ما أحبني، ان الله أخذ ميثاق المؤمنين بحبي، وميثاق المنافقين ببغضي، فلا يبغضني مؤمن ولا يحبني منافق أبداً.

() : .

() / .

() : .

() : .

() () : / - .

قال الشيخ أبو القاسم البلخي: وقد روى كثير من أرباب الحديث عن جماعة من الصحابة قالوا: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلا ببغض علي بن أبي طالب. انتهى ما عن ابن أبي الحديد^(١).

قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى: (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) قال: يبغضهم علي بن أبي طالب.

قال: وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلا ببغضهم علي بن أبي طالب ﷺ^(٢).

وأخرج ابن المغازلي بإسناده عن معمر الزهري عن عكرمة عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل منع بني إسرائيل قطر السماء بسوء رأيهم في أنبيائهم واختلافهم في دينهم وإنه أخذ هذه الأمة بالسنين ومانعهم قطر السماء ببغضهم علي بن أبي طالب؟! قال معمر: حدثني الزهري وقد حدثني في مرضة مرضها، ولم أسمعه يحدث عن عكرمة قبلها - أحسبه ولا بعدها - فلما بل من مرضه ندم فقال لي: يا يمانى اكنم هذا الحديث واطوه دوني فإن هؤلاء - يعني بني أمية - لا يعذرون أحد في تقريظ علي وذكره!! قلت: فما بالك أوعبت مع القوم وقد سمعت الذي سمعت؟ قال: حسبك يا هذا إنهم شركونا في لهام فأنخططنا لهم في أهوائهم^(٣).

() / .

() ()

) : :

()

() :

وأخرج الحافظ الكنجي بإسناده إلى عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: حبّ علي بن أبي طالب يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب.

ثمّ قال: هكذا ذكره مؤرخ الشام في كتابه عن مؤرخ العراق، وذكر الحافظ بعده هذا الحديث فقال: قال الخطيب وأخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدّثنا أبو بكر محمّد بن محمّد بن فارس العبدي ببغداد، حدّثني أبي فارس عن حمدان بن عبد الرحمان، حدّثني جدي عن شريك، عن ليث عن مجاهد، عن طاووس عن ابن عباس قال: قلت للنبي ﷺ: ألنار جواز؟ قال: نعم، قلت: وما هو؟ قال: حب علي بن أبي طالب. قال الحافظ الكنجي: هذا لفظ الدمشقي عن الخطيب عن أبي نعيم أخرجه سواء^(١).

:

»: ﷺ

«

الشرح:

من تأمل مناقب علي (عليه السلام) التي جاءت على لسان رسول الله (ﷺ) يرى للكثير منها سبباً وشأناً كما هو الحال في كثير من الآيات القرآنية، وذلك يدلنا على الاهتمام بالبلغ والعناية الكبيرة من قبل رسول الله (ﷺ) للتعريف بمنزلة هذا الرجل ومكانته ولأن السبب والشأن مما يزيد المنقبة ثبوتاً ورسوخاً.

فهنا حيث كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة إلى المسجد النبوي الشريف جاء الأمر الإلهي بسدها جميعاً إلا باب علي بن أبي طالب (عليه السلام).

والسؤال الذي يطرح، بماذا نفسر هذا الموقف من نبي الرحمة والعدل والإنسانية؟ وبطبيعة الحال لا يسعنا في ديننا ان نقول انه أبقى بابه مفتوحاً لأنه ابن عمه ولا غيرها من الوجوه التي تصطدم مع العقيدة والخلق النبوي العظيم. فليس أماننا إلا القول بان هناك شروطاً لا بد من حصولها في ذلك الشخص لبقاء بابه مفتوحاً، وقد تكفلت آية التطهير ببيان تلك الشروط، وهذا ما سنقرأه من خلال الروايات التي رواها القوم.

ففي مسند أحمد بإسناده إلى عبد الله بن الرقيم الكناني قال: خرجنا إلى المدينة زمن الجمل فلقينا سعد بن مالك بها، فقال: أمر رسول الله (ﷺ) بسد الأبواب الشارعة في المسجد، وترك باب علي رضي الله عنه^(١).

() : / .

وفيه بإسناده عن ابن عمر قال : ولقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال ، لأن تكون لي واحدة منهم أحب إليه من حمر النعم : زوجه رسول الله ابنته وولدت له ، وسد الأبواب إلا بابه في المسجد ، وأعطاه الراية يوم خيبر^(١) .

وفيه عن زيد بن أرقم قال : كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعاً في المسجد قال : فقالوا يوماً سدوا هذه الابواب الا باب علي قال : فتكلم في ذلك الناس ، قال : فقام رسول الله ﷺ فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فاني أمرت بسد هذه الابواب الا باب علي ، وقال فيه قاتلكم . واني والله ما سددت شيئاً ولا فتحتة ولكنني أمرت بشيء فاتبعته^(٢) .

وفي مستدرک الحاكم بإسناده عن أبي هريرة قال : قال عمر بن الخطاب : لقد اعطي علي بن ابي طالب ثلاث خصال لان تكون لي خصلة منها أحب إلي من ان اعطي حمر النعم ، قيل وماهن يا أمير المؤمنين ؟ قال : تزوجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وسكناه المسجد مع رسول الله ﷺ يحل له فيه ما يحل له والراية يوم خيبر . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه^(٣) .

وروى النسائي حديث سد الأبواب هذا بستة طرق في كتابه خصائص علي بن أبي طالب . وأخرجه محدث الشام ابن عساكر في تاريخ دمشق بثلاثة عشر طريقاً ، منها ما عن أبي رافع ان النبي ﷺ خطب الناس فقال : يا أيها الناس إن الله أمر موسى وهرون أن يتبوا لقومهما بيوتاً وأمرهما ان لا يبیت في مسجدهما جنب ولا

() : / .

() : / :

() : / :

يقربوا فيه النساء الا هارون وذريته، وأمرني أن أبلغكم انه لا يحل لاحد أن يعرك النساء في مسجدي هذا ولا يبيت فيه جنب الاعلى وذريته^(١).

قال ابن عساكر: واخبرناه عالياً، ثم ذكر سنده إلى جابر قال: جاء رسول الله ﷺ ونحن مضطجعون في المسجد، فضرنا بعسف (بعسيب) في يده فقال: أترقدون في المسجد! إنه لا يرقد فيه، فأجفنا فأجفل علي، فقال رسول الله ﷺ: تعال يا علي إنه يحل لك في المسجد ما يحل لي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة، والذي نفسي بيده إنك لذواد عن حوضي يوم القيامة، تذودهم كما يذاد البعير الضال عن الماء بعضى لك من عوسج كأني أنظر إلى مقامك من حوضي^(٢).

وأخرجه الفقيه ابن المغازلي الشافعي بثمانية طرق، نذكر اثنين منها، فبإسناده إلى عدي بن ثابت، قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فقال: ان الله أوحى إلى نبيه موسى أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا موسى وهارون وابنا هارون، وان الله أوحى اليّ ان ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنا وعلي وأبنا علي^(٣).

وبإسناده عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: لما قدم اصحاب النبي ﷺ المدينة لم يكن لهم بيوت يبيتون فيها، فكانوا يبيتون في المسجد، فقال لهم النبي ﷺ لا تبيتوا في المسجد فتحتلموا.

ثم ان القوم بنوا بيوتاً حول المسجد وجعلوا أبوابها الى المسجد، وان النبي ﷺ بعث إليهم معاذ بن جبل فنادى أبا بكر فقال: ان رسول الله ﷺ يأمرك أن تخرج من

() () / :

() / :

() / :

المسجد، فقال: سمعاً وطاعة، فسد بابه وخرج من المسجد، ثم أرسل الى عمر فقال: ان رسول الله ﷺ يأمرك أن تسد بابك الذي في المسجد وتخرج منه، فقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله غير اني أرغب الى الله تعالى في خوخة في المسجد، فأبلغه معاذ ما قاله عمر، ثم أرسل الى عثمان وعنده رقية، فقال: سمعاً وطاعة فسد بابه وخرج من المسجد، ثم أرسل الى حمزة فسد بابه وقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله، وعلي ﷺ على ذلك يتردد لا يدري أهو فيمن يقيم أو فيمن يخرج، وكان النبي ﷺ قد بنى له^(١) بيتاً في المسجد بين آياته فقال له النبي: اسكن طاهراً ومطهراً فبلغ حمزة قول النبي ﷺ لعلي فقال: يا رسول الله تخرجنا وتمسك غلمان بني عبد المطلب؟ فقال له نبي الله: لو كان الامر لي ما جعلت من دونكم من أحد، والله ما أعطاه اياه الا الله وانك لعلى خير من الله ورسوله، ابشر، فبشره النبي ﷺ فقتل يوم أحد شهيدا، ونفس ذلك رجال على علي ﷺ فوجدوا في أنفسهم، وتبين فضله عليهم وعلى غيرهم من أصحاب النبي ﷺ، فبلغ ذلك النبي فقام خطيباً فقال: ان رجالاً يجدون في أنفسهم اني أسكنت علياً في المسجد، والله ما أخرجتهم ولا أسكنته، ان الله عز وجل أوحى إلى موسى وأخيه (أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) وأمر موسى أن لا يسكن مسجده ولا ينكح فيه ولا يدخله إلا هارون وذريته، وان عليا مني بمنزلة هارون من موسى، وهو أخي دون أهلي، ولا يحل مسجدي لاحد ينكح فيه النساء الا علي وذريته، فمن ساءه فهاهنا - وأوماً بيده نحو الشام^(٢).

() () .

() () :

وأخرج عمر بن شبة عن جابر قال: أخرج رسولُ الله ﷺ أناساً من المسجد وقال لا ترقدوا في مسجدي هذا، قال: فخرج الناس وخرج علي (رضي الله عنه)، فقال ﷺ لعلي: ارجع فقد أحل لك فيه ما أحل لي، كأني بك تذودهم على الحوض وفي يدك عصا عوسج (١).

وقال الثعلبي في تفسير قوله تعالى: (وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ): إسماعيل عن أبيه عن الحسين عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: ألا ان مسجدي حرام على كلِّ حائض من النساء، وعلى كلِّ جنب من الرجال إلا على محمد وأهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين (٢).

وقال ابن حجر: وسد الأبواب إلا باب علي فديخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره (٣).

وقال السيوطي في تفسير قوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ): أخرج ابن مردويه عن أبي الحمراء وحبة العرنبي قالاً: أمر رسول الله ﷺ أن تسد الابواب التي في المسجد فشق عليهم، قال حبة: اني لانظر إلى حمزة بن عبد المطلب وهو تحت قطيفة حمراء وعيناه تذرفان وهو يقول أخرجت عمك وأبا بكر وعمر والعباس وأسكنت ابن عمك، فقال رجل يومئذ: ما يألوا يرفع ابن عمه، قال: فعلم رسول الله ﷺ انه قد شق عليهم فدعا الصلاة جامعة فلما اجتمعوا صعِد المنبر فلم يسمع لرسول الله ﷺ خطبة قط كان أبلغ منها تمجيذا وتوحيداً فلما فرغ قال يا أيها الناس

() : / .

() : / .

() : / .

ما أنا سددها ولا أنا فتحتها ولا أنا أخرجتكم وأسكنته ثم قرأ: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ
 ❖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ❖ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ❖ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ).

ومما قدمنا وذكرنا ظهر حال حديث الخوخة فلا نصيب له من الصحة، لان هذه
 المنقبة من خصائص من طهرهم الله واذهب عنهم الرجس.

قال ابن أبي الحديد في معرض تكذيبه لبعض الأحايث: فلما رات البكرية ما
 صنعت الشيعة وضعت لصاحبها احاديث في مقابلة هذه الاحاديث نحو (لو كنت
 متخذاً خليلاً) فانهم وضعوه في مقابله حديث الاخاء ونحو (سد الأبواب) فانه كان
 لعلي عليه السلام فقلبت البكرية الى أبي بكر^(١).

وقال العلامة الأميني بعد ان ذكر الأحاديث الكثيرة من مصادر القوم: أن الأخذ
 بمجامع هذه الأحاديث يعطي خُبراً بأن سد الأبواب الشارعة في المسجد كان لتطهيره
 عن الأذناس الظاهرية والمعنوية فلا يمر به أحد جنباً ولا يجنب فيه أحد. وأما ترك بابه
عليه السلام وباب أمير المؤمنين عليه السلام فلطهارتهما عن كل رجس ودنس بنص آية التطهير....
 إلى ان يقول:

فزبدة المخض من هذه كلها: إن إبقاء ذلك الباب والإذن لأهله بما أذن الله
 لرسوله مما خص به مبن على نزول آية التطهير النافية عنهم كل نوع من الرجاسة،
 ولم يكن أبو بكر من أهل هذه الآية حتى أن يفتح له باب أو خوخة، فالفضل
 مخصوص بمن طهره الكتاب الكريم.

« : » :

الشرح :

قال سبط ابن الجوزي : قال الترمذي : حدثنا علي بن المنذر الكوفي ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن جلع ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب يوم الطائف فانتجاه طويلاً فقال الناس : لقد طال نجواه مع ابن عمه ، فبلغ ذلك رسول الله فقال : ما أنا انتجيته ولكن الله انتجاه». قال الترمذي : ومعناه أن الله أمرني أن أناجيه أو أنتجي معه .

وقال أهل اللغة : التناجي السر يكون بين اثنين يقال نجوته نجوى أي ساررته وكذا ناجيته وانتجى القوم وتناجوا إذا تساروا ، والإسم النجوى^(١) . وأخرجه الحافظ الكنجي في كفاية الطالب وقال : هذا حديث حسن ، رواه الترمذي في جامعه .

وأخرجه أيضاً بسند آخر عن ابن الزبير عن جابر قال : لما كان يوم الطائف دعا رسول الله ﷺ فناجاه طويلاً ، فقال بعض أصحابه : لقد طال نجوى ابن عمه ، فقال : ما أنا انتجيته لكن الله أمرني بذلك .

قال : وفي هذا الحديث دلالة على تخصيص علي ﷺ بهذه النجوى ، وفقه الحديث جواز النجوى للسلطان أو للولي أو الزعيم مع بعض خواصه ، وفي الحديث

() : / / :

دلالة على ان النبي ﷺ انما كان أمره ونهيه موجزاً إلا ما خصه الله عزّ وجلّ به لينهي جميع ما أمره به.

وكان النبي ﷺ يوم الطائف حين حاصرها ونصب المنجنيق عليها أشار على اصحابه بالرحيل عنها قبل ان تفتح عليه ، لأن الله تعالى أخبره انه غير فاتحها من يومه ذلك لما أراد الله تعالى من بقاء أهلها ، ودخولهم في الإسلام طوعاً بعد عام آخر. فقال الناس : كيف نرحل يا رسول الله ولما يفتح الله علينا ولم تظهر الشوكة للقوم ولم نقاتل. وكان النبي ﷺ يكره الخلاف ، فقال لهم : اغدوا على اسم الله تعالى للقتال ، فبرزوا لقتالهم ، وكان أهل الطائف رماة ، فلما قرب اصحاب النبي ﷺ من الحصن رشقوهم بالنبل فأصابهم من ذلك جراح ، فلما كان من الغد أشار عليهم النبي ﷺ بالرحيل فرأى السرور في وجوههم. فيحتمل عندي والله اعلم ان مناجاة النبي ﷺ لعلي ﷺ في أمر الطائف وذكر قدومهم بالاسلام عليه وانه يفتحها صلحاً ، فلذلك ترك علي ﷺ القتال يؤمئذ مع الناس ، فلا وجه لهذه المناجاة في حالة القتال إلا هذا^(١).

أقول : بل الوجه في هذه المناجاة وغيرها هو حرص رسول الله ﷺ على تعليم علي ﷺ بما ينزل عليه من الوحي ، فقد كان ﷺ ينزل عليه الوحي بالليل فيعلمه علياً بالصباح ، وينزل عليه الوحي بالنهار فلا يسي إلا ويعلمه علياً قبل مجيء الليل ، وفي هذه الغزوة (حصار الطائف) كان بعثه رسول الله في خيل وأمره ان يبطأ ما وجد ويكسر كل صنم وجده ، فمضى ﷺ في تلك الخيل حتى لقيته خيل خثعم في جمع كثير فقتل مبارزهم وهزم جمعهم ، وانطلق هو ﷺ حتى كسر الأصنام ، وانصرف إلى رسول الله وهو ﷺ محاصر أهل الطائف بعد ، فلما رآه رسول الله ﷺ

كبر للفتح ، وأخذ بيده فخلا به وناجاه طويلاً وأعلمه بما جاء من الوحي في تلك الأيام.

هذا ما ذكره شيخنا المفيد في الارشاد والطبرسي في اعلام الورى والمجلسي في بحار الأنوار.

والشواهد على هذا الوجه كثيرة ، منها آية النجوى (فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ) وقد سبق ممّا ان تكلمنا حولها وانه لم يعمل بها إلا علي عليه السلام ، وغيرها من الآيات والروايات التي تدل على ان النبي صلى الله عليه وآله قد اختص علياً بهذه الخصلة ، ولذلك كان علي عليه السلام وحده القائل : سلوني عن كتاب الله عزّ وجلّ فانه ليس من آية إلا وقد عرفت أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل ^(١).

ويقول : والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت ، وأين نزلت ، ان ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً ^(٢).

وقال : سلوني قبل ان تفقدوني ولن تسألوا بعدي مثلي ، فقام ابن الكواء فقال : مَنْ الذين بدّلوا... الحديث. قال الحاكم : هذا حديث صحيح عال ^(٣).

وعن سعيد بن المسيب قال : ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب ^(٤).

ومن خطبة لعلي عليه السلام : أيها الناس سلوني قبل ان تفقدوني ، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض ^(١).

() / :

/ / :

() / :

() / / :

() / : / :

وأخرج الثعلبي بإسناده إلى علي عليه السلام من رواية زاذان قال : سمعت علياً يقول :
والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو ثبتت لي الوساة لحكمتُ بين أهل التوراة بتوارثهم
وبين أهل الانجيل بانجليهم وأهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم ،
والذي نفسي بيده ما من رجل من قريش جرت عليه المواسي إلا وأنا أعرف له آية
تسوقه إلى الجنة أو تقوده إلى النار. فقال له رجل : يا أمير المؤمنين فما آيتك التي
أنزلت فيك؟ فقال عليه السلام : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) فرسول الله
على بَيِّنَةٍ وأنا شاهد منه ^(٢).

والأحاديث في هذا المجال كثيرة جداً لا يتسع لها هذا المختصر ، فلنرجع إلى ما
كُنَّا فيه وهو مناجاة يوم الطائف فقد اخبرها ابن المغازلي الشافعي بخمسة طرق ^(٣).

وأخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق بستة طرق ^(٤).

وأخرجها الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل بثلاثة طرق ^(٥).

وذكرها المتقي الهندي في كنز العمال أكثر من مرة منها ما عن الطبراني في المعجم
الكبير عن جندب بن ناجية أو ناجية بن جندب : لما كان يوم غزوة الطائف قام النبي
صلى الله عليه وسلم مع علي ملياً ثم مرَّ ، فقال له أبو بكر : يا رسول الله لقد طالت مناجاتك علياً
منذ اليوم ، فقال : ما أنا انتجيتَه ولكن الله انتجاه ^(٦).

() . / :

() : / :

() . :

() () / :

() . / :

() . / :

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد قال: الحديث الحادى والعشرون: دعا ﷺ علياً في غزاة الطائف، فانتجاه، وأطال نجواه حتى كره قوم من الصحابة ذلك، فقال قائل منهم: لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه، فبلغه عليه الصلاة والسلام ذلك فجمع منهم قوماً، ثم قال: «إن قاتلاً قال: لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه. أما إنى ما انتجيته، ولكن الله انتجاه». رواه أحمد في المسند^(١).

ومما يناسب المقام بل ينسجم معه تمام الانسجام ما رواه الخوارزمي والجويني عن محمد بن المنكدر: عن أم سلمة زوج النبي ﷺ - وكانت الطف نساء النبي وأشدهن له حباً - قال: - وكان لها مولى كان أحضنها ورباها وكان لا يصلي صلاة إلا سب علياً وشتمته فقالت له: يا ابنة ما حملك على سب علي؟ قال: لأنه قتل عثمان وشرك في دمه، فقالت له: اما أنه لولا أنك مولاي وربيتني وأنت عندي بمنزلة والدي، ما حدثتك بسر رسول الله ﷺ، ولكن اجلس حتى أحدثك عن علي وما رأيته:

قد أقبل رسول الله ﷺ وكان يومي - وانما كان نصيبي في تسعة أيام يوم واحد - فدخل النبي ﷺ وهو مخلل اصابعه في اصابع علي، واضعاً يده عليه، فقال: يا ام سلمة اخرجي من البيت واخليه لنا، فخرجت واقبلا يتناجيان وأنا أسمع الكلام ولا أدري ما يقولان، حتى إذا أنا قلت قد انتصف النهار، واقبلت فقلت: السلام عليكم، ألج؟ فقال النبي ﷺ: لا تلجي وارجعي مكانك، ثم تناجيا طويلاً حتى قام عمود الظهر، فقلت ذهب يومي وشغله علي، فاقبلت أمشي حتى وقفت على الباب فقلت: السلام عليكم، ألج؟ فقال النبي ﷺ: لا تلجي وارجعي مكانك، ثم تناجيا طويلاً حتى قام عمود الظهر، فقلت ذهب يومي وشغله علي، فاقبلت أمشى

حتى وقفت على الباب فقلت: السلام عليكم، ألج؟ فقال النبي ﷺ: لا تلجي، فرجعت فجلست مكاني حتى إذا انا قلت قد زالت الشمس الآن، يخرج إلى الصلاة فيذهب يومي ولم أر قط يوماً أطول منه، فأقبلت أمشى حتى قلت: السلام عليكم، ألج؟ فقال النبي ﷺ: نعم، فدخلت وعلي واضع يده على ركبتي رسول الله ﷺ قد أدنى فاه من اذن النبي ﷺ وفم النبي ﷺ على اذن علي، يتساران وعلي يقول: أفأمضي وأفعل؟ والنبي ﷺ يقول: نعم، فدخلت وعلي معرض وجهه حتى دخلت وخرج، فاخذني النبي ﷺ في حجره فالتزمني، فأصاب مني ما يصيب الرجل من أهله من اللطف والاعتذار، ثم قال لي: يا ام سلمة لا تلوميني، فان جبرئيل اتاني من الله تعالى بأمر وأمر أن أوصي به علياً من بعدي، وكنت بين جبرئيل وعلي، وجبرائيل عن يميني وعلي عن شمالي، فأمرني جبرئيل أن أمر علياً بما هو كائن بعدي إلى يوم القيامة، فاعذريني ولا تلوميني، ان الله عز وجل اختار من كل امة نبياً واختار لكل نبي وصياً، فأنا نبي هذه الأمة وعلي وصيي في عترتي وأهل بيتي وامتي من بعدي، ثم قالت أم سلمة: فهذا ما شهدت في علي، الآن، يا ابتاه فسبه أو دعه، فأقبل أبوها يناجي الليل والنهار ويقول: اللهم اغفر لي ما جهلت من أمر علي فان وليي ولي علي، وعدوي عدو علي، فتاب المولى توبة نصوحاً^(١).

() : / .

« : ﷺ : »
 : «

الشرح :

كلام أوضح من ان يشرح ويبين إذ انه حجة من حجج رسول الله ﷺ البالغة الواصلة إلى القلوب والعقول في تعين الحق والصدق (وَمَا عَلَيَّ الرُّسُولُ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)^(١) وما علينا إلا ان نشير إلى بعض مصادر القوم التي روت هذه الحقيقة الناصعة.

فعن أبي حيان التيمي ، عن أبيه عن علي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «رحم الله علياً ، اللهم أدر الحق معه حيث دار»^(٢).

وعن أبي ليلى قال : قال رسول الله ﷺ : سيكون من بعدي فتنة ، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب فانه الفاروق بين الحق والباطل^(٣).

وعن علقمه والأسود قالوا : سمعنا أبا أيوب الأنصاري يقول : سمعت النبي ﷺ يقول لعمار بن ياسر : تقتلك الفئة الباغية وأنت مع الحق والحق معك ، يا عمار إذا رأيت علياً سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره ، فاسلك مع علي ودع الناس ، انه لن يدليكَ في ردى ولن يخرجك من الهدى ، يا عمار انه من تقلد سيفاً أعان به

() :

() : / :

() : / :

:/ :

علياً على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحاً من در، ومن تقلد سيفاً اعان به على علي قلده الله يوم القيامة وشاحاً من نار؛ قال: قلنا حسبك^(١).

وعن عبد الرحمن بن أبي سعيد، عن أبيه قال: كنا عند النبي ﷺ في نفر من أصحابه المهاجرين والانصار فخرج علينا فقال: ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: خياركم الموفون الطيبون، ان الله يحب الحفي التقي، قالوا: ومراً علي بن أبي طالب ﷺ فقال ﷺ: «الحق مع ذا، الحق مع ذا»^(٢).

وعن أبي سعيد التميمي، عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت على أم سلمة فرايتها تبكي وتذكر علياً، وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: علي مع الحق والحق مع علي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة^(٣).

وعن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لما سار علي إلى البصرة دخل على أم سلمة زوج النبي ﷺ يودعها فقالت: سر في حفظ الله وفي كنفه فوالله إنك لعلي الحق والحق معك ولولا أنني أكره أن أعصي الله ورسوله فإنه أمرنا ﷺ ان نقر في بيوتنا لسرتُ معك، ولكن والله لأرسلن معك من هو أفضل عندي وأعز علي من نفسي أبني عمر^(٤).

وعن الاصبغ بن نباته قال: لما ان أصيب زيد بن صوحان يوم الجمل، أتاه علي ﷺ وبه رمق، فوقف عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فهو لما به فقال:

() : /

() : /

() () : /

() - :

رحمك الله يا زيد، فوالله ما عرفناك إلا خفيف المؤنة، كثير المعونة، قال: فرفع إليه رأسه فقال وأنت، يرحمك الله، فوالله ما عرفتك إلا بالله عالماً، وبآياته عارفاً، والله ما قاتلت معك من جهل ولكني سمعت حذيفة بن اليمان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: علي أمير البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، ألا وإن الحق معه، ألا وإن الحق معه يتبعه، ألا فميلوا معه^(١).

وعن ابن عباس قال: ستكون فتنة فمن ادركها منكم فعليه بخصلة من كتاب الله وعلي بن أبي طالب عليه السلام فاني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: هذا أول من آمن بي، وأول من يضافحني، وهو فاروق هذه الامة، يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة، وهو الصديق الاكبر، وهو بابي الذي أوتي منه، وهو خليفتي من بعدي^(٢).

قال الحافظ الكنجي: هكذا اخرج محمد الشام في فضائل علي عليه السلام في الجزء التاسع والأربعين بعد الثلاثمائة من كتابه بطرق شتى.

وعن سلمان وأبي ذر وحذيفة انه عليه السلام قال لعلي: هذا أول من آمن بي، وأول من يضافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظالمين^(٣).

وهذه المتقبة أعني قوله عليه السلام: «الحق مع علي» صارت مرجعاً ودليلاً عند المسلمين في معرفة الحق من الباطل سواء في المسائل الكلامية أو الشرعية فهذا الفخر الرازي في الحجة الخامسة من حجج الجهر بالبسملة في الصلاة قال: وأما أن علي بن

() :
 () :
 () : /

أبي طالب (رضي الله عنه) كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله ﷺ: اللهم أدر الحق مع علي حيث دار^(١).

وقال سبط ابن الجوزي: وكذا قوله ﷺ: «وأدر الحق معه حيث دار» فيه دليل على انه ما جرى خلاف بين علي وبين أحد من الصحابة إلا والحق مع علي ﷺ وهذا باجماع الأمة، ألا ترى ان العلماء إنما استنبطوا أحكام البغاة من وقعة الجمل وصفين^(٢).

وقال ابن أبي الحديد: وقالوا: لو نازع عقيب وفاة رسول الله ﷺ وسل سيفه لحكمنا بهلاك كل من خالفه وتقدم عليه كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه، ولكنه مالك الأمر وصاحب الخلافة إذ طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، وإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكم رسول الله ﷺ لأنه قد ثبت عنه ﷺ في الأخبار الصحيحة انه قال: «علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار» وقال له غير مرة «حربك حربي وسلمك سلمني»^(٣).

أقول: ان الاحتجاج والرفض والاعتراض له طرق واساليب شتى لا تنحصر في سل السيف فحسب ولا بد من اتباع الأمور الناجعة النافعة، وان عدم سل السيف لا يدل على الرضا والتسليم والاعتراف بالقوم، وكل ما فعله أمير المؤمنين ﷺ كان امتثالاً لأوامر رسول الله ﷺ فعقيب وفاة النبي ﷺ صبر وفي الحلق شجى، وفي

() : / .

() :

() : / .

العين قذى، وعندما تصدى للخلافة الظاهرية امثل امر رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فلا أدري أكلام ابن أبي الحديث هذا تجاهل أم جهل. ولو ان علياً سكت ولم يطالب لما كان هناك شيعة وعامة ومؤمن ومخالف واتباع أهل البيت واتباع الخلفاء ولما حصل كل ذلك القتل والتشريد بحق أبناء علي وشيعته، فيا ليت الأمر كما زعم ابن أبي الحديد وكان بوسع علي ﷺ ان يسكت ويغض النظر، وبذلك يكون قد أراحنا وأراح أهل بيته وشيعته، وأراح ابن أبي الحديد، والمرضى والمفيد من هذه البحوث والأخذ والرد.

وقال ابن أبي الحديد ايضاً في شرح قول علي ﷺ: «إن الأئمة من قريش غُرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم»: فإن قلت: إنك شرحت هذا الكتاب على قواعد المعتزلة واصولهم، فما قولك في هذا الكلام وهو تصرحي بان الامامة لا تصلح من قريش إلا في بني هاشم خاصة، وليس ذلك بمذهب المعتزلة لا متقدميهم ولا متأخريهم؟! قلت: هذا الموضوع مشكل ولي فيه نظر^(١) وان صح ان علياً ﷺ قاله، قلت كما قال، لأنه ثبت عندي ان النبي ﷺ قال: انه مع الحق وان الحق يدور معه حيثما دار^(٢).

وبما ان القرآن أيضاً هو الحق المنزل من قبل الله كما قال سبحانه وتعالى:

(وَأَمَّنُوا بِمَا نُنزَلُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ) (محمد/٢).

(اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) (الشورى/١٧).

(وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) (فاطر/٣١).

{ ()

() : / .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ (النساء/١٧٠).

ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ نَزْلَ الْكِتَابِ بِالْحَقِّ (البقرة/١٧٦).

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ (الاسراء/١٠٥).

والآيات في هذا المجال كثيرة جداً فأراد نبي الرحمة ﷺ ان يعرف الأمة بمنزلة علي عليه السلام فقال: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي» وقد قال الله سبحانه وتعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) وعلي عليه السلام كذلك إذ القرآن معه وهو مع القرآن وهو الذي يسمه ويغور في اعماقه ويستنبط ما فيه من حقائق (لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرم تطهيراً واما من قال: حسبنا كتاب الله فليس مع من القرآن إلا اسمه ورسمه.

وهذا المعنى يتجلى لنا عندما نتأمل شهادة رسول الله وأقواله في علي عليه السلام واليك بعض هذه الروايات منها ما رواه الجويني بإسناده عن شهر بن حوشب قال: كنت عند أم سلمة (رضي الله عنها) إذ استأذن رجل فقالت له: من أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت أم سلمة: مرحباً بك يا أبا ثابت ادخل. فدخل فرحبت به ثم قالت: يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها؟ فقال: مع علي عليه السلام قالت: وفقت والذين نفسي بيده لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي مع الحق والقرآن، والحق والقرآن مع علي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»^(١).

وفي مستدرک الحاكم عن أبي سعيد التيمي، عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: كنت مع علي عليه السلام يوم الجمل، فلما رأيت عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس، فكشف الله عني ذلك عند صلاة الظهر، فقالت مع أمير المؤمنين، فلما فرغ

() : / .

ذهبت إلى المدينة فأتيت أم سلمة فقلت: إني والله ما جئت أسأل طعاماً ولا شرباً، ولكنني مولى لأبي ذر فقالت: مرحباً، فقصصتُ عليها قصتي فقالت: أين كنت حين طارت القلوب مطائرهما؟ قلتُ: إلى ان كشف الله ذلك عني عند زوال الشمس، قالت أحسنت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١).

وفي الصواعق المحرقة قال: الحديث الحادي والعشرون، أخرج الطبراني في الأوسط عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض»^(٢).

وهذه الأحاديث التي ذكرناها وما سيأتي من حديث الثقلين تحت على متابعة علي أمير المؤمنين لانه مع الحق ومع القرآن لا يفترقان ولا يتناقضان. وهنا يأتي السؤال الخالد من قبل رب العالمين، موجهاً إلى كل مسلم بل إلى كل إنسان يهمله مستقبله ومصيره، سؤال ليس في فرع من فروع ترك، يستحق كل الاهتمام والتقدير لانه يرتبط بعاقبة الإنسان ومصيره وبالطبع تحتاج الاجابة عليه إلى قراءة دقيقة عميقة فلا تكتفي بالقراءة الساذجة الخامدة من قبل وعاظ السلاطين وخطبهم الرنانة في تزيين الباطل، فان هذا تهاون في الامتحان أو عدم اهتمام للسؤال الرباني، وهذا السؤال يخاطب الضمائر والعقول قبل العواطف، وهو كما يلي:

(أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى)

() : / .

() : : / .

أجب بدقّة وفتش وابحث عن مصداق هذا السؤال الذي يجب اتباعه، وتحري الحق والحقيقة واخلع أزمة الجمود والتقليد.

:
:
:
:
:

الشرح:

لوقيل للأنبياء والمرسلين وكلّ من يهمله أمر الدنيا والدين تخير بيانا كافياً شافياً فصيحاً بليغاً في من يخلفكم ويقوم مقامكم في أممكم لتتم الحجة به على العباد، وينقطع العذر على أهل العناد، لما عدّوا هذه الكلمة الجامعة والحجة البالغة، وذلك لفصاحتها وبلاغتها إذ انها:

١. في غاية الوضوح على المعنى والمراد بحيث يستوي في فهمها الخواص والعوام ولا يتسنى للذين يحرفون الكلم عن مواضعه صرفها عن المقصود والمراد.
 ٢. انها كما قيل: «خير الكلام ما قلّ ودل» فهي على قلة ألفاظها حملت معانٍ كبيرة خطيرة كالهداية لمن استمسك وشكر، والضلال لمن استكف وكفر.
 ٣. نصّ على عصمة الكتاب والعترة الطاهرة، وذلك يقتضيه الأمر بالتمسك بهما، إذ ان الله ورسوله لا يأمران العباد بالتمسك بمن يجوز في حقه الغفلة والخطأ والنسيان وغيرها من اسباب المخالفة والعصيان.
 ٤. انها تبطل النظرية القائلة: «حسبنا كتاب الله».
 ٥. ان هذه الشريعة أو هذا الدين خالد دائم ما دامت السموات والأرض.
 ٦. أدل دليل على وجود الإمام الهادي من العترة الطاهرة لكل جيل وزمان لقوله ﷺ: «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».
- وهناك نكت عقائدية لا تخفى على من تأمل الحديث لسنا في صددنا.

ومن يتكلف شرح هذه الكملة التامة فلا بد ان يقرّ ويدعن بأنها أدل وأوضح من ان تُبين وتشرح، لانها الحجة التي أراد الله لها الخلود والكمال، وحاش لله ولرسوله ان يحتجا بما فيه غموض واجمال.

وما علينا نحن إلا ان نقصر على ذكر بعض مصادر القوم التي نقلت هذه الحجة البالغة والمنقبة الدامغة.

ففي مسند أحمد بإسناده عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: إني أوشك أن ادعى فأجيب، واني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وان اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروني بم تخلفوني فيهما^(١).

وفيه عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ان قد تركت فيكم الثقلين احدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عزّ وجلّ حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا إنها لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض^(٢).

وفيه عنهما بلفظ آخر قال: قال رسول الله ﷺ: إني قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا بعدي، الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ألا وأنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض^(٣).

() : /

() : /

() : /

وفيه عن علي بن ربيعه قال : لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده فقلت له : أسمعت رسول الله ﷺ يقول : اني تارك فيكم الثقلين؟ قال : نعم^(١).

وفيه عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ : اني تارك فيكم خليفتين ، كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والارض ، أو ما بين السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وانهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض^(٢).

وفيه بسند آخر عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ : اني تارك فيكم خليفتين ، كتاب الله ، وأهل بيتي ، وانهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض جميعاً^(٣).

وفي هاتين الأخيرتين تصريح لا لبس فيه على خلافة أهل البيت ﷺ .

وروى النسائي بإسناده عن زيد بن أرقم قال : لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدِير خم أمر بدوحات فقمم ثم قال : كأنى قد دعيت فأجبت أني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض ، ثم قال : ان الله عزّ وجلّ مولاى وانا ولي كل مؤمن ، ثم اخذ بيد علي فقال : من كنت وليه فهذا وليه ، ألهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، فقلت لزيد : أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقال : وما كان في الدوحات أحد إلا قد رآه بعينه وسمعه باذنه^(٤).

() : / .

() : / .

() : / .

() : / :

/ :

وروى الدولابي في الذرية الطاهرة بإسناده عن محمد بن عمر بن علي، عن علي: ان النبي ﷺ حضر الشجرة بجم، قال: فخرج آخذاً بيد علي فقال: يا أيها الناس أستم تشهدون ان الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم؟ وان الله ورسوله مولاكم؟ قالوا: بلى.

قال: من كنت مولاه فان علياً مولاه، أو قال: فان هذا مولاه، اني تركتُ فيكم ما إن اخذتُم به لن تضلوا، كتاب الله وأهل بيتي^(١).

وأخرج الحاكم في المستدرک بإسناده عن مسلم بن صبيح، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وأهل بيتي، وانهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض^(٢).

وفي الصواعق المحرقة لابن حجر قال: ولفظه عند الطبراني وغيره، بسند صحيح انه ﷺ خطب بغدير خم تحت شجرات فقال: ايها الناس انه قد نباني اللطيف الخبير انه لم يعمر نبى إلا نصف عمر الذي يليه من قبله وانى لاظن انى يوشك ان ادعى فاجيب وانى مسئول وانكم مسئولون فماذا انتم قائلون؟ قالوا نشهد انك قد بلغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيرا فقال اليس تشهدون ان لا اله إلا الله وان محمدا عبده ورسوله وان جنته حق وان نارہ حق وان الموت حق وان البعث حق بعد الموت وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور؟ قالوا بلى، نشهد بذلك قال: اللهم اشهد ثم قال: يا ايها الناس ان الله مولاى وانا مولى المؤمنين

()
/ : ()

وانا اولى بهم من انفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه يعنى عليا اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه.

ثم قال ﷺ : يا ايها الناس انى فرطكم وانكم واردون عليّ الحوض حوض اعرض مما بين بصرى الى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة وانى سائلكم حين تردون على عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الاكبر كتاب الله عزّ وجلّ سبب طرفه بيد الله وطرفه بايدكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا وعترتي اهل بيتى فانه قد بنانى اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض^(١).

وفي الصواعق أيضاً قال : ثم اعلم : أن لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً ، ومر له طرق مبسوطة في حادى عشر الشبهه ، وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة ، وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلات الحجرة بأصحابه ، وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم ، وفي أخرى أنه قال لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مر. ولا تنافي إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماما بشأن الكتاب العزيز والعتره الطاهرة^(٢).

ثم قال : وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت اشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك ، ولهذا كانوا أمانا لاهل الارض كما يأتي ، ويشهد لذلك الخبر السابق : «في كل خلف من أمتى عدول من أهل بيتى»... إلى آخره. ثم أحق من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته ومن ثم قال

() :

() :

أبو بكر: «علي عترة رسول الله» أي الذين حث على التمسك بهم لما قلنا، وكذلك خصه ﷺ بما مرّ يوم غدِير خم^(١).

وقال في موضع آخر منها: وفي رواية صحيحة: «كأنني قد دعيت فاجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، فانهما لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض»، وفي رواية: «وانهما لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض سألت ربي ذلك لهما، فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم»، ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضعة وعشرين صحابيا لا حاجة لنا ببسطها^(٢).

أقول: بعد ان اعترف بصحة الحديث وكثرة طرقه فلا حاجة لنا برأيه وتأويله فكلام رسول الله ﷺ واضح لا اجمال فيه ولا شك يعتريه بان أهل بيته خلفائه وأولياء الأمر والعهد من بعده، فمن أزاحهم عن رتبهم وتقدّم عليهم هلك ومن تأخر عنهم زهق.

وقال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج الطبراني عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: اني لكم فرط وانكم واردون عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني في الثقلين قيل: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الأكبر كتاب الله عزّ وجلّ سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به لن تزالوا ولا تضلوا، والأصغر عترتي وانهما لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض، وسألت لهما ذاك ربي فلا تتقدموهما لتهلكوا، ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم^(٣).

()

()

()

وفيه أيضاً قال : أخرج ابن سعد واحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : أيها الناس إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي ، أمرين : أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وانهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض^(١) .

وروى ابن المغازلي الشافعي بإسناده إلى ابن امرأة زيد بن أرقم قالت : أقبل نبي ﷺ من مكة في حجة الوداع حتى نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة فأمر بالدوحات فقم ما تحتهن من شوك ثم نادى الصلاة جامعة فخرجنا إلى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحر وإن منا من يضع رداءه على رأسه وبعضه على قدميه من شدة الرمضاء حتى أتتهنا إلى رسول الله ﷺ فصلى بنا الظهر ثم انصرف إلينا ، فقال : الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا الذي لا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد - : أيها الناس ؟ فإنه لم يكن لنبي من العمر إلا النصف من عمر الذي قبله وإن عيسى بن مريم لبث في قومه أربعين سنة وإني أسرع في العشرين ألا وإني يوشك أن أفارقكم ، ألا وإني مسؤول وأنتم مسؤولون ، فهل بلغتكم ؟ فماذا أنتم قائلون ؟ فقام من كل ناحية من القوم مجيب يقولون : نشهد أنك عبد الله ورسوله قد بلغت رسالته ، وجاهدت في سبيله ، وصدعت بأمره ، وعبدته حتى أتاك اليقين ، جزاك الله خيراً ما جزى نبياً عن أمته .

فقال : أستم تشهدون أن لا إله إلا الله لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وتؤمنون بالكتاب كله ؟ قالوا : بلى ، قال : فإنني أشهد أن قد صدقتكم وصدقتموني ، ألا وإني فرطكم وأنتم تبغي توشكون أن تردوا

علي الحوض فأسألکم حين تلقوني عن الثقلين كيف خلفتموني فيهما، قال: فأعيل علينا ما ندري ما الثقلان حتى قام رجل من المهاجرين، فقال: بأبي وأمي أنت يا رسول الله ما الثقلان؟ قال الأكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم تمسكوا به ولا تولوا ولا تضلوا، والأصغر منهما عترتي، من استقبل قبلي وأجاب دعوتي فلا تقتلوهم ولا تقهروهم؟ ولا تقصروا عنهم، فإني قد سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني، وناصرهما لي ناصر، وخاذلهما لي خاذل، ووليهما لي ولي، وعدوهما لي عدو، ألا فإنها لن تهلك أمة قبلكم حتى تدين بأهوائها، وتظاهر على نبوتها، وتقتل من قام بالقسط، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ورفعها، فقال: « من كنت مولاه فهذا مولاء، ومن كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»، قالها ثلاثاً^(١).

وأخرج المتقي الهندي عن ابن جرير بإسناده عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: لما صدر رسول الله ﷺ من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا تحتها، ثم بعث إليهن فقم ما تحتها من الشوك وشذيب عن رؤس القوم، ثم عمد إليهن فصلى تحتها ثم قام فقال: أيها الناس إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر النبي الذي من قبله، وإني لاظن أني موشك وأن أدعي فأجيب، وأني مسؤول وأنكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت فجزاك الله خيراً قال: أستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق، وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، قالوا: نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد ثم قال: أيها الناس، إن الله مولاي وأنا

مولي المؤمنين وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثم قال : أيها الناس إني فرطكم وأنتم واردون على الحوض ، حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة وإني سأثلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم ، فتمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتي أهل بيتي وإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض^(١) .

وأخرج مسلم في صحيحه هذا المعنى بخمسة طرق عن يزيد بن حيان قال : انطلقت انا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ ؟ قال : يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت اعني من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفوني ثم قال قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمأ بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال :

«اما بعد ، الا ايها الناس فانما انا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فاجيب وانا تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : «واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي» فقال له حصين : ومن اهل بيته يا

() : / : / : /

زيد أليس نساؤه من اهل بيته قال نساؤه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ، قال : كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال : نعم^(١).

وفيه بنسند آخر عن يزيد بن حيان بن زيد بن أرقم قال : دخلنا عليه فقلنا له : لقد رأيت خيراً ، لقد صاحبت رسول الله ﷺ وصليت خلفه... وساق الحديث بنحو حديث أبي حيان غير انه قال :

«ألا واني تارك فيكم ثقلين : احدهما كتاب الله عزّ وجلّ ، وهو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة» وفيه : قلنا : من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال : لا ، وإيمُ الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته أصله ، وعصبته الذين حُرِّموا الصدقة بعده^(٢).
أقول : في هاتين الروايتين لف ودوران ومحاولَةٌ تعميمٍ وإيهامٍ وإثارة للغبار والغمام لستر الحقيقة وذلك :

١. ان كلمة «أهل» تشمل ازواج الرجل ونساءه لغة وعرفاً ، ولكن هذا ليس مراداً قطعاً في حديث الثقلين وغيره من الآيات والروايات ، فحاولَ الراوي ان يعزف على هذا الوتر فأجابه زيد بقوله : لا ان المرأة تكون مع الرجل ثم يطلقها فترجع....

٢. قول زيد «الذين حرموا الصدقة بعده» فان كان المراد بالبعدية البعدية الزمانية أي بعد حياة النبي ﷺ فهذا لا يصح ، إذ ان الصدقة حرام على من انتسب إلى هاشم مطلقاً في حياة النبي ﷺ وبعدها ، وان كان المراد بالبعدية الرتبة كما في قوله ﷺ في علي (عليه السلام) : «هو وليكم بعدي» أي ان له هذه الولاية في حياة النبي كما إذا

()

()

سافر ﷺ أو غاب ، وفيما نحن فيه ان الصدقة حرمت ابتداءً وأولاً على النبي ﷺ ثم على بني هاشم فيصح كلام زيد ولكن القوم لا يلتزمون بذلك.

٣. ان تفسير زيد أو تعميمه لمفهوم أهل البيت ليشمل آل عقيل وآل جعفر وآل عباس اجتهاد مقابل النص وتفسير بما لا يرضى به صاحبه وهو من باب وسعها تتسع لاجل التموليه على الحقيقة ، وإذا أحسن الظن به نقول انها صدرت خوفاً وتقية إذ ان الرسول ﷺ عرف أهل بيته لأمته وبين ذلك بياناً كافياً في أحاديث آية التطهير والمباهلة والمودة وغيرها من المناسبات نذكرها لاحقاً ان شاء الله كما أشرنا إلى بعضها فيما سبق.

والحق ان أهل البيت هم الصفوة والنخبة التي اصطفاه الله وانتخبها وطهرها تطهيراً وأهلها حمل رسالة السماء وجعلهم حججاً على خلقه وعدتهم معلومة معروفة ، لا كل من هب ودب وقرب وانتسب إلى رسول الله ﷺ وتفسير زيد بأنهم «من حرمت عليهم الصدقة» يشمل خلقاً لا يحصى عددهم إلا الله سبحانه وتعالى من السادة الاشراف وغيرهم ، وأعجب وأعجب من ذلك قول بعضهم «ان أهل بيته أمته».

فهذه تفاسير لا تنسجم مع الأصول القرآنية القائلة بان الله يصطفى ويختار ويتنجب ويتنخب رسلاً وانبياءً وبيوتاً يذكر فيها اسمه ودينه ، وان هذه سنة ربانية في الأمم الخالية ، وان الله يعلم حيث يجعل رسالته وان رسول الله ﷺ ليس بدعاً من الرسل.

وراء هذه التفاسير أياد مشبوهة مقيتة وبيوت مركوسة منغمسة في الخسة والدناءة والتم والحقارة في الجاهلية والاسلام تغلي صدورها بالحسد والاحقاد وهي ترى البيت العلوي النبوي في عزّ ورسوخ ومجد وشموخ ، ولكي نأخذ انطباعاً عن

بعض هذه البيوت إليك ما ذكره الذاب والمحامي والمدافع عنهم، ففي الصواعق المحرقة لابن حجر قال :

خاتمة فيما أخبره به ﷺ مما حصل على آله ومما أصاب المسيء إليهم من الانتقام الشديد، وفي آداب أخرى، قال ﷺ : ان أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً، وان أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم^(١).

صححه الحاكم لكن فيه إسماعيل والجمهور على أنه ضعيف لسوء حفظه وممن وثقه البخاري فقد نقل الترمذي عنه أنه ثقة مقارب الحديث.

ومن أشد الناس بغضاً لأهل البيت مروان بن الحكم، وكان هذا هو سر الحديث الذي صححه الحاكم^(٢) أن عبد الرحمن بن عوف قال : كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي ﷺ فيدعوه له، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال ﷺ : هذا الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون، وروى بعده بيسير عن محمد بن زياد قال : لما بايع معاوية لابنه يزيد قال مروان : سنة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : سنة هرقل وقيصر، فقال له مروان : انت الذي انزل الله فيك (وَالَّذِي قَالَ لُؤَالِدٍ لَّهُ أُفٌ لَّكُمَا). فبلغ ذلك عائشة فقالت : كذب والله ما هو به ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه^(٣).

ثم روى عن عمرو بن مرة الجهني - وكان له صحبة - ان الحكم بن العاص استأذن على رسول الله ﷺ فعرف صوته، فقال : ائذنوا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن وقليل ما هم، يترفهون في الدنيا ويضعون في الآخرة، ذوو

() / :

() / :

() / :

مكر وخديعة، يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق^(١). قال ابن ظفر: وكان الحكم بن أبي العاص يرمى بالداء العضال^(٢) وكذلك أبو جهل، ذكر ذلك كله الدميري في حياة الحيوان^(٣).

ولعنته ﷺ للحكم وابنه لا تضرهما لأنه ﷺ تدارك ذلك بقوله مما بينه في الحديث الآخر: انه بشر يغضب كما يغضب البشر، وانه سأل ربه ان من سبه أو لعنه أو دعا عليه ان يكون ذلك رحمة وزكاة وكفارة وطهارة. وما نقله عن ابن ظفر في أبي جهل لا تأويل عليه فيه بخلافه في الحكم فانه صحابي وقبيح أي قبيح ان يرمى صحابي بذلك، فليحمل على أنه إن صح ذلك كان يرمى به قبل الاسلام^(٤). انتهى كلام ابن حجر.

ولنا تعليق على قوله: ولعنته ﷺ للحكم وابنه لا تضرهما... إلى آخره.

أقول: هذه فائدة من فوائد قولهم بعدم العصمة المطلقة، وفي مثل هذا المقام تقطف ثمارها، فالنبي عند القوم ينسى ويغفل ويخطأ ويسب ويلعن ويغضب وكما قال الراوي: انما انا بشر فايما عبد سببته... الحديث.

فليس النبي ﷺ انساناً كاملاً وحجة الله على عباده وخليفته في ارضه وسماءه وان الله أدبه فاحسن تأديبه وخاطبه سبحانه وتعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) وجعله قدوة واسوة للبشر بل للثقلين وأمرهم بالاعتداء به حيث قال: (لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) وغيرها من الآيات التي تكذب هذه الرواية وأمثالها.

() : / .

() : :

() : / : / :

() :

ولكن الظاهر ان غاية ابن حجر وأمثاله ممن تقدم عليه أو تأخر الدفاع عمّن لعنه رسولُ الله ﷺ و غضب عليه كمروان وأبيه ومعاوية وغيرهم ممن على شاكلتهم حتّى لو استوجب ذلك الرد على الله سبحانه وتعالى والانتقاص من المقام الشامخ لسيد الأنبياء والمرسلين ، فصحبه الرسول تقتضي عصمة الصحابي وعدالته ولكن شخص النبي ﷺ بشر يخطأ فيسب ويلعن ويغضب ويجلد فيرتكب خلاف الواقع !!! غفرانك اللهم وسبحانك ان نتعبد بما ننحت بايدينا من أصول وقواعد ونظّل لها عاكفون.

والحاكم النيسابوري عندما نقل بعض هذه الروايات التي لعنت بيوتا واشخاصاً بسب بغضهم وعدائهم للنبي وآله ﷺ قال : ليعلم طالبُ العلم ان هذا باب لم أذكر فيه ثلث ما روي ، وان أول الفتن في هذه الأمة فتنتهم ، ولم يسعني فيما بيني وبين الله تعالى ان أخلي الكتاب من ذكرهم^(١).

أقول : ان هؤلاء الذين لعنهم رسول الله ﷺ سيئة من سيئات الذي تقمصوا حق آل محمد ظلماً وعدواناً إذ انهم الممهدون والممكنون والمسببون لكل ظلم. ولكي تتضح مظلومية أهل البيت للقارئ الكريم نذكر مثلاً لشخصية طالما قدسها التاريخي ليكون طالب الحق على علم وبصيرة. يقول ابن أبي الحديد : قطعَ عبدُ الله بن الزبير في الخطبة ذكراً رسول الله ﷺ جمعاً كثيرة ، فاستعظم الناس ذلك ، فقال : إني لا أرغب عن ذكره ، ولكن له أهيل سوء إذا ذكرته أتلعوا أعناقهم ، فأنا أحب أن أكتبهم^(٢).

() / :

() / - :

قال: لما كشف عبد الله بن الزبير بنى هاشم واطهر بغضهم وعابهم، وهم بما هم به في أمرهم، ولم يذكر رسول الله ﷺ في خطبه، لا يوم الجمعة ولا غيرها، عاتبه على ذلك قوم من خاصته، وتشاءموا بذلك منه، وخافوا عاقبته، فقال: والله ما تركت ذلك علانية إلا وأنا أقوله سراً وأكثر منه، لكنى رأيت بنى هاشم إذا سمعوا ذكره اشربوا وأحمرت ألوانهم، وطالت رقابهم، والله ما كنت لاتي لهم سرورا وأنا أقدر عليه، والله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ثم أضرمها عليهم نارا، فإني لا أقتل منهم إلا أثماً كفاراً سحّاراً، لا أنماهم الله ولا بارك عليهم، بيت سوء لا أول لهم ولا آخر^(١).

قال: قال المسعودي: ثم إن عبد الله جمع بنى هاشم كلهم في سجن عارم، وأراد أن يحرقهم بالنار، وجعل في فم الشعب حطبا كثيرا، فأرسل المختار أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف، فقال أبو عبد الله لأصحابه: ويحكم! إن بلغ ابن الزبير الخبر عجل على بنى هاشم فأتى عليهم، فانتدب هو نفسه في ثمانمائة فارس جريدة، فما شعر بهم ابن الزبير إلا والرايات تحفق بمكة، فقصد قصد الشعب، فأخرج الهاشميين منه^(٢).

قال: قال المسعودي: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بنى هاشم في الشعب، وجمعه الحطب ليحرقهم ويقول: إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة، ولا يختلف المسلمون، وان يدخلوا في الطاعة، فتكون الكلمة واحدة، كما

() : / .

() : / : . / :

فعل عمر بن الخطاب بنى هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر، فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار^(١).

() / : / : / :

أهل البيت على لسان أهل البيت

من خطبة لعلي أمير المؤمنين عليه السلام قال فيها: هم موضعُ سيره، ولجأ أمره، وعبيةُ علمه، وموئلُ حكمه، وكهوفُ كُتبه، وجبال دينه، بهم أقام الخِفاءَ ظهره، واذهَبَ ارتعادَ فرائصه... إلى ان يقول: لا يقاس بآل محمد عليهم السلام من هذه الأمة أحد، ولا يُسوي بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفىء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة^(١).

ومن خطبة له عليه السلام يذم فيها أصحاب الرأي والاجتهاد قال: فأين تذهبون، وأنى تؤفكون، والاعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم! وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم، وهم أزمة الحق، واعلام الدين، وألسنة الصدق فانزلوهم بأحسن منازل القرآن، ورُدُّهم ورُدَّ إليهم العطاش، أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين عليه السلام: «إنه يموت مَنْ مات مَنَّا وليس بميت، ويبلى مَنْ بلى مَنَّا وليس ببال» فلا تقولوا بما لا تعرفون، فان أكثر الحق فيما تنكرون^(٢).

وقال عليه السلام: نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة^(٣).

()

()

()

ومن خطبة له ﷺ قال: أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذبا وبعياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم، واعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم. بنا يُستعطى الهدى، ويستجلى العمى. إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم^(١).

وقال ﷺ: نحن الشعارُ والاصحاب، والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سُمي سارقاً^(٢).

وقال ﷺ: هم عيش العلم، وموت الجهل، يُخبركم جلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقتهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه. وهم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية، فان رواة العلم كثير، ورعاته قليل^(٣).

وقال ﷺ: الا إن مثل آل محمد ﷺ كمثل نجوم السماء، إذا خوى نجمٌ طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، وأراكم ما كنتم تأملون^(٤).

()

()

()

()

أهل البيت أمان لأهل الأرض

روى أحمد بن حنبل بإسناده إلى علي قال: قال رسول الله ﷺ: النجوم أمان لأهل السماء، إذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض^(١).

وروى الحاكم بإسناده عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «وإنه لعلمٌ للساعة» فقال: النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهب أتاها ما يوعدون، وأنا أمان لأصحابي ما كنت، فإذا ذهب أتاهم ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأمتي فإذا ذهب أهل بيتي أتاهم ما يوعدون^(٢).

وروى بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس^(٣).

وإسناده إلى محمد بن المنكدر عن أبيه، عن النبي ﷺ: انه خرج ذات ليلة وقد أخرج صلاة العشاء حتى ذهب من الليل هنيهة أو ساعة والناس ينتظرون في المسجد فقال ما تنظرون؟ فقالوا: نتظر الصلاة فقال: إنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتوها، ثم قال: اما إنها صلاة لم يصلها أحد ممن قبلكم من الأمم، ثم رفع راسه إلى السماء فقال: النجوم أمان لأهل السماء، فان طمست النجوم أتى السماء

() : / .

() : / :

() : / :

ما يوعدون، وأنا أمان لاصحابي، فإذا قبضت اتى اصحابي ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي أتى أمتي ما يوعدون^(١).

وفي الصواعق المحرقة لابن حجر قال: الآية السابعة قوله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) أشار ﷺ إلى وجود ذلك المعنى في أهل بيته وأنهم أمان لأهل الأرض كما كان هو ﷺ أماناً لهم، وفي ذلك أحاديث كثيرة يأتي بعضها^(٢).

وسبق ان نقلنا عنه قوله: وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة كما ان الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الارض^(٣).

وفي كنز العمال: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي» قال: أخرجه ابن أبي شيبة ومسدد والحكيم وابي يعلى والطبراني في الكبير وابن عساكر عن سلمة بن الأكوع عن أبيه^(٤).

انهم سفينة النجاة:

روى أحمد باسناد عن حنش الكناني قال: سمعت أبا ذر يقول وهو أخذ بباب الكعبة: من عرفني فأنا من قد عرفني ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت النبي ﷺ يقول: ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك^(٥).

() : / .

() :

() :

() : / .

() : / .

وأخرجه الحاكم بسندين في موضعين من كتابه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(١).

وفي كنز العمال عن عباد بن عبد الله الأسدي قال: بينا أنا عند علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في الرحبة إذ أتاه رجل فسأله عن هذه الآية (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) فقال: ما من رجل من قريش جرت عليه المواسي إلا قد نزلت فيه طائفة من القرآن، والله لأن يكونوا يعلموا ما سبق لنا أهل البيت على لسان النبي الأمي ﷺ أحب إلي من أن يكون لي ملئ هذه الرحبة ذهباً وفضة، والله إن مثلنا في هذه الأمة كمثل سفينة نوح في قوم نوح، وإن مثلنا في هذه الأمة كمثل باب حطة في بني إسرائيل^(٢). قال المتقي الهندي: أخرجه أبو سهل القطان في أماليه، وابن مردويه.

وروى الحافظ الكنجي بإسناده عن حنش بن المغيرة أنه سمع أبا ذر الغفاري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح في قوم نوح، من ركبها نجي ومن تخلف عنها هلك، ومثل باب حطة في بني إسرائيل^(٣). قال: أخرجه إمام أهل الحديث في معجم شيوخه، كما أخرجه سواء، ورواه عن أبي سعيد بسند آخر.

وأخرج الفقيه ابن المغازلي الشافعي هذا المعنى بجملة طرق عن ابن عباس وسلمة بن الأكوع، وأبي ذر^(٤).

(١) : / /

: /

: /

:

: .

قال ابن حجر: وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً: إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا. وفي رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق. وفي رواية هلك، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له، وفي رواية غفر له الذنوب^(١).

قال الله تعالى: (ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ).

السنة النبوية عند أهل البيت:

لا توجد سنة نبوية بالمعنى الذي أراده الله ورسوله إلا عند العترة الطاهرة، لان غيرهم قد منع من تدوينها واحرق الكثير منها وقابلوها بالرأي والاجتهاد والقياس والاستحسان ووضعوا شروطاً وقيوداً على من يتحدث إلا بما ينسجم مع تطلعات الحزب الحاكم، وهددوا من يتحدث على خلاف ذلك بل عاقبوا بعضهم بالتباعد أو فرض الإقامة الجبرية والتسقيط وغيرها من الاساليب وقالوا: حسبنا كتاب الله. والشيء الذي في أيديهم على فرض انه من السنة فهو مردود عليهم لانهم قد اخطأوا في أخذه إذ انهم تسوروا الجدار وأتوا البيوت من ظهورها، وقد مرَّ عن علي عليه السلام حيث قال: «فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً» والسارق وان كان قد يحصل على ما يريد إلا انه من غير طريقه الشرعية فليس فيه تعبد وطاعة وامثال بل هو معصية وضلال.

وهذا ما نطقت به احاديث رسول الله صلى الله عليه وآله في حق أهل بيته كقوله في حديث الثقلين: «لن تضلوا بعدي أبداً» وقوله في حديث السفينة: «من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق أو هلك» ومعنى الركوب في سفينتهم هو التسليم والتعبد على

() :

مذهبهم والأخذ منهم وعنهم، وعشرات الأحاديث بل المئات شيدت هذه الحقيقة منها قوله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»^(١). والسنة النبوية من علم رسول الله ﷺ أي ضمن هذه المدينة، وباب هذه المدينة هو علي عليه السلام فمن أراد الوصول إلى المدينة فلا بد أن يدخلها من الباب، وبعبارة أخرى: لا يمكن الوصول إلى العلم والصواب، ومرضاة الملك الوهاب، إلا من خلال هذا الباب.

ولكن مع الأسف الشديد ان التاريخ يحدثنا: ان رجالاً كذبوا هذه الحقيقة بمواقفهم واعمالهم، منها ما روي في كتب الصحاح وغيرها ان الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء جاءت مع بعليها علي عليه السلام تطلب حقها من الارث ففاجأها الخليفة بقوله: انا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركانه صدقة. فأغضبها وردَّ شهادة زوجها! ولنا انت نتسائل هل ان الزهراء سلام الله عليها تدعي باطلاً، وهل ان عليا يدلي بشهادته زوراً، وكيف جهل علي عليه السلام هذا الحديث وهو باب علم رسول الله ﷺ؟! وبهذا وأمثاله انتفتح الباب على مصارعيه وتراكت مثل هذه الأحاديث، ومصاديقها كثيرة وصارت فيما بعد تعرف بسنة أو سيرة الشيخين وصارت خطأ أحمرأ لا يمكن تحطيه وأصلاً لا بد منه حتى قال عبد الرحمن بن عوف يوم الشورى لعلي عليه السلام: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين^(٢) فرفض علي عليه السلام الشرط الثالث، ثم عرضها ابن عوف على عثمان فوافقه وأنعم له وتمت الصفقة، ولو كانت هذه السيرة متوافقة مع سنة النبي ﷺ لما وسع علي بن أبي طالب تركها

() : / .

() : / : / : .

وهو الذي مع الحق والحق معه. وفي هذا الصدد أعرب سلام الله عليه عن نفوس القوم وما ارتكبوه، حيث قال:

حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على اللوائح، ووصلوا غير الرحيم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص أساسه، فبنوه في غير موضعه ومعادن كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة، وذهلوا في السكر، على سنة من آل فرعون، من منقطع إلى الدنيا راكن، أو مفارق للدين مبين.

ونحن نذكر شرحها من قبل ابن أبي الحديد لعدم خلوها من فائدة، قال: الشرح: رجعوا على الأعقاب: تركوا ما كانوا عليه^(١)، قال سبحانه: (وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا).

وغالتهم السبل: أهلكتهم اختلاف الآراء والأهواء، غاله كذا، أي أهلكه، والسبل: الطريق واللوائح: جمع وليجة، وهي البطانة يتخذها الإنسان لنفسه، قال سبحانه: (وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً).

ووصلوا غير الرحيم: أي غير رحم الرسول ﷺ، فذكرها ﷺ ذكراً مطلقاً غير مضاف للعلم بها، كما يقول القائل: (أهل البيت) فيعلم السامع أنه أراد أهل بيت الرسول.

وهجروا السبب، يعني أهل البيت أيضاً: وهذه إشارة إلى قول النبي ﷺ: «خلفت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، حبلان ممدودان من السماء إلى

()

()

الارض ، لا يفترقان حتى يردا على الحوض» ، فعبر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ (السبب) لما كان النبي ﷺ قال : «حبلان» ، والسبب في اللغة : الحبل .
وعنى بقوله : أمروا بمودته ، قول الله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) .

وقوله : ونقلوا البناء عن رصّ أساسه ، الرص مصدر رصصت الشئ أرصه ، أي ألصقت بعضه ببعض ، ومنه قوله تعالى : (كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُومٌ) ، وتراص القوم في الصف ، أي تلاصقوا . فبنوه في غير موضعه ! أي : ونقلوا الأمر عن أهله إلى غير أهله . ثم ذمهم^(١) ، وقال : إنهم معادن كل خطيئة ، وأبواب كل ضارب في غمرة ، الغمرة : الضلال والجهل . والضارب فيها : الداخل المعتقد لها . قد ماروا في الحيرة ، مار يمور إذا ذهب وجاء ، فكأنهم يسبحون في الحيرة كما يسبح الانسان في الماء . وذهل فلان ، بالفتح ، يذهل . على سنة من آل فرعون ، أي على طريقة ، وآل فرعون : أتباعه ، قال تعالى : (أَدْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)^(٢) .

الانقلاب على الأعقاب ورجوع القهقري:

نخشى ان نكون قد أوحينا إن القول باحداث بعض الاصحاب ورجوعهم القهقري وارتدادهم على ادبارهم وانقلابهم على اعقابهم مما انفرد به أهل البيت وشيعتهم ، وهذا خطأ ليس بصحيح لان الكثير من أئمة الحديث يعتقد صحة ذلك

() () :

()

() : / .

فهذا صحيح البخاري وهو بعد كتاب الله عند القوم روى بعدة طرق واسانيد هذا المعنى فيإسناده عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : ليردّ علي ناسٌ من أصحابي الحوض ، حتّى إذا عرفتهم اختلجوا دوني ، فأقول : أصحابي ، فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك^(١) .

ويإسناده عن سهل بن سعد قال : قال النبي ﷺ إني فرطكم على الحوض ، من مرّ عليّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً ، ليردن عليّ أقوام اعرفهم ويعرفوني ، ثمّ يُحال بيني وبينهم ، قال أبو حازم : فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال : هكذا سمعت من سهل ؟ فقلت : نعم ، فقال : أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها : فأقول : انهم مني ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سُحِقاً سُحِقاً لمن غير بعدي^(٢) .

ويإسناده عن أبي هريرة : انه كان يحدث : ان رسول الله ﷺ قال : يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي ، فيجلون عن الحوض ، فأقول : يارب أصحابي ، فيقول : إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على ادبارهم القهقري^(٣) .

ويإسناده عن ابن المسيب انه كان يحدث عن اصحاب النبي ﷺ : ان النبي ﷺ قال : يرد عليّ الحوض رجال من أصحابي ، فيحلّون عنه ، فأقول : يارب

()

()

()

أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على ادبارهم القهقري^(١).

وبإسناده عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: بينا أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت وما شأنهم قال: إنهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم^(٢).

وبإسناده عن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال النبي ﷺ: إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يارب مني ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم^(٣).

وفي صحيح مسلم بإسناده إلى أبي هريرة عن النبي ﷺ: وليُصدَّن عني طائفة منكم فلا يصلون، فأقول: يارب هؤلاء من أصحابي، فيجيبني ملكٌ فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟^(٤).

وفيه عن أبي هريرة أيضاً: ألا كُيِّدَ أدنُّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال. أناديهم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول سُحْقاً سُحْقاً^(٥).

()

()

()

()

()

/ :

وفيه عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: انا فرطكم إلى الحوض، ولأننا نزعنا أقواماً ثم لأغلبنا عليهم، فأقول: يا رب أصحابي أصحابي، فيقال: انك لا تدري ما أحدثوا بعدك^(١).

وفيه عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: ليردني عليّ الحوض رجال ممن صاحبي، حتى إذا رأيتهم ورفعوا اليّ اختلجوا دوني فلا أقولن: أي رب أصحابي، أصحابي، فليقالن لي: أنك لا تدري ما أحدثوا بعدك^(٢).

وفي مستدرک الحاكم بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: يُؤخذ بناس من أصحابي ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم بعدك، فأقول كما قال العبدُ الصالح عيسى بن مريم: (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ)^(٣).

ورواه مسلم في صحيحه وفيه: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم^(٤).

وأما أحمد بن حنبل فقد رواه بطرق كثيرة تصل إلى عشرين بإسناده عن:

١. ابن عباس.

٢. عبد الله بن مسعود.

٣. أبي هريرة.

٤. سهل بن سعد.

٥. أبي سعيد الخدري.

()

()

() / :

() / :

٦. أنس بن مالك.

٧. جابر بن عبد الله.

٨. أبي بكر.

٩. حذيفة بن اليمان.

نذكر منها ما رواه عن أبي سعيد، فإسناده عن حمزة بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ يقول على هذا المنبر: ما بال رجال يقولون: إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع قومه، بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، واني أيها الناس فرط لكم على الحوض، فإذا جئتم قال رجل: يارسول الله أنا فلان بن فلان، وقال أخوه: أنا فلان بن فلان، قال لهم: أما النسب فقد عرفته، ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقري^(١).

وإسناده عن سعد بن المسيب، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال: تزعمون ان قرابتي لا تنفع قومي، والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، إذا كان يوم القيامة يرفع لي قوم يؤمر بهم ذات اليسار^(٢) فيقول الرجل: يا محمد أنا فلان بن فلان، ويقول الآخر: أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب قد عرفت، ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم على أعقابكم القهقري^(٣).

وكتب الصحاح وغيرها متخمة بهذه الأحاديث فمن أراد ان يشنع فليبدأ بهؤلاء قبل شيعة أهل البيت ﷺ، وعليه أن يتدبر القرآن وآياته ليعرف حجم المنافقين في

() : / .

() : / .

() .

اصحاب رسول الله وصفاتهم وفي سنة النبي ﷺ ضوابط معرفتهم أهمها بغضهم لعلي ﷺ وأهل بيته.

ولكي تتضح لنا الصورة عن الصحبة والصحابة أكثر مما قدمنا ونُنزِلهم بالمكانة والمنزلة التي هم عليها واللائقة بهم بدون تهويل وتعظيم لا ينسجم مع الكتاب والسنة نذكر بعض الروايات والحقائق التاريخية فقد روى الحاكم بإسناده إلى سعيد بن عمرو بن العاص عن عائشة: انها دعت أبا هريرة فقالت له: يا أبا هريرة ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنك تحدث بها عن النبي ﷺ؟ هل سمعت إلا ما سمعنا وهل رأيت إلا ما رأينا. قال: يا أماه إنه كان يشغلك عن رسول الله ﷺ المرأة والمكحلة والتصنع لرسول الله ﷺ واني والله ما يشغلني عنه شيء^(١).

فاتهمته بكثرة الحديث ولم تقل انه صاحب رسول الله ﷺ وللصحبة حصانة وعصمة وقداسة كما عليه القوم.

وفي مسند أحمد بإسناده عن جيرة بنت دجاجة عن عائشة قالت: بعثت صفة إلى رسول الله ﷺ بطعام قد صنعه له وهو عندي، فلما رأيت الجارية أخذتني رعدة حتى استقلني أفكل^(٢) فضربت القصعة فرميت بها، قالت: فنظر الي رسول الله ﷺ فعرفت الغضب في وجهه فقلت: أعوذ رسول الله ان يلعنني اليوم، قالت: قلت وما كفارته يارسول الله؟ قال: طعام كطعامها وإناء كإنائها^(٣).

فالصحبة والزوجية لم يمنعها من الاساءة فقد اساءت الأدب:
١. مع رسول الله حيث اغضبته.

() : / :

() :

() : / :

٢. اهانة الطعام الذي له حرمة يعرفها حتى الصبيان.

٣. اساءت إلى الجارية التي جاءت بهذه الهدية.

٤. اساءت إلى صفيّة صاحبت هذه الهدية.

٥. هدر أو تبذير الطعام والإيذاء.

روى أبو الفرج الأموي بإسناده إلى الزهري قال: خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد، فقال: أكلما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل، لئن أصبحت لكم لأنكّلنّ بكم، فاستجاروا بعائشة، وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة فقال: أما يجدُ مُراق أهل العراق وفساقهم ملجأً إلا بيت عائشة، فسمعت فرفعت نعالَ رسول الله ﷺ وقالت: تركت سنة رسول الله ﷺ صاحب هذه النعل، فتسامع الناس فجاؤوا حتّى ملؤوا المسجد، فمن قائل: أحسنت، ومن قائل: ما للنساء ولهذا، حتّى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال، ودخل رهط من اصحاب رسول الله ﷺ على عثمان فقالوا له: اتق الله ولا تعطل الحدّ، واعزل أخاك عنهم، فعزله عنهم^(١).

ورى الطبري وعمر بن شبة النمري، والكلام للأول قال: واقبل غلام من جهينة على محمّد بن طلحة وكان محمّد رجلاً عابداً فقال: اخبرني عن قتلة عثمان؟ فقال: نعم دم عثمان ثلاثة أثلاث:

ثلث على صاحبة الهودج، يعني عائشة.

وثلث على صاحب الجمل الأحمر، يعني طلحة.

وثلث على علي بن أبي طالب. فضحك الغلام وقال: لا أراني على ضلال ولحق بعلي ﷺ وقال في ذلك شعراً:

() : / : /

سألتُ ابن طلحة عن هالكٍ بجوف المدينة لم يقبر
فقال ثلاثة رهطٍ همُ أماتوا ابن عفان واستعبر
فثلث على تلك التي في خدرها وثلث على راكب الأحمر
وثلث على ابن طالب ونحن بدويّة قرقر
فقلتُ صدقتَ على الأولين وأخطأت في الثالث الأزهر^(١)

وروى عمر بن شبة النميري بإسناده إلى سالم بن أبي الجعد قال: دعا عثمان ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم عمار فقال: إني سألتكم، أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان يؤثر قريشا على سائر الناس ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم، فقال: لو أن مفاتيح الجنة في يدي لاعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم، والله لاعطينهم على رغم أنف من رغم. فقال عمار: على رغم أنفي؟ قال: على رغم أنفك. قال: وأنف أبي بكر وعمر؟ فغضب عثمان فوثب إليه فوطئه وطأ شديداً، فأجفله الناس عنه، ثم بعث إلى بني أمية فقال: أيا أخابث خلق الله أغضبتموني على هذا الرجل حتى أراني قد أهلكته وهلكت. فبعث إلى طلحة والزبير فقال: ما كان نوالي إذ قال لي ما قال إلا إن أقول له مثل ما قال، وما كان لي على قسره من سبيل، اذهب إلى هذا الرجل فخيرا بين ثلاث، بين أن يقتص أو يأخذ أرشا أو يعفو. فقال: والله لا أقبل منها واحدة حتى ألقى رسول الله ﷺ فأشكوه إليه. فأتوا عثمان. فقال: سأحدثكم عنه، كنت مع رسول الله ﷺ آخذا بيدي بالبطحاء فأتى على أبيه وأمه وعليه وهم يعذبون، فقال

أبوه: يا رسول الله أكل الدهر هكذا؟ قال: قال ﷺ: اصبر ياسر: اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت^(١).

وبإسناده عن المغيرة قال: اجتمع ناس فكتبوا عيوب عثمان، وفيهم ابن مسعود فاجتمعوا بباب عثمان ليدخلوا عليه فيكلموه، فلما بلغوا الباب نكلوا إلا عمار بن ياسر فإنه دخل عليه فوعظه، فأمر به فضرب حتى فتق فكان لا يستمسك بوله. فقيل لعمار: ما هذا؟ قال: إني ملقى من قريش، لقيت منهم في الاسلام كذا، وفعلوا بي كذا، ثم دخلت على هذا - يعني عثمان - فأمرته ونهيته، فصنع ما ترون، فلا يستمسك بولي^(٢).

وارتكب عثمان بحق أبي ذر الغفاري ذلك الصحابي الجليل الذي قال عنه رسول الله ﷺ: ما أضلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر، يعيش وحده ويموت وحده ويبعث وحده. نفاه عثمان إلى الربذة إلى ان مات بها، وذنبه الوحيد انه كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان يرفع صوته بقول الله عز وجل: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).

وهكذا الأمر والحال فيما ارتكبه في حق الصحابي الكبير عبدالله بن مسعود. قال ابن قتينة الدينوري: وذكروا أن عائشة لما أتتها أنه بويع لعلي. وكانت خارجة عن المدينة، فقيل لها: قتل عثمان. وبأيع الناس علياً. فقالت: ما كنت أبالي أن تقع السماء على الارض، قتل والله مظلوماً، وأنا طالبة بدمه، فقال لها عبيد^(٣):

() / :

() / : / :

() :

إن أول من طعن عليه وأطمع الناس فيه لانت، ولقد قلت: اقتلوا نعثلاً فقد فجر (كفر)، فقالت عائشة: قد والله قلت وقال الناس، وآخر قولي خير من أوله فقال عبيد: عذر والله يا أم المؤمنين. ثم قال:

منك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر
وأنتِ أمرتِ بقتل الإمام وقلتِ لنا إنه قد فجر
فهبتنا أظعنالكِ في قتله وقاتله عندنا من أمر

قال: فلما أتى عائشة خبر أهل الشام أنهم ردوا بيعة علي، وأبوا أن يبايعوه، أمرت فعمل لها هودج من حديد، وجعل فيه موضع عينيها، ثم خرجت ومعها الزبير وطلحة و عبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة^(١).

وروى أبو مخنف قال: حدثنا إسماعيل بن خالد، عن قيس بن أبي حازم. وروى الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس. وروى جرير بن يزيد، عن عامر الشعبي، وروى محمد بن إسحاق، عن حبيب بن عمير، قالوا جميعاً: لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة، طرقت ماء الحوآب، وهو ماء لبنى عامر بن صعصعة، فنبحتهم الكلاب فنفرت صعاب إبلهم، فقال قائل منهم: لعن الله الحوآب فما أكثر كلابها فلما سمعت عائشة ذكر الحوآب، قالت: أهذا ماء الحوآب؟ قالوا: نعم، فقالت: ردوني ردوني. فسألوها ما شأنها؟ ما بدالها؟ فقالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كأنني بكلاب ماء يدعى الحوآب، قد نبحت بعض نسائي» ثم قال لي: «إياك يا حميراء أن تكونيها» فقال لها الزبير: مهلاً يرحمك

() / : / : / : / :

الله ، فإننا قد جزنا ماء الحوآب بفراسخ كثيرة ، فقالت : أعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابجة ليست على ماء الحوآب؟ فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابيا جعلاً لهم جعلاً ، فحلفوا لها ، وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوآب ، فكانت هذه أول شهادة زور في الاسلام^(١) .

باللعجب كذب وزور وقتل وتكفير فأى سنة يطمئن إليها ويعتمد عليها وهؤلاء طريقها وسندها.

وتعال إلى صحابي آخر معاوية بن أبي سفيان وهو يعيش قمة الزهو والفرح للإنتصار الذي حققه على أهل بيت رسول الله ﷺ وشيعتهم ، قال مفتخراً : والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا ، انكم لتفعلون ذلك ، وانما قاتلتكم لأتأمروا عليكم ، وقد اعطاني الله ذلك واتم كارهون^(٢) .

وفي صحيح البخاري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والاضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فإن كان يريد أن يقطع بحثاً قطعه أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف ، قال أبو سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي فجذبت بثوبه فجدني فارتفع فخطب قبل الصلاة ، فقلت له : غيرتم والله ، فقال :

() / : / : / :
 : / : / :
 / : / : ()
 . :

أبا سعيد قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة^(١).

ولو أردنا ان نذكر المزيد من هذه الحقائق التاريخية عن بعض الصحابة لخرجنا عن القصد في هذه الرسالة ولكن العجب من قول القوم بتعديل كل الصحابة وتنزيههم وانهم متأولون مجتهدون مأجورون لا يجوز ذكرهم إلا بالمدح والثناء حتى قال بعضهم: إياكم وما شجر بين صحابتي، وقال آخر: دَعُوا لِي اصْحَابِي، فلو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً لما بلغ مُدَّ أحدهم، وغيرها من أقاويل التهويل والتخويف والحال ان الصحابة لا يروون ذلك لانفسهم، ولو كانت الصحابة عند انفسها بهذه المنزلة التي جعلها القوم لهم لعلمت ذلك من حال انفسها لانهم أعرف بمحلهم من عوام أهل عصرنا، فمن ينظر إلى أفعال بعض الصحابة ومواقفهم من رسول الله ﷺ وأهل بيته وبعضهم من بعض علم بطلان ما ذهب إليه القوم من تعديلهم جميعاً.

قال أحد الأعلام: فلو كان محل أصحاب رسول الله ﷺ محل من لا يعادى إذا عصى الله سبحانه ولا يذكر بالقبيح، بل يجب أن يراقب لاجل اسم الصحبة، ويغضى عن عيوبه وذنوبه، لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثناؤه في القرآن لما اتبع هواه، فانسلخ مما أوتى من الايات وغوى، قال سبحانه: (وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ)، وكان ينبغي أن يكون محل عبدة العجل من أصحاب موسى هذا المحل، لان هؤلاء كلهم قد صحبوا رسولاً جليلاً من رسل الله سبحانه وتعالى^(٢).

()

() : /

قال: وكيف يصح ان يقول رسول الله ﷺ: «اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم»، لا شبهة أن هذا يوجب أن يكون أهل الشام في صفين على هدى، وأن يكون أهل العراق أيضا على هدى، وأن يكون قاتل عمار بن ياسر مهتدياً، وقد صح الخبر الصحيح أنه قال له: «تقتلك الفئة الباغية»، وقال في القرآن: (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفْجَأَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ)، فدل على أنها ما دامت موصوفة بالمقام على البغي، مفارقة لامر الله، ومن يفارق أمر الله لا يكون مهتدياً^(١).

قال: وكذا القول في الحديث الاخر، وهو قوله: «خيركم القرن الذي أنا فيه ثمّ الذي يليه ثمّ الذي يليه ثمّ الذي يليه»، ومما يدل على بطلانه إن القرن الذي جاء بعده بخمسين سنة شر قرون الدنيا، وهو أحد القرون التي ذكرها النص، وكان ذلك القرن هو القرن الذي قتل فيه الحسين، وأوقع بالمدينة، وحوصرت مكة، ونقضت الكعبة، وشربت خلفاؤه والقائمون مقامه والمنتصبون في منصب النبوة الخمر، وارتكبوا الفجور، كما جرى ليزيد بن معاوية وليزيد بن عاتكة وللوليد بن يزيد، وأريقتم الدماء الحرام، وقتل المسلمون، وسبى الحرير، واستعبد أبناء المهاجرين والانصار، ونقش على أيديهم كما ينقش على أيدي الروم، وذلك في خلافة عبد الملك وإمرة الحجاج. وإذا تأملت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية شرا كلها لا خير فيها، ولا في رؤسائها وأمرائها، والناس برؤسائهم وأمرائهم، والقرن خمسون سنة، فكيف يصح هذا الخبر^(٢).

() : / .

() : / .

أقول: علاوة على هذه الوجوه التي ذكرها هذا العلم في ابطال الحديث المذكور هناك روايات تناقض هذا الحديث فنقتصر على ما ذكره أحمد بن حنبل في المسند فقد روى بإسناده إلى أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: إن أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره^(١).

وأخرجه بسند آخر عن عمّار بن ياسر، عن رسول الله ﷺ... الحديث^(٢).
وإسناده إلى أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ أشد أمتي لي حبا قوم يكونون أو يخرجون بعدي يود أحدهم أنه أعطى أهله وماله وأنه رأني^(٣).

وروى بسندين عن أبي جمعة (حبيب بن سباع) قال: تغدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، قال: فقال: يارسول الله هل أحد خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك، قال ﷺ: نعم، قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني^(٤).

والعقل والوجدان مع ما ذكره رسول الله ﷺ في التعليل: يؤمنون بي، ولم يروني. والآيات القرآنية في باب الجزاء والعقاب والثواب لم تفرق بين الصحابي وغيره، فلا بد من سلامة العقاب، وإن العقاب للمتقين، واشترطت الثبات وعدم النكث والوفاء بالعهد منها قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (الفتح/١٠)^(٥) من العهود التي أخذها رسول الله ﷺ على أمته ان ينصروا أهل بيته، فبناءً على زعمهم من تفسير (المولى) بالناصر، فهل نصروا علياً

() / :

() / :

() / :

() / :

في سقيفة بني ساعدة؟! وهل نصروه في يوم الجمل ويوم صفين؟ أجل إلا القليل ممن وفى.

وهنا في الباب قصة، سئل أحد المستبصرين عن سبب تشييعه، فأجاب قائلاً: بسبب حرف من حروف الجر جاء في القرآن الكريم! فقالوا له: وما هو؟ قال: إني قرأت القرآن كثيراً وفي المرة الأخيرة استوفقتني سورة الفتح في آخر آية منها، فعندما بدأت بالسورة (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) إلى ان وصلت إلى آخر السورة (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ) (الفتح/٢٩) والتي تعني أصحاب رسول الله ﷺ لاحظت ان السورة تذكر أصحاب الرسول ثلاثة عشر مرة بصيغة الجمع أو بضمائر الجمع التي تدل عليهم، ولكن السورة عندما تتعرض إلى ان جزائهم الموعود هو الجنة والمغفرة والجزاء العظيم تقول: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ) فحرف (من) يفيد التبعية، وقد استدعاني هذا الحرف إلى التفكير والتساؤل: لماذا لا يدخل جميع الصحابة الجنة كما علمونا؟! فقلت في نفسي: يجب أن أذهب وتحقق من الأمر، وساورني أمر بانه من الممكن ان يكون هذا من الأساليب القرآنية، ولكنني وجدت ان الآية واضحة اذ تعود على بعض الأصحاب وليس جميعهم، وإلا فان القرآن قد ذكرهم جميعاً في الآية الأخرى، وهكذا انتفت عندي نظرية عدالة الصحابة وأوصلتني تحقيقاتي إلى ان هذا (البعض) هم شعية علي بن أبي طالب ﷺ والمتلمذين بولايته فأصبحتُ شيعياً.

أجل من تأمل في قوله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)، وتأمل قوله تعالى: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ).

اتضح له ان من اصحاب الرسل من كفر بعد رسلهم وبعد ان جاءتهم البينات واقتتلوا واختلفوا وفي الأحاديث المشهورة المعروفة: (لتركبن سنن من قبلكم حذوة القذة بالقذة والنعل بالنعل)، وقوله ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)، وقوله ﷺ: (ستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة).

فيا ترى هل الفرقة الناجية من أقصت علياً ﷺ وفارقتة وحاربتة وحاربت أبناءه وأهل بيته؟ أم التي شايعته وتابعتة استجابةً لنداء العقل والفطرة وامثالاً لأقوال نبي الرحمة ﷺ الكثيرة المتضاربة والمتواترة في أهل بيته، منها الحديث الذي تقدم: (مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوي) والحديث الذي نحن فيه (اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي)، الذي قال فيه محمود شكري الألوسي: وههنا فائدة جلييلة لها مناسبة مع هذا المقام، هي ان رسول الله ﷺ قال: (إني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي) وهذا حديث ثابت عند الفريقين أهل السنة ولاشيعه، وقد علم منه ان رسول الله ﷺ أمرنا في المقدمات الدينية والأحكام الشرعية بالتمسك بهذين العظيمي القدر والرجوع اليهما في كل أمر فمن كان مذهبه مخالفاً لهما في الأمور الشرعية اعتقاداً وعملاً فهو ضال^(١).

وعن أبي نعيم في حلية الأولياء بسنده عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ سَرَهُ ان يَحْيَا حَيَاتِي وَيَمُوتَ مَمَاتِي وَيَسْكُنَ جَنَّةَ عَدْنٍ غَرَسَهَا رَبِّي فَلْيُؤَالِي عَلِيًّا مِنْ بَعْدِي وَلْيُلْوَإِلْ وَلِيهِ وَلْيَقْتَدِ بِالْأُئِمَّةِ مِنْ بَعْدِي فَانْهَمَّ عَتْرَتِي خَلَقُوا مِنْ

طينتي ورزقوا فهماً وعلماً، ويلٌ للمذكبين بفضهلم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي^(١).

وعن الموفق بن أحد الخوارزمي الحنفي بإسناده إلى زاذان عن علي عليه السلام : تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهم الذين قال الله عز وجل : (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) وهم أنا وشيعتي^(٢).

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله : والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيمة ونزلت : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) ، فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إذا أقبل علي عليه السلام قالوا: جاء خير البرية^(٣).

قال: وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: علي خير البرية^(٤). قال: ابن عدي عن ابن عباس قال: لما نزلت : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين^(٥).

قال: وأخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : ألم تسمع قول الله : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) انت

() / : / : / :

() / :

() / :

()

() / :

()

()

وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض ، اذا جثت الأمم للحساب تدعون غراً
مجلين^(١).

وأخرج الحاكم الحسكاني أكثر من عشرين طريقاً في تفسير هذه الآية وانها في
علي عليه السلام وشيعته.

قال ابن حجر في الصواعق: الاية الحادية عشر، قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الآية لما نزلت قال عليه السلام لعلي: هو أنت وشيعتك
تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضاباً مقمحين ، قال:
ومن عدوي؟ قال عليه السلام: من تبرأ منك ولعنك^(٢).

قال: وأخرج أحمد في المناقب انه عليه السلام قال لعلي: أما ترضى أنك معي في الجنة
والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن أماننا
وشمائنا.

والعجب من ابن حجر هذا كيف يدافع دفاعاً مستميتاً عن أعداء علي عليه السلام
ومبغضيه وما من مسلم يجهل ان أول من تبرأ من علي عليه السلام ولعنه وسبه هو معاوية
بن أبي سفيان ويأتي ابن حجر ويؤلف كتاباً في فضل معاوية سماه: (تطهير الجنان
واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيده معاوية بن أبي سفيان) قال فيه: وبعد فهذه
ورقات ألفتها في فضل سيدنا أبي عبد الرحمن أمير المؤمنين معاوية بن صخر بن أبي
سفيان.. إلى ان يقول دعاني إلى تأليفها الطلب الحثيث من السلطان همايون أكبر
سلاطين الهند.

()

()

وكان عليه ان يستجيب لأحاديث رسول الله ﷺ التي ملئت الخافقين في شأن من أبغض علياً أو حاربه وسبه ولعنه لا ان يستجيب إلى دراهم ودنانير سلطان لهند. وشتان ما بين موقفه هذا وموقف الامام النسائي عندما دخل الشام وطلب منه ان يؤلف كتاباً في فضائل معاوية كما ألف في خصائص علي ﷺ وفضائله، فقال: لا أعرف له فضيلة إلا قول رسول الله ﷺ: (لا أشبع الله بطنه) فضر به على مذاكيره إلى ان مات. فانظر إلى التفاوت بين الأقلام الرخيصة المأجورة وبين النفوس الأبية التي تقدر العلم وتجله.

وانما ذكرنا بعض هذه الروايات التي ذكرت علياً وشيعته ليعلم القارئ الكريم انه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ في العلن والظاهر إلا نهجاً وسلوكاً واحداً يمثل الامتداد الطبيعي للرسول والرسالة، وعلامة هذا النهج هو التشيع لعلي ﷺ وقبول كل ما يصدر من الرسول ﷺ في دعمه وتأييده. وهناك اتجاه كبير يكمن البغض والكرهية والعداء للنبي وأهل بيته لا سيما لعلي بن أبي طالب فلذلك ترى الكم الكبير الهائل من الأحاديث الشريفة في بيان هذين الاتجاهين، كقوله ﷺ لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، وقول بعض الصحابة: انا كنا نعرف المنافقين ببغضهم لعلي ﷺ فالنتيجة، انه كان على عهد رسول الله ﷺ اتجاهان، أحدهما شيعة مؤمنون، وثانيهما منافقون مخالفون.

لا جعفرية ولا سنة:

اسمان أو اصطلاحان ابتدعتهما السياسية لمآرب ومقاصد مقيتة ولذر التراب في العيون وستر الحقيقة، اذ ان نسبة الشيعة لعلي ﷺ الرجل الذي وضع مع سيده ومعلمه ﷺ اللبنة الأولى لبناء الاسلام، أو ان تنسب الشيعة لفاطمة والحسن والحسين هؤلاء الذي نشأوا وترعرعوا في كنف الرسالة والرسول وفي بيت الوحي

ومختلف الملائكة ومعدن العلم، فهذا شيء لا يروق المخالفين ولا يعجبهم بل يزعجهم ويهدمهم، والحال ان مذاهبهم تنسب إلى متأخرين لم يكونوا من التابعين، فأولهم أبو حنيفة وولادته في سنة ٨٠ للهجرة ومن بعده مالك والشافعي وأحمد بن حنبل.

فهؤلاء بعيدون عن رسول الله ﷺ زماناً ومكاناً ودمماً ولحماً، فرأوا ان يصطلحوا على شيعة أهل البيت (بالجعفرية) نسبة إلى الامام جعفر بن محمد الصادق عليه أفضل الصلاة والسلام، سادس أئمة أهل البيت، اذ انه كان معاصراً لأئمة المذاهب الأربعة، قليلاً أو تصغيراً لهذا الفارق الزمني والمعنوي الكبير، ودفعاً لما يثار من سؤال واستفهام حول ذلك، وهذا ما التفت إليه العلامة الحلي في مناظرة له مع علماء المذاهب الأربعة وكان سبباً لتشيع الملك وقتها. ولا توجد رواية معتبرة أو غير معتبرة تسمي الشيعة بالجعفرية، وما قيل ان الامام الصادق اتاحت له الفرصة في اظهار مذهب أهل البيت أكثر من غيره من الأئمة الاطهار عليهم السلام فهذا نسب المذهب إليه، لا ينكر ولكنه ليس بالوجه والرشد في خلافه، وعلى المؤمن ان يتعبد ويتأدب بما جاء عن طريقهم سلام الله عليهم في التسمية والاصطلاح حتى لا يقع في محذور شرعي، ومن المؤسف له ان كلمة (الجعفرية) إلى يومنا هذا على لسان العوام. وأما كلمة (السنة) أو (أهل السنة) فهي كسابقتها اصطلاح متأخر، ولا أدري أي سنة يقصدون التي منعوا من تدوينها أم التي احرقوها أم التي عاقبوا عليها؟! اللهم نعم ان كانوا يقصدون ما اشترطه عبد الرحمن بن عوف يوم الشورى على علي بن أبي طالب عليه السلام فرفضها فهذا اصطلاح صحيح.

ولنرجع إلى ظلال حديث الثقلين وروحه وريحانه وأنواره، هذا الحديث الذي طبقت واتفقت الامة الاسلامية على صحته، ومن يلقي أول نظرة على هذا الحديث يتبادر إلى ذهنه حصر المرجعية أو بعبارة أخرى مصادر التشريع في اثنين

وهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فمن زارد مصدراً ثالثاً أو تمسك بكتاب الله وحده فإنه لم يعمل بقول رسول الله ﷺ: (ما ان تمسكتم بهما) فكلمة (بهما) اثنان لا أكثر ولا أقل، فليس في الحديث اشارة من قريب أو بعيد إلى مصدر ثالث يحل ويحرم ويجتهد ويتأول بل العكس هو الصحيح، أي ان الحديث في تحذير شديد من اتباع غير الثقلين.

أجل ان موقف الصحابي من عمل أو قول يكون حجة اذا استند إلى امضاء أهل البيت وتصديقهم له، والصحابي جليل شريف عظيم اذا تمسك بالعترة الطاهرة وأخذ منهم وعنهم وركب في سفينتهم واستضاء بأنوارهم وإلا فلا. ثم ان الحديث يدل على بقاء الهادي والحجة من أهل البيت إلى يوم القيامة لقوله: (لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) والحال ان الصحابة هلكت وانتهت بانتهاء القرن الأول، فماذا تقولون وأين تذهبون؟ فلا مناص إلا بالرجوع إلى الأئمة الأثني عشر من أهل بيته رسول الله ﷺ.

وأزين كتابي هذا بذكر أسمائهم المباركة وهم:

١. علي بن أبي طالب (عليه السلام).
٢. الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام).
٣. الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام).
٤. علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام).
٥. محمد بن علي الباقر (عليه السلام).
٦. جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام).
٧. موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام).
٨. علي بن موسى الرضا (عليه السلام).
٩. محمد بن علي الجواد (عليه السلام).

١٠. علي بن محمد الهادي عليه السلام.

١١. الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

١٢. محمد بن الحسن المهدي المنتظر (عجل الله بظهوره).

والأحاديث فيهم عن رسول الله كثيرة، منها ما يذكرهم باسمائهم، ومنها ما يشير إلى صفاتهم، وفي صحاح القوم ذكروا ما يشير إلى عددهم، ففي صحيح مسلم ذكر بعدة طرق نذكر منها ما رواه بإسناده إلى جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي علي النبي عليه السلام فسمعتة يقول: ان هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة... الحديث^(١).

وفيه عن عامر بن سعد بن أبي الوقاص قال: كتب إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع: ان اخبرني بشيء سمعته من رسول الله عليه السلام قال: فكتب اليّ: سمعت رسول الله عليه السلام يوم جمعة عشية رُجم الأسلمي يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش^(٢).

وعلماء القوم إلى يومنا هذا في حيرة وأخذ ورد من تفسير هذا الحديث، فكل مذهب بل كل عالم فتش عن مصاديق تنسجم مع هواه، وانت أيها القارئ إذا أخرجت علياً وابنه الحسن فالعشرة الباكون فيهم الظالم والعاصي والباغي والفاجر والفاسق من أهل الخمر والغناء والرقص، يستحي الانسان ان يجعلهم في عداد المسلمين فكيف يجعلهم من أئمة الدين وقادة المؤمنين وقد فصلنا القول في كتابنا صديق السفر والحضر فلا نعيد.

()

()

فالدين والإسلام من العقائد والحلال والحرام وكل ما ينفع الناس في الدنيا والآخرة عند أهل البيت. والزبد الذي يذهب جفاء عند من خالفهم، وقد اعترف أئمة القوم من حيث يشعرون أو لا يشعرون ومن حيث يريدون أو لا يريدون ان الحق مع أهل البيت وانهم سفن النجاة وانهم جبل الله، فهذا الامام محمد بن ادريس الشافعي يقول في أبيات له :

ولما رأيتُ الناس قد ذهبَت بهم	مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبتُ على اسم الله في سفن النجا	وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكتُ جبل الله وهو ولاؤهم	كما قد أمرنا بالتمسك بالجبل
إذا افترقت في الدين سبعون فرقة	ونيفاً على ما جاء في واضح النقل
ولم يك ناج منهم غير فرقة	فقل لي بها يا ذا الرجاحة والعقل
أفي الفرقة الهلاك آل محمد	أم الفرقة اللاتي نجت منهم قل لي
فإن قلت في الناجين فالقول واحد	وإن قلت في الهلاك حفت عن العدل
إذا كان مولى القوم منهم فإنني	رضيتُ بهم لا زال في ظلهم ظلي
رضيتُ علياً لي إماماً ونسله	وأنت من الباقيين في أوسع الحل

فتأملها وانظر إلى ما قال وخذ الحق والحكمة التي هي ضالة المؤمن، وللحديث تمة تأتي عند كلامنا حول آية التطهير فلا تغفل.

:

:

الشرح :

منقبة وفضيلة هي قمة في الطاعة والتسليم، ورمز في الفداء والتضحية والصبر والصمود والايثار، ولا عجب في ذلك إذ أنها من نفس رسول الله وأخيه وابن عمه الذي نشأ في ظله ﷺ وتربيته وتعليمه.

روى الحاكم الحسكاني بعشرة طرق في تفسير قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) وأنها نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ إذ نام على فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة، ونحن نقتصر على الرواية الأولى بإسناده إلى أبي سعيد الخدري قال:

لما أُسري بالنبي ﷺ يريد الغار، بات علي بن أبي طالب على فراش رسول الله ﷺ فأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل: إني قد آخيت بينكما وجعلت عمرَ أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فكلاهما اختارها وأحبا الحياة فأوحى الله إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد ﷺ فبات علي فراشه يقيه بنفسه، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه.

فكان جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبرائيل ينادي بخ بخ من مثلك يابن أبي طالب، الله عز وجل يباهي بك الملائكة، فأنزل الله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ)^(١).

وقال سبط ابن الجوزي : ذكر أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس قال :
لما أراد رسول الله ﷺ إن يهاجر إلى المدينة خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء
ديونه ورد الودائع التي كانت عنده ، وأمره تلك الليلة أن ينام على فراشه ، وقال له
اتشح ببردي الحضرمي الأخضر فانه لا يخلص إليك منهم أحد ولا يصيبونك
بمكروه ، والقوم قد أحاطوا بالدار ، قال فأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل : إني قد
آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه
بالحياة ، فاختارا كلاهما الحياة ، فأوحى الله إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب
آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة. اهبطا إلى الأرض
فاحفظاه من عدوه ، فنزلا ؛ جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله والملائكة تنادي
بخ بخ من مثلك يا بن أبي طالب والله يباهي بك ملائكته ، ثم توجه رسول الله ﷺ
إلى المدينة فأنزل الله تعالى عليه في شأن علي ﷺ : (وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ
اِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ)^(١).

وقال ابن حجة الحموي الحنفي : ومن شهى المجتنى من ثمرات الأوراق ما نقله
أبو الحسن علي بن عبد المحسن التنوخي في المستجد : أن أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب (رضي الله عنه) لما بات على فراش النبي ﷺ... وذكر الحديث المتقدم بطوله^(٢).
وقال الحافظ الكنجي : ومن ذلك ما ذكره الثعلبي في تفسير قوله عز وجل (ومن
الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله)... وذكر الحديث المتقدم بطوله^(٣).

()

()

()

أقول: عند ما رجعت إلى تفسير الثعلبي بتحقيق بل بتحريف المسمى (سيد كسروي حسن) رأيت قد حرّف صدر الرواية وحذف من آخرها!! فأنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال الفخر الرازي في التفسير: الرواية الثالثة، أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..ثم ذكر الرواية المتقدمة باختصار^(١).

وروى الحاكم بإسناده إلى ابن عباس قال: شرى علي نفسه ولبس ثوب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم نام مكانه، وكان المشركون يرمون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألبسه بردة، وكانت قريش تريد أن تقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعلوا يرمون عليا ويرونه النبي....الحديث^(٢).

وروى بإسناده إلى علي بن الحسين قال: إن أول من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله علي بن أبي طالب، وقال علي عند مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

وقيت بنفسي خير من وطى الحصا ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول الله خاف أن يكرؤا به فنجاه ذو الطول الإله وفي ستر
وبات رسول الله في الغار آمنأ موقى وفي حفظ الإله وفي ستر
وبت أراعهم ولم يتهمونني وقد وطنت نفسي على القتل والأسر^(٣)

وفي مبيت علي عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الهجرة نزل قوله تعالى:
(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ

()

() /

() / :

/

وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) فقد روى الطبري في تفسيره بأربعة طرق منها ما عن ابن عباس قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فثبته بالوثاق يريدون النبي ﷺ وقال وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم: بل أخرجوه. فاطلع الله نبيه على ذلك، فبات علي عليه السلام على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليا يحسبون أنه النبي ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا عليا رحمة الله عليه، رد الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك. قال: لا أدري، فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل ومروا بالغار رأوا عليا بابه نسج العنكبوت، قالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج علي بابه، فمكث فيه ثلاثاً^(١).

قال السيوطي: في التفسير: أخرج عبد الرزاق واحمد وعبد بن حميد وابن النذر والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل والخطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ).

قال: تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم..... وذكر الحديث بطوله^(٢).

وروى ابن اسحاق وابن الجوزي والطبري عن محمد بن كعب القرظي، والكلام للطبري، قال: اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم علي بابه: ان محمداً يزعم انكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن و، وان لم تفعلوا كان لكم منه الذبح، ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها.

() /

() : . /

قال: وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنه من تراب، ثم قال: نعم، أنا أقول ذلك، أنت أحدهم. واخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من يس ﴿يس﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ إلى قوله: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) حتى فرغ رسول الله ﷺ من هذه الآيات، فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد ان يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمداً، قال: خبيكم الله قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائم عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي ﷺ عن الفراش، فقالوا: والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا. فكان مما أنزل الله من القرآن في ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا له: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) وقول الله عز وجل: { أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ } ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾^(١).

وروى أئمة الحديث وإعلام الجمهور عن عمرو بن ميمون قال: إني لجالس عند ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا ابن عباس إما إن تقوم معنا، وأما إن تخلو بنا من بين هؤلاء قال: فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح

() / / /

قبل أن يعمى ، قال : فابتدءوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا قال : فجاء ينفض ثوبه ويقول : أف وتف وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليس لأحد غيره ، وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ : « لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » فاستشرف له مستشرف فقال : (أين علي) فقالوا : انه في الرحي يطحن قال : وما كان أحدهم ليطحن قال : فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر ، قال : فنفث في عينيه ثم هز الراية ثلاث فأعطاها إياه ، فجاء علي بصفية بنت حبي قال ابن عباس : ثم بعث رسول الله ﷺ أبا بكر بسورة التوبة فبعث عليا خلفه فأخذها منه وقال : (لا يذهب بها إلا رجل هو مني وأنا منه) فقال ابن عباس : وقال النبي ﷺ لبني عمه (أيكم يواليني في الدنيا والآخرة)؟ وعلي جالس معهم فقال : أنا وأليك في الدنيا والآخرة ، فقال رسول الله ﷺ وأقبل على رجل من رجل منهم فقال (أيكم يواليني في الدنيا والآخرة) فأبوا فقال لعلي (أنت وليي في الدنيا والآخرة) فقال ابن عباس : وكان علي أول من آمن من الناس بعد خديجة رضوان الله عليها ، قال : وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين وقال : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) قال ابن عباس : وشرى علي نفسه فلبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه ، قال ابن عباس : وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم وأبو بكر يحسب أنه رسول الله ﷺ قال : فقال يا نبي الله ، فقال له علي : إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه قال : فانطق أبو بكر فدخل معه الغار قال : وجعل علي ﷺ يرمى الحجارة كما كان يرمى نبي الله ﷺ وهو يتضور؟ وقد لف رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح ! ثم كشف عن رأسه فقالوا : انك للثيم^(١) وكان صاحبك لا يتضور ونحن

()

نرميه وان تتصور وقد استنكرنا ذلك، فقال ابن عباس: وخرج رسول الله في غزوة تبوك وخرج بالناس معه قال فقال له علي: أخرج معك؟ قال فقال النبي: (لا) فبكى علي فقال له: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي، انه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي) قال ابن عباس: وقال له رسول الله ﷺ: (أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة) قال ابن عباس: وسد رسول الله ﷺ أبواب المسجد غير باب علي فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره، قال ابن عباس: وقال رسول الله ﷺ: (من كنت مولاه فإن مولاه علي) قال ابن عباس: وقد أخبرنا الله عز وجل في القرآن: أنه رضي عن أصحاب

()

!

/!

()

()

!

()

():

()

)

(

():

الشجرة فعلم ما في قلوبهم ، فهل أخبرنا أنه سخط عليهم بعد ذلك؟ قال ابن عباس وقال نبي الله ﷺ لعمر حين قال : أئذن لي فاضرب عنقه قال : (وكنت فاعلا وما يدريك لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم!)^(١)

قال الحافظ الكنجي وهو يذكر الكتب والمصادر التي أخرجت حديث مبيت علي ﷺ على فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة :

رواه ابن سبع في شفاء الصدور في بيان شجاعة علي ﷺ قال : علماء العرب (الحرب) أجمعوا على إن نوم علي ﷺ على فراش رسول الله ﷺ أفضل من خروجه معه ، وذلك انه وطن نفسه على مفادته لرسول الله ﷺ وآثر حياته وظهر شجاعته بين أقرانه^(٢).

قال أبو جعفر الاسكافي : وقد كان لعلي ﷺ إن يعتل بعله ، وان يقف ويقول : يا رسول الله ، أكون معك أحميك من العدو ، وأذب بسيفي عنك ، فليست مستغنياً في خروجك عن مثلي ، ونجعل عبداً من عبيدنا في فراشك قائماً مقامك ، يتوهم القوم برؤيته نائماً في بردك إنك لم تخرج ، و لم تفارق مركزك فلم يقل ذلك ، ولا تحبس ولا توقف ولا تلعثم ، وذلك لعلم كل واحد منهما أن احدا لا يبصر على ثقل هذه المحنة ولا يتورط هذه المهلكة ، إلا من خصه الله تعالى بالصبر على مشقتها والفوز بفضيلتها ، وله من جنس ذلك أفعال كثيرة^(٣).

أجل انه من بيت تواصلوا على نصره أحمد ﷺ وموازرتة وبذل الغالي والنفيس ومكابدة المعاناة والمحن من أجله ، شغفوا بحب رسول الله ﷺ وبما جاء به يجودون

() / :

()

()

بمجههم دونه، قد تركوا لذيق العيش وسهر عيونهم من أجل عين المصطفى ﷺ ولا سيما علي بن أبي طالب (عليه السلام) فلم تكن ليلة المبيت عنده هي المرة الأولى وان كانت هي القمة في التضحية والفداء بل سبقتها ليال وليال.

قال ابن أبي الحديد: قرأت في (أمالي أبي جعفر محمد بن حبيب) قال: كان أبو طالب إذا رأى رسول الله ﷺ أحياناً يبكي ويقول: إذا رأيته ذكرت أخي، وكان عبد الله أخاه لأبويه وكان شديد الحب والحنو عليه، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحب له، وكان أبو طالب (عليه السلام) كثيراً ما يخاف على رسول الله ﷺ البيات إذا عرف مضجعة، يقيمه ليلاً من منامه، ويضع ابنه علياً مكانه، فقال له علي ليلة: يا أبة إنني مقتول فقال له:

اصبرن يا بني فالصبر أحجى	كل حي مصيره لشعوب
قدّر الله والبلاء شديد	لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الأغر ذي الحسب الثا	قب والباع والكريم النجيب
إن تصبك المنون فالنبل تبرى	فمصيب منه وغير مصيب
كل حي وان تملى بعمر	أخذ من مذاقها بنصيب

فجابه علي (عليه السلام) فقال له:

أتأمرني بالصبر في نصر احمد	و الله ما قلت الذي قلت جازعا
ولكنني أحببت أن ترى نصرتي	وتعلم أنني لم أزل لك طائعا
سأسعى لوجه الله قي نصر احمد	نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعاً ^(١)

: :

الشرح

منقبة خالدة كتبها علي بن أبي طالب عليه السلام بسيفه ذي الفقار، وفضيلة أدهشت وأرعبت المنافقين والكفار، طاعة وعبادة تقصر عندها أعمال المؤمنين، إذ أنه صدرت من قائد الغر المحجلين ومولى المتقين، وضرية أرسيت وأسست قواعد الإيمان، وبنيت وشيدت الدعائم والأركان، وفلت وشتت حركة الكفر والطغيان يوم من أيام الله المصيرية الفاصلة، هم بعضهم يومئذ بالقرار كما قال سبحانه وتعالى عنهم: (يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِذ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا)، في يوم بلغت فيه القلوب الحناجر من الهلع والخوف كما قال سبحانه وتعالى: (إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ❖ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ❖ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا).

في يوم خنس أولئك النفر ولم نسمع قولهم في الرخاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم (دعني أضرب عنقه) لكن ابن أبي طالب عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخاه وابن عمه أجاب النبي صلى الله عليه وسلم في كل مرة فلم يؤذن له صلى الله عليه وسلم في بادئ الأمر وذلك لإظهار مكاتته ومنزلته منه لا خوفاً وإشفاقاً عليه بل تعريفاً وتنويهاً بوصيه وولي الأمر من بعده وأنه أهل للقيام بكل أمر ثقيل كما هو ديدن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علي عليه السلام منذ بداية دعوته إلى بلوغ أجله في اغتنام كل حدث وفرصة سنحت.

ومهما كتبنا ووصفنا فضربه علي عليه السلام يوم الخندق وموقفه أكبر من إن يوصف
وكما قال الشاعر:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

فما علينا إلا أن نذكرها من مصادر القوم وعلى العاقل أن يتأملها ويتدبرها
لكي يعرف وجه الاحتجاج بها

قال السهيلي: قال ابن إسحاق: إن عمرو بن ود خرج فنأدى: هل من مبارز؟
فقام علي رضي الله عنه وهو مقنع بالحديد فقال: أنا له يا نبي الله، فقال عليه السلام: أنه عمرو
اجلس، ونأدى عمرو ألا رجل يؤنبهم ويقول: اين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل
منكم دخلها أفلا تبرزون لي رجلا، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله، فقال عليه السلام:
أجلس إنه عمرو ثم نادى الثالثة وقال:

ولقد بـجـحـت مـن النـداء بـجـمـعـكـم هـل مـن مـبارـز؟
ووقفت إذ جبن المشجع موقف القرن المناجز
وكذلك إنني لم أزل متسرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقام علي فقال: يا رسول الله أنا له فقال عليه السلام: إنه عمرو فقال: وإن كان
عمرا، فأذن له النبي عليه السلام فمشى إليه علي حتى أتاه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز
إنني لأرجو أن أقميم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يلقى ذكرها عند الهزاهز

فقال عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا ابن أبي طالب، فقال: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك^(١)؟ فإني أكره أهريق دمك، فقال له علي (رضي الله عنه): ولكنني والله لا أكره إن أهريق دمك فغضب ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضبا، وذكر أنه كان على فرسه فقال له علي: كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن أنزل معي، فنزل عن فرسه، ثم أقبل نحو علي، واستقبله علي (رضي الله عنه) بدرقته فضربه عمرو فيها فقلدها وأثبت فيها السيف، واصاب رأسه فشجه، وضربه علي على حبل العاتق فسقط، وثار العجاج، وسمع النبي ﷺ التكبير فعرف أن علياً قد قتله، فثم يقول علي (رضي الله عنه):

أعليّ تقتم الفوارس هكذا	عني وعنه أخروا أصحابي
فاليوم تمنعني الفرار حفيظتي	ومصمم في الرأس ليس بنابي
أدى عمير حين أخلص صقله	صافي الحديدة يستفيض ثوابي
فغدوت التمس القراع بمرهف	عضب مع البتراء في أقراب
قال ابن عبد حين شد ألية	وحلفت فاستمعوا من الكذاب
ألا يفروا ولا يهلل فالتقى	رجلان يلتقيان كل ضراب

وبعده نصر الحجارة من سفاهة رأيه إلى آخر الأبيات^(٢).

() () () ()
 ()
 ()
 ()

قال ابن اسحاق: فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون، و عدوهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال إلا إن الفوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس أخو ابني عامر بن لؤي، ومكرمة بن أبي جهل، وهيبيرة بن أبي وهب المخزوميان، وضرار بن الخطاب الشاعر ابن مرداس أخو بني محارب بن فهر، تلبسوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم، وحتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيئوا يا بني كنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان اليوم ثم أقبلوا تُعَنِقُ بهم خيلهم، حتى وقفوا على خندق، فلما رأوه قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيلهم فافتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق و سلع، وخرج علي بن أبي طالب ﷺ في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، وا قبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم خندق خرج معلما ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله، قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمر إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك قال له علي: فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لم يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، فقال له علي: ولكني والله أحب إن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فافتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي، فتنازلا وتجاولا، فقتله

/

/

. /

/

علي (رضي الله عنه) وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة. وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت رب محمد بصوابي
فصدت حين تركته متجدلاً كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني كنت المقطر بزني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ونييه يا معشر الأحزاب^(١)

روى الحكم النيسابوري عن ابن اسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال لما قتل علي بن أبي طالب عليه السلام عمرو بن عبد ود ، أنشأت أخته عمرة بنت عبد ود ترثيه فقالت :

لو كان قاتل عمر غير قاتله بكيته ما أقام الروح في جسدي
لكن قاتله من لا يعاب به وكان يدعى قديماً بيضة البلد^(٢)

وروى عن يحيى بن آدم أنه كان يقول : ما شبهت قتل علي عمرو إلا بقول الله عز وجل (فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت)^(٣).

() / / :

() /

() /

وروى بإسناده الى بهز بن حكيم، عن ابيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: لمبارزة علي بن أبي طالب لعمر بن عبد ود يوم الخندق أفضل من اعمال أمتي الى يوم القيامة^(١).

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: افضل عمل أمتي الى يوم القيامة^(٢).
وفي مناقب الخوارزمي^(٣)، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني^(٤)، أفضل من عمل أمتي الى يوم القيامة.

قال ابن ابي الحديد: فاما الخرجة التي خرجها يوم الخندق الى عمرو بن عبد ود فإنها أجل من أن يقال جليظة، واعظم من أن يقال عظيمة، وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل وقد سأله سائل أيما أعظم منزلة عند الله، علي أم أبو بكر؟ فقال: يا بن أخي، والله لمبارزة علي عمراً يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والانصار وطاعتهم كلها وتربى عليها فضلاً عن ابي بكر وحده. وقد روي عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا بل ما هو أبغ منه، فقد روى قيس بن الربيع عن ابي هارون العبدي عن ربيعة بن مالك السعدي، قال: أتيت حذيفة بن اليمان قلت: يا ابا عبد الله، إن الناس يتحدثون عن علي بن أبي طالب ومناقبه، فيقول لهم أهل البصرة: إنكم لتفرطون في تقيظ هذا الرجل، فهل أنت محدثي بحديث عنه أذكره للناس؟ فقال: يا ربيعة، وما الذي تسألني عن علي وما الذي أحدثك عنه! والذي نفس حذيفة بيده لو وضع جميع أعمال أمة محمد ﷺ في كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمدا الى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال علي في الكفة الأخرى

() / .

() / .

() .

() / .

لرجح على اعمالهم كلها، فقال ربيعة: هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل إني لأظنه إسرافاً يا ابا عبد الله! فقال حذيفة: يا لكع وكيف لا يحمل! وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر اليهم عمرو واصحابه فملكهم الهلع والجزع، ودعا الى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز اليه علي فقتله! والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم اعظم أجرا من اعمال أمة محمد ﷺ الى هذا اليوم والى إن تقوم القيامة^(١).

قال: وجاء في الحديث المرفوع: أن رسول الله ﷺ قال ذلك اليوم حين برز إليه: (برز الايمان كله الى الشرك كله)^(٢).

قال والكلام لابن أبي الحديد: قال أبو بكر بن عياش: لقد ضرب علي بن أبي طالب ﷺ ضربة ما كان في الاسلام ايمن منها ضربته عمراً يوم الخندق، ولقد ضرب علي ضربة ما كان في الاسلام أشأم منها - يعني ضربة ابن ملجم لعنه الله^(٣).

قال: وقال: جابر بن عبد الله الانصار: والله ما شبهت يوم الاحزاب، قتل علي عمراً وتحاذل المشركين بعده، إلا بما قصه الله تعالى من قصة طالوت وجالوت في قوله (فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت)^(٤).

قال الفخر الرازي في تفسيره ليلة القدر وبيان فضلها: المسألة الثانية، هذه الآية فيها بشارة عظيمة وفيها تهديد عظيم، اما البشارة فهي أنه تعالى ذكر إن هذه الليلة خير، ولم يبين قدر الخير، وهذا كقوله ﷺ لمبارزة علي ﷺ مع عمرو بن عبد ود

() / .

() / : ﷺ

() : ﷺ (.

() / .

()

العامري (أفضل من عمل أمتي الى يوم القيامة) فلم يقل مثل عمله بل قال أفضل
كانه يقول حسبك هذا من الوزن والباقي جزاف^(١).

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن
ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه كان يقرأ هذا الحرف (وكفى الله المؤمنين القتال) بعلي بن
أبي طالب^(٢).

وروى ابن عساكر بإسناده الى انس بن مالك قال: قال النبي ﷺ لما عرج بي
رايت على ساق العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيده بعلي، نصرته
بعلي^(٣).

وروى ابن المغازلي بإسناده الى ابي الحمراء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
لما أسري بي الى السماء رأيت على ساق العرش الايمن أنا وحدي لا إله غيري،
غرست جنة عدن بيدي، محمد صفوتي أيده بعلي^(٤).

وجاء في حوار بين ابن عباس وعمر بن الخطاب ذكره اليعقوبي في تاريخه في سيرة
عمر قال عمر في رده على ابن عباس: هو والله كما ذكرت ولو وليهم يحملهم على
منهج الطريق فاخذ المحجة الواضحة، إلا إن فيه خصالا، الدعابة في المجلس،
واستبداد الرأي، والتبكيك للناس مع حداثة السن! قال قلت: يا أمير المؤمنين هلا
استحدثتم سنه يوم الخندق اذ خرج عمرو بن عبدود وقد كعم عنه الابطال
وتأخرت عنه الاشياخ؟ ويوم بدر اذ كان يقط الاقران قطا؟! وهلا سبقتموه
بالاسلام..الى آخرها.

()

()

()

()

ومما يناسب المقام أن نذكر الى جانب بطولته وشجاعته مظلوميته وصبره لنعرف حجم الابتلاء والمحنة التي يمر بها عباد الله المخلصين ، فلنستمع إليه وهو يشكو الى الله والى رسوله والى المؤمنين ما حل ونزل بالإسلام ، وحرى بالانسان إن يتأملها حرفا حرفا ويعيد قرائتها كراراً ومراراً لأنها الصورة الواضحة عن نفوس القوم ونواياهم :

قال له قائل : يا أمير المؤمنين ، أرأيت لو كان رسول الله ﷺ ترك ولدًا ذكراً قد بلغ الحلم ، وأنس منه الرشد ، أكانت العرب تسلم إليه أمرها؟ قال : لا ، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلتُ ، إن العرب كرهت أمر محمد ﷺ وحسدته على ما آتاه الله من فضله ، واستطالت أيامه حتى قذفت زوجته^(١) ونفرت به ناقته ، مع عظيم إحسانه إليها وجسيم مننه عندها ، وأجمعت مذ كان حيا على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته ، ولولا قريشا جعلت اسمه ذريعة الى الرياسة ، وسلّمنا الى العز والامرة ، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً ، ولارتدت في حافرتها ، وعاد قارحُها جذعاً ، وبازلها بكراً ، ثم فتح الله عليها الفتوح ، فأثرت بعد الفاقة ، تمولت بعد الجهد والمخمصة ، فحسنَ في عيونها من الاسلام ما كان سَمِجاً ، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً ، وقالت : لولا أنه حق لما كان كذا ، ثم نسبت تلك الفتوح الى آراء ولاتها ، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها ، فتأكد عند الناس

()

)

(

نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبث ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والاحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف. وما عسى أن يكون الولد لو كان، إن رسول الله ﷺ لم يقربني بما تعلموه من القرب للنسب واللحمة، بل للجهاد والنصيحة، أفترأه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت؟! وكذلك لم يكن يقرب ما قربت، ثم لم يكن عند قريش والعرب سبباً للحظوة والمنزلة، بل للحرمان والجفوة، اللهم إنك تعلم أنني لم أرد الإمرة، ولا علو الملك ﷺ والرياسة، وإنما أردت القيام، بحدودك، والأداء لشرعك، ووضع الأمور في مواضعها، وتوفير الحقوق على أهلها، والمضي على منهاج نبيك وإرشاد الضال الى أنوار هدايتك^(١).

وقال سلام الله عليه: كنت في أيام رسول الله ﷺ وآله كجزء من رسول الله ﷺ، ينظر إليّ الناس كما ينظر إلى الكواكب في أفق السماء، ثم غض الدهر مني فقرن بي فلان وفلان ثم قرنت بخمسة أمثلهم عثمان، فقلت وا ذفراه^(٢)، ثم لم يرض الدهر لي بذلك حتى أردلني فجعلني نظيراً لابن هند وابن النابغة! لقد استنتت الفصال حتى القرعى^(٣).

وقال ﷺ: كل حقد حقدته قريش على رسول الله ﷺ أظهرته فيّ وستظهره في ولدي من بعدي، مالي ولقريش! إنما وترتهم بأمر الله وأمر رسوله، أفهذا جزاء من أطاع الله ورسوله إن كانوا مسلمين^(٤).

() / .

() :

() / .

() / .

وقال عليه آلاف التحية والسلام: اللهم إني أستعديك على قريش، فإنهم
أضمرُوا لرسولك ﷺ ضروباً من الشر والغدر، فعجزوا عنها، وحلت بينهم
وبينها، فكانت الوجبة بي والدائرة عليّ، اللهم أحفظ حسناً وحسيناً ولا تمكن
فجرة قريش منهما مادمت حياً، فإذا توفيتني فأنت الرقيب عليهم، وأنت على كل
شيء شهيد^(١).

:
: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)

الشرح:

من الواضح والمعالم بل من ضروريات الدين أن رسول الله ﷺ هو المبين والشارح والمفسر لكتاب الله المنزل عليه، وله بيان ما هو المراد من الوحي أو القرآن، ومن أنكر ذلك فقد كفر، والآيات في ذلك كثيرة جداً منها (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) وقوله (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) وقوله (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) ويجب على العباد الآخذ بتلك البيانات والشروح، ومن أبى وأغمض عينية وعبد ما نحت يديه من اجتهاد واستحسان وتأويل وتسويل فقد رد على الله ورسوله.

وآية التطهير التي نحن في صدها فيها بيان كاف شاف وشرح وتوضيح واف من قبل رسول الله ﷺ قبل نزول الآية وحينها وبعدها كما سنعرف على أن المراد والمقصود من أهل البيت هم: علي وفاطمة والحسن والحسين، وهذه البيانات أو النصوص اطبقت الأمة الإسلامية على نقلها عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ وبعض أزواجه أمهات المؤمنين، ولنبدأ أولاً برواية:

١. أم المؤمنين أم سلمة (رضوان الله عليها):

ففي مستدرك الحاكم بإسناده عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت هذه الآية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين فقال (اللهم هؤلاء أهل بيتي)

قالت أم سلمة: يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال: إنك على خير، وهؤلاء أهل بيتي، اللهم أهلي أحق.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه^(١). وفيه بطريق آخر عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) قالت: فارسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: (هؤلاء أهل بيتي) قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه^(٢).

وروى أحمد بن حنبل في المسند في فضائل الصحابة بإسناده عن عطاء بن أبي رباح قال: حدثني من سمع أم سلمة تذكر: إن النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة (حريرة) فدخلت بها عليه: فقال لها: ادعي لي زوجك وابنيك، قالت: فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خيبري، قالت: وأنا أصلي في الحجرة فأنزل الله عز وجل هذه الآية: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي (حامتي) فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: إنك إلى خير، إنك إلى خير.

قال عبد الملك: وحدثني بها أبو ليلى عن أم سلمة مثل حديث عطاء سواء.

() / .

() / .

قال عبد الملك: وحدثني داوود ابن أبي عوف الحجاف، عن شهر بن حوشب عن أم سلمة بمثله سواء^(١). إنتهى كلام أحمد في المسند والفضائل.

وفيهما أيضا روى بسنده عن شهر بن حوشب عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: أتتيني بزوجك وبنيك، فجاءت بهم، فألقى عليهم كساء فدكيا، قالت: ثم وضع يده عليهم ثم قال: الله أنه هؤلاء آل محمد فأجعل صلواتك وبركاتك على محمد وآل محمد إنك حميد مجيد، قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: إنك على خير^(٢).

وروى في المسند عن عطية الطفاوي عن أبيه عن أم سلمة حدثته قالت: بينما رسول الله ﷺ في بيتي يوماً إذ قالت الخادم: إن علياً وفاطمة بالسدة، قالت: فقال لي: قومي فتنحي لي عن أهل بيتي، قالت: فقممت فتنحيت في البيت قريباً فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران، فأخذ الصبيين فوضهما في حجره فقبلهما، قال: واعتنق علياً باحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى فقبل فاطمة وعلياً فأغدف عليهم خميصة سوداء فقال: اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي، قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله؟ فقال: وأنت^(٣).

أقول لا يخفى أن أم سلمة من أهله باعتبار الزوجية أو قل بمعنى العام أو المصطلح العام أما بالمصطلح الخاص أو المعنى الخاص الذي نصت عليه آية التطهير فليست داخلة في أهل بيته وذلك واضح لمن تأمل الرواية حيث أنها خارجة من تحت

() / /

:

() / /

() /

الكساء وتنحيت جانباً، هذا على فرض ثبوت هذه الزيادة فأكثر الروايات خاليه منها بل تنفيها وتخص فاطمة وأباها وبعلمها وابنيها

وفيه بسنده عن شهر بن حوشب قال: سمعت أم سلمة زوج النبي ﷺ حين جاء نعي الحسين بن علي لعنت أهل العراق فقالت: قتلوه لعنهم الله غروه وخذلوه لعنهم الله فإني رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت فيها عصيدة تحمله في طبق لها حتى وضعتها بين يديه فقال لها: أين ابن عمك؟ قالت هو في البيت، قال: فاذهبي فادعيه واتني بابنيه، قالت: فجاءت تقود ابنها كل واحد منهما بيد وعلي يمشي في أثرهما حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما في حجره وجلس علي عن يمينه وجلست فاطمة عن يساره، قالت أم سلمة: فاجتبد من تحتي كساء خبيراً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة فلفه النبي ﷺ جميعاً فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل قال: اللهم أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قلت: يا رسول الله ألسنت من أهلك؟ قال: بلى، فادخلي في الكساء، قالت: فدخلت في الكساء بعدما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة رضي الله عنهم^(١).

أقول: قول أم سلمة (رضوان الله عليها) فدخلت الكساء بعدما قضى.. إلى آخره دليل على ما قلنا أنفا انها من أهله لأنها زوجه لا أنها من اصحاب الكساء والدعاء الذي دعا به رسول الله ﷺ لأهل بيته وخاصته.

وفي المسند ايضاً عن شهر بن حوشب عن ام سلمة: إن النبي ﷺ جليل على علي وحسن وحسين وفاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي،

اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقالت أم سلمة: يا رسول الله أنا منهم؟ قال: إنك على خير^(١).

وفي الذرية الطاهرة للدولابي بإسناده الى حوشب عن أم سلمة قالت: إن نبي الله ﷺ أخذ ثوباً فجعله فاطمة وعلياً والحسن والحسين وهو معهم ثم قرأ هذه الآية: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)^(٢).

وفي تفسير الطبري بإسناده الى ابي سعيد الخدري عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فجلل عليهم كساء خيبراً، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالت أم سلمة: ألسنت منهم؟ قال: أنت الى خير^(٣).

وفيه عن ابي هريرة عن أم سلمة قالت: جاءت فاطمة الى رسول الله ﷺ ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق، فوضعتها بين يديه، فقال: اين ابن عمك وابناك، فقالت: في البيت فقال ادعيهم فجاءت الى علي فقالت: أجب النبي ﷺ انت وابناك، فقالت أم سلمة: فلما رأهم مقبلين مديده الى كساء كان على المنامة فمده وبسطه وأجلسهم عليه، ثم أخذ باطراف الكساء الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم وأوماً بيده اليمنى الى ربه فقال: هؤلاء أهل بيتي، فاذهب عنهم لرجس وطهرهم تطهيراً^(٤).

() / .

()

()

()

وفيه بسند آخر عن ابي سعيد عن أم سلمة زوج النبي ﷺ : أن هذه الآية نزلت في بيتها (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) قالت : وأنا جالسة على باب البيت فقلت : أنا يا رسول الله أأست من أهل البيت؟ قال : إنك على خير، أنت من ازواج النبي، قالت : وفي البيت رسول الله ﷺ وعلي فاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم^(١).

وفيه بسنده الى عبد الله بن وهب بن زمعة قال : أخبرتني أم سلمة أن رسول الله ﷺ جمع علياً والحسين، ثم أدخلهم تحت ثوبه، ثم جأ الى الله، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي، فقالت أم سلمة : يا رسول الله أدخلني معهم؟ قال : إنك من أهلي^(٢).

وفيه عن حكيم بن سعد قال : ذكرنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) هند أم سلمة، قالت : فيه نزلت : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) قالت أم سلمة : جاء النبي ﷺ الى بيتي، فقال : لا تاذني لأحد، فجات فاطمة فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن لم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه، وجاء الحسين لم أستطع أن أحجبه، فأجتمعوا حول النبي ﷺ على بساط، فجللهم نبي الله بكساء كان عليه، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط، قالت : قلت : يا رسول الله وأنا؟ قالت : فوالله ما انعم، وقال : أنك الى خير^(٣).

()

()

()

أقول: لا يخفى على القاريء أن ابن سعد قد سأل أم سلمة عن علي (عليه السلام) فأجابته كذلك عنه حيث قالت: فيه نزلت (إنما يريد الله...) ولكن لم يذكر أسم علي أثناء الرواية فما قصد لم يقع! فهل هذا خطأ مطبعي؟ أم سقط في النسخ؟ أم غير ذلك فلاحظ وتأمل قول أم سلمة: فوالله ما أنعم أي لم يقل لي نعم.

وروى ابن المغازلي الشافعي عن حكيم بن سعد، عن أم سلمة قالت: نزلت هذه الآية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) في رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) ^(١).

وفيه يسنده عن بن حوشب قال: سمعت أم سلمة تقول: بينما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جالساً عندي فأرسل الى الحسن والحسين وفاطمة وعلي (عليهم السلام) قال: فانتزع كساء تحتي فألقاه عليه وعليهم وقال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، مراراً، قالت: قلت وأنا معهم؟ قال: إنك على خير أو الى خير ^(٢).

وفيه بسنده الى يعقوب بن حميد، عن أنس بن عياض الليثي، عن شريك بن عبد الله بن ابي نمر، عن عطاء بن يسار قال: نزلت في بيت أم سلمة (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ...) الآية فأخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) ثوبا ودعا فاطمة وعلياً والحسن والحسين عليهم السلام فجعله عليهم وقال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ...) الآية فقالت أم سلمة من جانب البيت: أأست من أهل البيت يا رسول الله؟ قال: بلى إن شاء الله. قال يعقوب بن حميد: وفي ذلك يقول الشاعر:

بأبي خمسة هم جنبوا الرجس كراماً وطهراً وتطهراً
أحمد المصطفى وفاطم أعني وعلياً وشبراً وشبيراً

()

()

من تولاهم تولاه ذو العرش ولقاهم نصره وسرورا
وعلى مبغضهم لعنة الله واصلاه المليك سعيراً^(١)

وقال: السيوطي في الدر المنثور: واخرج ابن مردويه عن أم سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) وفي البيت سبعة: جبريل، وميكائيل عليهما السلام، وعلي، وفاطمة، الحسن، والحسين، رضي الله عنهم، وأنا على باب البيت، قلت: يا رسول الله ألسنت من أهل البيت؟ قال: إنك على خير، إنك من أزواج النبي^(٢).

وقال فيه أيضاً: واخرج الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن أم سلمة رضي الله عنهما قالت: في بيتي نزلت (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) وفي البيت فاطمة، وعلي، والحسن، والحسين، فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(٣).

٢. رواية أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر:

ففي صحيح مسلم بإسناده عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحّل، ومن شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فادخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي

()

()

()

فأدخله ، ثم قال : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)^(١).

وفي الدر المنثور قال : واخرج ابن ابي شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم وعن عائشة قالت : خرج...الحديث.

وفي المحاسن والمساوي للبيهقي : قيل وسئلت عائشة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت : وما عسيت أن أقول فيه وهو أحب الناس إلى رسول الله ﷺ لقد رأيت رسول الله ﷺ قد جمع شملته على علي وفاطمة والحسن والحسين وقال : هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنه الرجس وطهرهم تطهيراً ، قيل لها : فكيف سرت إليه؟ قلت : أنا نادمة! وكان ذلك قدراً مقدوراً^(٢).

٣. رواية واثلة بن الاسقع :

قال الحاكم في المستدرک حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا العباس بن الوليد بن مزید ، أخبرني أبي قال : سمعت الاوزاعي يقول : حدثني أبو عمار قال : حدثني واثلة بن الأسقع قال : جئت أريد علياً ﷺ فلم أجده ، فقالت فاطمة & انطلق إلى رسول الله ﷺ يدعو فاجلس ، فجاء مع رسول الله ﷺ فدخل ودخلت معهما ، قال : فدعا رسول الله ﷺ حسناً وحسيناً فأجلس كل واحد منهما على فخذه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ، ثم لف عليهم ثوبه وانا شاهد فقال : (إِنَّمَا

() /

() :

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) اللهم هؤلاء أهل بيتي. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم لم يخرجاه^(١).

ورواه بطريق آخر عن الاوزاعي قال: حدثني ابو عمار، حدثني وائلة بن الاسقع قال: أتيتُ علياً فلم اجده فقالت لي فاطمة: انطلق الى رسول الله ﷺ يدعوه فجاء مع رسول الله ﷺ فدخلوا ودخلتُ معهما، فدعا رسول الله ﷺ الحسن والحسين فأقعد كل واحد منهما على فخذي، وادنى فاطمة من حجره وزوجها، ثم لف عليهم ثوباً وقال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أهل بيتي أحق. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(٢).

أقول: مراد وائلة في الروایتين بقوله: ودخلتُ معهما أي البيت لا تحت الكساء وهو واضح لم تأمل قوله: ولف عليهم ثوبه، ولم يقل علينا، وقوله: أنا شاهد أي حاضر ناظر أشاهد واسمع فعل النبي ﷺ وقوله.

روى أحمد بن حنبل في المسند وفضائل الصحابة بسنده عن محمد بن مصعب قال: حدثنا الاوزاعي عن شداد ابي عمار قال: دخلت على وائلة بن الأسقع، وعنده قوم فذكروا علياً فشموه فشمته معهم، فلما قاموا قال لي: لم شتمت هذا الرجل؟ قلت: رأيت القوم شتموه فشمته معهم، فقال الا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ؟ قلت بلى فقال: أتيت فاطمة أسألها عن علي فقالت: توجه الى رسول الله ﷺ فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه علي وحسن وحسين آخذاً كل واحد منهما بيده، حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه،

/ ()

/ ()

وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد على فخذ، ثم لف عليهم ثوبه أو قال: كساء - ثم تلا هذه الآية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي أحق^(١).

وقال السيوطي في الدر المنثور: واخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن واثلة بن الأسقع (رضي الله عنه) قال: جاء رسول الله ﷺ إلى فاطمة ومعه حسن وحسين وعلي حتى دخل، فادنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه، واجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذ، ثم لف عليهم ثوبه وأنا مستدبرهم، ثم تلا هذه الآية إنما يريد الله ليذهب.... الآية^(٢).

٤. رواية سعد بن أبي وقاص:

روى الحاكم أبو عبد الله بسنده عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية (نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ) دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً (رضي الله عنهم) فقال: اللهم هؤلاء أهلي. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(٣).

وعنه بسند آخر عن عامر بن سعد عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية (ندع أبناءنا وابناءكم) دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهل

() / /

/ / ()

: / ()

بيتي. قال الحاكم: اتفق الشيخان على صحة هذا الاسناد واحتجابه ولم يخرجاه،
وانما خرجا بهذا الاسناد قصة أبي تراب^(١).

وفي تفسير الطبري عن عامر بن سعد قال: قال سعد: قال رسول الله ﷺ حين
نزل عليه الوحي، فأخذ عليا وابنيه وفاطمة وأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: رب هؤلاء
أهلي وأهل بيتي^(٢).

وقال في الدار المنثور: واخرج ابن جرير والحاكم وابن مردويه عن سعد... وذكر
الحديث.

٥. رواية أنس بن مالك:

روى أحمد في المسند عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ كان يمر بيت فاطمة ستة
أشهر إذا خرج الى الفجر فيقول: الصلاة يا أهل البيت (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)^(٣).

وعنه في فضائل الصحابة بسنده آخر عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان
يأتي بيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج الى صلاة الفجر يقول: يا أهل البيت الصلاة
الصلاة يا أهل البيت (إنما يريد الله ليذهب.....) الآية^(٤).

واورده الحاكم في المستدرک وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم
يخرجاه^(٥).

() / .

()

() / .

()

() / .

()

وقال السيوطي في الدر المنثور: واخرج ابن ابي شيبة وأحمد الترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله الحديث. وفي تفسير الطبري عن أنس: أن النبي ﷺ كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج الى الصلاة فيقول الحديث وهذا يعني مطلق الصلاة اليومية.

٦. رواية عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما):

روى الحاكم بسنده عن اسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب، عن أبيه قال: لما نظر رسول الله الى الرحمة هابطة قال: ادعوا لي ادعوا لي، فقالت صفية: من يا رسول الله؟ قال: أهل بيتي عليا وفاطمة والحسن والحسين، فجيء بهم، فألقى عليهم النبي ﷺ كساءه ثم رفع يديه ثم قال: اللهم هؤلاء آلي فصل على محمد وعلى آل محمد، وأنزل الله عز وجل: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ...) الآية. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه^(١).

٧. رواية ابن عباس (رضي الله عنهما):

ففي الرواية المعروفة الصحيحة عن ابن عباس التي ذكر فيها عشرة خصال لأمر المؤمنين جاء فيها: وأخذ رسول الله ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ...) الآية^(٢).

() /

() / /

قال السيوطي: أخرج الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وابو نعيم والبيهقي معا في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: أن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً، فذلك قوله: (وأصحاب اليمين) (وأصحاب الشمال) فأنا من أصحاب اليمين وأنا من خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً، فذلك قوله: (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ❖ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ❖ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) فأنا من السابقين وأنا خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل، فجعلني في خيرها قبيلة، وذلك قوله (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) وأنا أتقى ولد آدم واکرمهم على الله تعالى ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا، فذلك قوله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) فانا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب^(١).

وقال السيوطي أيضاً: واخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدنا رسول الله ﷺ تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند وقت كل صلاة فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) الصلاة رحمكم الله، كل يوم خمس مرات.

٨. رواية أبي سعيد الخدري:

روى الطبري في التفسير بسنده عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: رسول الله ﷺ نزلت هذه الآية في خمسة: في، وفي علي رضي الله عنه، وفي حسن رضي

الله عنه ، وحسين رض الله عنه ، وفاطمة رضي الله عنها ، (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ... (الآية^(١)).

وروى الفقيه ابن المغازلي الشافعي بسنده عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري قال : نزلت هذه الآية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ... (الآية في نبي الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين ، قال : فجللهم رسول الله ﷺ بكساء وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، قال : وأم سلمة على باب البيت فقالت : يا رسول الله وأنا؟ قال : إنك لبخير أو على خير^(٢).

وروى الخوارزمي الحنفي بسنده عن عطية ، عن ابي سعيد الخدري : أن رسول الله ﷺ جاء الى باب علي ﷺ أربعين صباحا بعد ما دخل على فاطمة عليها السلام ، فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمكم الله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) الآية^(٣).

قال : وعن أبي سعد الخدري إنه قال : لما نزل قوله تعالى : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) كان رسول الله ﷺ يأتي باب فاطمة وعلي عليهما السلام تسعة أشهر في كل صلاة فيقول : الصلاة يرحمكم الله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ... (الآية^(٤)).

وقال في الدر المنثور : واخرج ابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان يوم أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فنزل جبرئيل ﷺ على رسول الله ﷺ بهذه الآية (إنما يريد الله ليذهب.... الآية) قال : فدعا رسول الله ﷺ

()

()

()

()

بحسن وحسين وفاطمة وعلي، فضمهم إليه، ونشر عليهم الثوب، والحجاب على أم سلمة مضروب، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة رضي الله عنها: فأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير^(١).

وفي الدر المنثور أيضاً قال: واخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ نزلت هذه الآية في خمسة: في، وفي علي، وفاطمة، وحسن وحسين (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ...)
الآية.

٩. رواية عمر بن أبي سلمة:

روى الطبري في تفسيره بسنده عن عطاء، عن عمر بن أبي سلمة قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وهو في بيت أم سلمة (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ...)
الآية، فدعا حسنا وحسينا وفاطمة فأجلسهم بين يديه، ودعا عليا فأجلسه خلفه، فتجلل هو وهمم بالكساء، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة: أنا معهم يا رسول الله؟ قال: أنت على مكانك أنت على خير^(٢).

١٠. رواية الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب ؑ:

روى الحاكم في المستدرک والدولابي في الذرية الطاهرة وأبو الفرج في مقاتل الطالبين والمحّب الطبري في ذخائر العقبى والحافظ الكنجي في كفاية الطالب،

()

()

والكلام للأول بإسناده عن علي بن الحسين السجاد عليه السلام قال: خطب الحسن بن علي الناس حسن حين قتل علي عليه السلام فحمد الله واثنى عليه ثم قال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لا يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطيه رايته فيقاتل وجبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عليه، وما ترك على ظهر الأرض صفراء ولا بيضاء إلا سبع مائة درهم فضلت من عطاياه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله ثم قال:

أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله باذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبرائيل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذي أفترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: (قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت^(١).

وروى ابن المغازلي بسنده عن زاذان، عن الحسن بن علي عليه السلام قال: لما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله في كساء لأم سلمة خيبري ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(٢).

() /

/

()

١١. رواية أبي الحمراء:

روى الطبري في تفسيره بسند ين عن أبي داود، عن أبي الحمراء قال: رابطة المدينة سبعة أشهر على عهد النبي ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة فقال: الصلاة الصلاة (إنما يريد الله أن يذهب عنكم....) الآية. وقال في الدر المنثور: وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبي الحمراء رضي الله عنه قال: حفظت من رسول ﷺ ثمانية أشهر بالمدينة، ليست من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى إلى باب علي رضي الله عنه، فوضع يده على جنبتي الباب، ثم قال: الصلاة الصلاة (إنما يريد الله ليذهب... الآية)

قال وأخرج الطبراني عن أبي الحمراء رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يأتي باب علي وفاطمة ستة أشهر فيقول: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ...) الآية. ولو جعلنا هذه الروايات بين يدي منصف حتى لو لم يكن مسلماً لقال بضرس قاطع المراد منها بيت علي وفاطمة الذي يضم الحسن والحسين.

وأنت أيها القاري الكريم قرأت معي ورأيت حرص النبي ﷺ واهتمامه الكبير في بيان هذه الحقيقة القرآنية وكيف بينها وأداها، فقد تفنن ﷺ في إبلاغها قبل نزول الآية وحينها وبعدها، قولاً وفعلاً وصوتاً وصورة بأشرفها بيده ولسانه وبكل وجوده وكيانه، لم يكن هازلاً عابثاً عندما جمعهم تحت الكساء رافعاً يده إلى السماء داعياً مبتهلاً إلى الله سبحانه وتعالى أن يطهرهم ويذهب عنهم الرجس، بل أراد أن يكون فعله كقوله وقوله كفعله في الدلالة على الحصر، فترى قوله مانعاً من دخول غيرهم جامعاً حاصراً لأهل بيته، وكذلك فعله في جعل الكساء على رؤوسهم والدعاء لهم، أراد أن يميزهم ويعزلهم عن غيرهم وان غيرهم لا يشاركونهم في هذه الإرادة الإلهية والعناية الربانية والألطف القدسية وليس هذا من باب العصبية والانانية

والعنصرية بل أن هذه الذوات الطاهرة فقط هي التي وصلت إلى درجة الكمال نتيجة الاستعداد والقابلية.

ثم أن رسول الله ﷺ لم يكتف ببيانه قبل نزول الآية وحينها بل بقي هذا البيان والتفسير مستمراً لاشهر وهو يقف على باب علي وفاطمة مسلماً على أهل بيته تالياً للآية.

فكل هذه التصرفات من قبل رسول الله ﷺ كان يقصد منها دفع توهم أو دفع مغالطة أو محادعة تحصل في فهم الكلام، فان كلمة (أهل) عامة تشمل عشيرة الرجل وأقربائه وأزواجه بل كل من سكن بيته حتى لو كان أجنبياً، فأراد رسول الله ﷺ بأقواله وأفعاله أن لا يبقى مجالاً لهذا التوهم، فتراه يقول: (هؤلاء أهل بيتي) وهؤلاء إسم إشارة يعين ويشخص المشار إليه، ولم يقل ﷺ من أهل بيتي، وذلك لإبطال وإفشال أي محاولة تلاعب وتغيير في مفهوم الآية ومرادها، ومقدمات الحكمة أو قرينة الحكمة كما يقول علماء الأصول تبطل قول عكرمة وأمثاله - بان المراد من آية التطهير نساء النبي وأزواجه - وذلك لان رسول الله ﷺ في مقام البيان وما يقوله يريد، وما أراده قاله وهو أفصح من نطق بالضاد.

فبعد هذا البيان من قبل رسول الله ﷺ لم تبق أي قيمة لأقوال غيره من الصحابة والتابعين أو المفسرين لأنه اجتهاد مقابل النص.

ولكن من المؤسف هناك من طبل وزمر لقول عكرمة وعروة وأمثالها ممن نصب البغض والعداء

لعلي ﷺ وأهل بيته، وكانه قد وجد ضالته المنشودة فقالوا: إن عكرمة كان يهتف في الاسواق أن مراد الآية نساء النبي ﷺ.

ولكن من خلال ما قدمنا تعرف سخافة هذا القول وبطلانه، ويكفيك إن تنظر الى ترجمة الرجل في ميزان الاعتدال للذهبي لتعرف أنه ساقط هالك كذاب

خارجي ، حتى اضطر اولاد ابن عباس لحبسه وربطه عند باب الكنيف أو الحش لأنه كان يكذب على ابن عباس وكان يحمل فكر الخوارج التكفيري الإرهابي.

وعروة هو الآخر مُلأ من قرنه الى قدمه بغضا وحسدا لأهل بيت رسول الله ﷺ وقد ذكرنا قبل صفحات من كتابنا هذا أن أخاه عبد الله بن الزبير كان لا يصلي على النبي ﷺ في خطبة وغيرها ، فقيل له في ذلك فقال: إن له أهيل سوء فاذا ذكرناه مدوا أعناقهم ، وهم باحراق بيوت بني هاشم وقتلهم فكان عروة موافقا لأخيه في كل ذلك مبرراً ملتمساً له الدليل الشرعي في تصحيح عمله.

ثم أنه علاوة على أن النقل يكذب هذا الادعاء فان الواقع الخارجي ايضاً يكذبه ، فعكرمة وامثاله تصوروا أن الطهارة المذكورة في الآية وازهاب الرجس وساماً ظاهرياً أو انواط شجاعة تعلق على الصدور ويمكن اعطائها وجعلها لفلان أو فلانة ، فهيهات وأنى لهم ذلك ، فأن هذه العناية الالهية الربانية وسام معنوي قدسي ودرجة ومنزلة نالها أهل البيت نتيجة الاستعداد والقابلية في ذواتهم المقدسة ، ونتيجة العبودية والطاعة والخضوع لله وهذا المعنى انما تحقق ووجد عند أهل البيت ، واما غيرهم فقد ارتكب المعاصي والمآثم وأثار الفتن والملاحم وكما قيل :

تجملتي تبغلتني ولو عشتي تفيلتي لك التسع من الثمن وبالكل تملكتي

وقال سبحانه وتعالى : (إِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ❖ إِنَّ تَتُوبَا إِلى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهُ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْريلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) فكلها تهديد ووعيد وانكار شديد وكلام غليظ وما هو الا تعبير عما في نفس رسول الله ﷺ من لوعة وألم بسبب افشاء السر.

ومثل هذا كثير لا يخفى على المتتبع الخبير، بحيث كان بعضهم مصدراً لازعاجه وإيذائه وقد حذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين من إيذاء النبي ﷺ ولو برفع الصوت بين يديه، وإذا تأملت أيها القارئ مواقف بعضهم المتناقضة وتأملت هذه الآية وقرأت ما وراء كلماتها والفاظها تقف على تفاهة وسفاهة قول عكرمة، واتضح لك إن هذه الأفعال لا تنسجم مع آية التطهير.

ومَّا يفند قوله أيضاً:

١. لم يرد في رواية أن واحدة من أمهات المؤمنين ادعت أنها كانت مع رسول الله وأهل بيته تحت الكساء حين نزول آية التطهير.

٢. قال أهل الحديث والتفسير وغيرهم: أن أهل بيته هم الذين باهل النبي بهم نصارى نجران في قوله تعالى (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم....) الآية. وقد اجمعت الأمة الإسلامية على أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين.

٣. جواب زيد بن أرقم عند ما سأله هل نساؤه من أهل بيته؟ قال: لا، وإيم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها^(١).

٤. المتبادر من لفظ (أهل البيت) هم فاطمة وبعليها وبنوها، والتبادر علامة الحقيقة، هذا ما يفعله المصنفون والمؤلفون من حيث يشعرون أو لا يشعرون، فتجد في كتبهم عنواناً خاصاً باسم أهل البيت ثم يذكرون فاطمة وعلياً وابناهما، وتجد كذلك عنواناً مستقلاً تحت اسم (أمهات المؤمنين) أو أزواج النبي ﷺ، فانظر على سبيل المثال إلى كنز العمال للمتقي الهندي، مما يدل على أن هذا شيء مرتكز ولا يمكن التطبع على خلافه.

٥. تذكير الضمير في قوله : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ) ولم يقل سبحانه (عنكن) وقوله تعالى (وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً) ولم يقل (يطهركن) فكيف تأتي لعكرمة ومن تابعه القول إن الآية في نساء النبي ﷺ؟! وما سمعنا عربياً خاطب النساء بخطاب الذكور إلا على جهة التغليب وذلك خاص في أصحاب الكساء إذا أن أغلبهم رجال ذكور.

٦. إن الطبري في تفسيره بعد إن نقل الروايات الكثيرة على أن المراد من الآية فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها، والروايات تزيد على خمسة عشر رواية، كانت الرواية الأخيرة والوحيدة هي قول عكرمة، مما يدل على تهاة هذا القول وبطلانه. وبهذا ظهر أيضاً بطلان قولهم أن آية التطهير في نساء النبي ﷺ وحجتهم في ذلك إن الآيات التي قبلها وبعدها تكلمت عن نساء النبي ﷺ ووجه بطلانه إضافة لما تقدم: أن هذا تفسير بما لا يرضى به صاحبه، ومن فسر القرآن برأيه فالتبوا مقعده من النار، أو أكبه الله على منخربه في النار، فقبيح جداً بمن يدعي الإسلام إن يقول: قال رسول الله ﷺ وأنا أقول وكأن الله أو كل إليه تفسير كتابه الذي لا يمسه الا المطهرون الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فأى ضلال أعظم وأي جهل اكبر من إن يدعي الانسان معرفة شيء وهو لا يحيط بجزء منه، ومن أن يقحم نفسه في شيء وهو يجهله، ويظن هؤلاء أنهم عند ما تعلموا شيئاً من الصرف والنحو والبلاغة والبديع والبيان وآداب اللغة وغيرها قد أحاطوا بكل شيء علماً واستغنوا بذلك عن حجج الله أو الثقل الأصغر المشار اليهم في حديث الثقلين وغيره، هذا.

ولم يرد في رواية واحدة أن آية التطهير نزلت مع هذه الآيات التي ذكرت نساء النبي ﷺ فالروايات التي ذكرناها تقول ان الآية نزلت في خمسة: النبي وعلي وحسن وحسين، ولم نر إشارة من قريب أو بعيد من قبل أمهات المؤمنين أو

أصحاب رسول الله ﷺ إلى الآيات النازلة في أزواج النبي ﷺ فوجود آية التطهير بين هذه الآيات لا يعني انها نزلت معهم أو أن سبب النزول واحد حتى لو قلنا إن القرآن جمع على عهد رسول الله ﷺ فان من أساليب القرآن الانتقال بالسامع أو القارئ من خطاب الى خطاب لحكمة لا تخفى على أولي الأبواب، وجاء عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: أن الآية قد يكون أولها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء، ولا يعلم القرآن الا من خوطب به، وأهل البيت أدري بما في البيت.

وظهر لي من خلال تتبعي: إن من الاساليب التي اعتمده مخالفوا أهل البيت قديما وحديثا هو تضييع المعنى المصطلح والحقيقي الذي اراده الله ورسوله من كلمة (أهل البيت) فتراهم يفسرونها بأتباعه ﷺ واوليائه ونساءه وأزواجه، وأمه أو كل تقى أو كل مؤمن وبهذا يصححون دعواهم بأنا نحب أهل بيت النبي ﷺ ونحن من شيعتهم، وانا ركبنا في سفينتهم وتمسكنا بجلهم ومودتهم، ويقصدون بذلك كل من هبّ ودبّ من الناكثين والقاسطين والمارقين، الذين حاربوا عليا والحسن والحسين وأذوا الله ورسوله في ذريته وأهل بيته، كما يقول بعضهم: سيدنا معاوية حارب سيدنا علياً وحارب سيدنا الحسن، وسيدنا يزيد قتل سيدنا الحسين، وسيدنا عمرو بن العاص كشف عورته في صفين، وفي رأيهم هذا هو الدين القويم دين أهل الطاعة والجماعة وأنها الفرقة الناجية.

وقد جندوا لتضييع هذه الحقيقة وطمسها كل طاقاتهم بالترغيب والترهيب، ونذكر لك أيها القارئ مثالا أو شاهداً واحداً لتكون على بينة مما نقول، قال ابن أبي الحديد:

وروى أبو الحسن على بن محمد بن ابى سيف المدايني في كتاب (الاحداث) قال: كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى

شيئا من فضل ابي تراب واهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا وبراءون منه ويقعون فيه وفي اهل بيته وكان اشد الناس بلاء حينئذ اهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي (عليه السلام) فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لانه كان منهم ايام على (عليه السلام) فقتلهم تحت كل حجر ومدر واخافهم وقطع الايدى والارجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم وكتب معاوية الى عماله في جميع الافاق الا يجيزوا لاحد من شيعة علي واهل بيته شهادة وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه واهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم واکرموهم واکتبوا لى بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم ابيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى اكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع ويفيضة في العرب منهم والموالي فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجيئ احد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيله أو منقبه الا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حيناً. ثم كتب الى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الاولين ولا تتركوا خبرا يرويه احد من المسلمين في ابي تراب الا وتأتوني بمناقض له في الصحابة فان هذا احب الى واقر لعيني وادحض لحجة ابي تراب وشيعته واشد عليهم من مناقب عثمان وفضله. فقرئت كتبه على الناس فرويت اخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى اشادوا بذكر ذلك على المنابر والقى الى معلمي الكتاتيب فعملوا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم

فلبثوا بذلك ما شاء الله. ثم كتب الى عماله نسخة واحدة الى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البينة انه يحب عليا واهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه وشفع ذلك بنسخة أخرى من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدمو داره فلم يكن البلاء اشد ولا اكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة على عليه السلام لياتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى ياخذ عليه الايمان الغليظة ليكتمن عليه فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان اعظم الناس في ذلك بلية القراء المرءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الاحاديث ليحفظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الاموال والضيعات والمنازل حتى انتقلت تلك الاخبار والاحاديث الى ايدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون انها حق ولو علموا انها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها^(١).

ومن هنا وهناك وهذا وذاك يتجلى لنا معنى شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبثه الذي حكاها الله سبحانه وتعالى بقوله: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) شكوى جعلها الله سبحانه وتعالى قرآنا يتلى الى يوم القيامة، ولا أظن ان عاقلا يخطر بباله انه صلى الله عليه وسلم أراد هذا القرآن التدويني الذي بين الدفتين فهذا لم يهجر منذ ان نزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم والى يومنا هذا، فقد حفظ المسلمون عدد سورته وآياته وأجزائه واحزابه وحركاته وسكناته بل أراد صلى الله عليه وسلم من شكواه ضياع وهجران المحتوى والمضمون والمعنى والحقائق القرآنية وذلك لهجرانهم السبب الموصل الى القرآن وهم أهل بيته سلام الله عليهم، ومن هجر السبب هجر المسبب، وهذا

() : / .

واضح لمن تأمل حديث الثقلين وغيره من الأحاديث التي حثت على متابعة أهل البيت ، وقد مرت بنا أحاديث وخطب لأمير المؤمنين تشير الى هذا المعنى الذي ذكرناه وهو مروى عن أهل البيت.

وأما ما جاء في تفاسير القوم: ان الشكوى تخص المشركين فلا يصح لعموم الآية وان المشرك ما آمن بالقرآن حتى يقال في حقه انه هجره لان الهجر ترك ما كان عليه كهجر عبادة الاصنام أو ما كان فيه كهجر مكة الى المدينة فالمحوظ في كلمة الهجر الحالة السابقة.

ونقل ابن حجر دعاءً للامام زين العابدين (عليه السلام) يتضمن مثل هذه الشكوى ، قال في الصواعق المحرقة: الاية الخامسة قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) أخرج الثعلبي في تفسيرها عن جعفر الصادق (رضي الله عنه) انه قال: نحن حبل الله الذي قال الله فيه: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) وكان جدّه زين العابدين اذا تلا قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) يقول دعاءً طويلاً يشتمل على طلب اللحوق بدرجة الصادقين والدرجات العلية وعلى وصف المحن وما انتحلته المبتدعة المفارقون لأئمة الدين والشجرة النبوية ثم يقول: وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا واحتجوا بمتشابه القرآن فتأولوا بأرائهم واتهموا مأثور الخبر إلى ان قال: فالى من يفرع خلف هذه الأمة وقد درست أعلام هذه الملة ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف يكفر بعضهم بعضاً والله تعالى يقول: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) فمن الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكم إلى أهل الكتاب إلا أبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عبادة ولم يدع الخلق سدى من غيره حجة ، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين أذهب الله

عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وبرأهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب. انتهى^(١).

أقول لابن حجر: هل عرفت الحجة ومَن إليه المَفْزَع من الشجرة النبوية المباركة؟ وهنا حوار جميل في التعريف بأهل البيت - الحقيقة التي حاول الأعداء طمسها - حوار بين الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام وبين علماء الجمهور دعا إليه المأمون العباسي كيداً ومكراً منه رجاءً ان يهزم الامام عليه السلام ويكون النصر والفلج لعلماء الجمهور، والاستدلال في هذه المحاوره قرآني أو بحيث اتفقت الامة عليه، والقرآن خير دليل وحكم فلا بش ان نقلناها من مصادر شيعة أهل البيت.

روى الصدوق في الأمالي وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام عن ابن شاذويه المؤدب وجعفر بن محمد بن مسرور رضى الله عنهما قالاً: حدثنا محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه عن الريان بن الصلت قال:

حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرور وقد اجتمع في مجلسه جماعه من علماء أهل العراق وخراسان فقال المأمون: اخبروني عن معنى هذه الآية: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)^(٢) فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الامه كلها فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكني أقول: أراد الله عز وجل بذلك العتره الطاهره فقال المأمون: وكيف عنى العتره من دون الامه؟ فقال له الرضا عليه السلام: انه لو اراد الامه لكانت اجمعها في الجنة لقول الله عز وجل: (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْذُنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال عز وجل: (جَنَّاتٌ عِدْنٍ

()

()

يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ^(١) الايه فصارت الوراثة للعترة الطاهره لا لغيرهم فقال المأمون: من العترة الطاهره؟ فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه فقال عز وجل: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)^(٢) وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انى خلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إلا وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما ايها الناس لا تعلموهم فانهم اعلم منكم.

قالت العلماء: اخبرنا يا أبا الحسن عن العترة اهم الال ام غير الال؟ فقال الرضا عليه السلام: هم الال فقالت العلماء: فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤثر عنه^(٣) انه قال: امتى آلى وهؤلاء اصحابه يقولون بالخبر المستفاض^(٤) الذي لا يمكن دفعه آل محمد امته فقال أبو الحسن عليه السلام: اخبروني هل تحرم الصدقة على الآل^(٥) فقالوا: نعم قال: فتحرم على الامه قالوا: لا قال: هذا فرق بين الال والامه ويحكم اين يذهب بكم اضربتم^(٦) عن الذكر صفحاً ام انتم قوم مسرفون اما علمتم انه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟ قالوا: ومن اين يا أبا الحسن؟ فقال من قول الله عز وجل: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)^(٧) فصارت وراثه النبوه والكتاب للمهتدين دون الفاسقين اما علمتم ان نوحا حين سأل ربه عز وجل: (فَقَالَ رَبِّ إِنِّ

() :

() :

() :

() :

() :

() :

() :

أُبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) وذلك ان الله عز وجل وعده ان ينجيه واهله فقال ربه عز وجل: (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)^(١).

فقال المأمون: هل فضل الله العترة على سائر الناس؟ فقال أبو الحسن: ان الله عز وجل ابان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه فقال له المأمون: واين ذلك من كتاب الله؟ فقال له الرضا (عليه السلام) في قول الله عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ❖ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) وقال عز وجل في موضع آخر: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) ثم رد المخاطبة في اثر هذه الى سائر المؤمنين فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) يعنى الذي قرنهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليهما فقوله عز وجل: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) يعنى الطاعة للمصطفين الطاهرين فالملك ههنا هو الطاعة لهم.

فقال العلماء: فاخبرنا هل فسر الله عز وجل الاصطفاء في الكتاب؟ فقال الرضا (عليه السلام) فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً وموضعاً. فاول ذلك قوله عز وجل: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) هكذا في قراءة أبي بن كعب وهي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عز وجل بذلك الآل فذكره لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فهذه واحدة.

والآية الثانية في الاصطفاء قوله عز وجل: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) وهذا الفضل الذي لا يجهله أحد إلا معاند ضال لانه فضل بعد طهارة تنتظر فهذه الثانية.

وأما الثالثة فحين ميز الله الطاهرين من خلقه فامر نبيه بالمباهلة بهم في آية الابتهاال فقال عز وجل: يا محمد: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) فأبرز النبي ﷺ علياً والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم وقرن انفسهم بنفسه فهل تدررون ما معنى قوله: (وانفسنا وانفسكم)؟

قالت العلماء: عنى به نفسه فقال أبو الحسن ﷺ: لقد غلطتم إنما عنى بها على بن أبي طالب ﷺ وما يدل على ذلك قول النبي ﷺ: حين قال: لينتهين بنو وليعه أو لا بعثن إليهم رجلا كنفسي يعنى على بن أبي طالب ﷺ وعنى بالابناء الحسن والحسين عليهما السلام وعنى بالنساء فاطمة عليها السلام فهذه خصوصيه لا يتقدمهم فيها أحد وفضل لا يلحقهم فيه بشر وشرف لا يسبقهم إليه خلق إذ جعل نفس على ﷺ كنفسه فهذه الثالثة.

وأما الرابعة فأخراجه ﷺ الناس من مسجده ما خلا العترة حتى تكلم الناس في ذلك وتكلم العباس فقال: يا رسول الله: تركت عليا واخرجتنا؟ فقال رسول الله ﷺ: ما انا تركته واخرجتكم ولكن الله عز وجل تركه واخرجكم وفي هذا تبيان قوله ﷺ لعلى ﷺ: أنت منى بمنزله هارون من موسى قالت العلماء: واين هذا من القرآن؟ قال أبو الحسن: اوجدكم في ذلك قرآنا أقرأه عليكم قالوا: هات قال: قول الله عز وجل: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى وفيها أيضا منزلة علي ﷺ من

رسول الله ﷺ ومع هذا دليل واضح في قوله رسول الله ﷺ حين قال: ألا ان هذا المسجد لا يحل لجنب إلا لمحمد ﷺ وآله.

قالت العلماء: يا أبا الحسن هذا الشرح والبيان لا يوجد إلا عندكم معاشر أهل بيت رسول الله ﷺ فقال: ومن ينكر لنا ذلك ورسول الله يقول: انا مدينه العلم وعلى بابها فمن اراد المدينة فليأتها من بابها؟ ! ففيما اوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتقدمة والاصطفاء والطهارة ما لا ينكره إلا معاند والله عز وجل والحمد على ذلك فهذه الرابعة.

والآية الخامسة قول الله عز وجل: (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) خصوصيه خصهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الامة فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ قال: ادعوا الى فاطمة فدعيت له فقال: يا فاطمة قالت: لبيك يا رسول الله فقال: هذه فدك هي مما لم يوجف عليه بالخييل ولا ركاب وهي لي خاصه دون المسلمين وقد جعلتها لك لما أمرني الله تعالى به فخذوها لك ولولدك فهذه الخامسة.

والآية السادسة قول الله عز وجل: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) وهذه خصوصية للنبي ﷺ الى يوم القيامة وخصوصيه للال دون غيرهم وذلك ان الله عز وجل حكى في ذكر نوح في كتابه: (وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) وحكى عز وجل عن هود انه قال: (يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ) وقال عز وجل لنييه محمد ﷺ: قل يا محمد (لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) ولم يفرض الله تعالى مودتهم إلا وقد علم انهم لا يرتدون عن الدين أبداً ولا يرجعون الى ضلال ابداً.

واخرى ان يكون الرجل وادا للرجل فيكون بعض أهل بيته عدوا له فلا يسلم له قلب الرجل فاحب الله عز وجل ان لا يكون في قلب رسول الله ﷺ على المؤمنين

شئ ففرض عليهم الله موده ذوى القربى فمن اخذ بها واحب رسول الله ﷺ واحب أهل بيته لم يستطع رسول الله ﷺ ان يبغضه ومن تركها ولم ياخذ بها وابغض أهل بيته فعلى رسول الله ﷺ ان يبغضه لانه قد ترك فريضه من فرائض الله عز وجل فأي فضيلة وأي شرف يتقدم هذا أو يدانيه؟ فانزل الله عز وجل هذه الايه على نبيه ﷺ (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) فقام رسول الله ﷺ في اصحابه فحمد الله واثى عليه وقال: يا ايها الناس ان الله عز وجل قد فرض لي عليكم فرضا فهل انتم مؤدوه؟ فلم يجبه أحد فقال:

يا أيها الناس انه ليس من فضله ولا ذهب ولا ماکول ولا مشروب فقالوا: هات إذا فتلا عليهم هذه الايه فقالوا: أما هذه فنعم فما وفى بها اكثرهم وما بعث الله عز وجل نبيا إلا اوحى إليه ان لا يسأل قومه اجرا لأن الله عز وجل يوفيه اجر الانبياء ومحمد ﷺ فرض الله عز وجل طاعته وموده قرابته على امته وامره ان يجعل اجره فيهم ليؤدوه في قرابته بمعرفة فضلهم الذي اوجب الله عز وجل لهم فإن المودة انما تكون على قدر معرفة الفضل.

فلما أوجب الله تعالى ذلك ثقل ذلك لثقل وجوب الطاعة فتمسك بها قوم قد اخذ الله ميثاقهم على الوفاء وعاند أهل الشقاق والنفاق والحدوا في ذلك فصرفوه عن حده الذي حده الله عز وجل فقالوا: القرابة هم العرب كلها وأهل دعوته فعلى أي الحالتين كان فقد علمنا ان الموده هي للقرابة فاقربهم من النبي ﷺ اولاهم بالموده وكلما قربت القرابة كانت الموده على قدرها وما انصفوا نبى الله ﷺ في حيطته ورافته وما من الله به على امته مما تعجز الالسن عن وصف الشكر عليه ان لا يؤذوه في ذريته وأهل بيته وان يجعلوهم فيهم بمنزله العين من الراس حفظا لرسول الله فيهم وحبا لهم فكيف؟! والقرآن ينطق به ويدعو إليه والاخبار ثابتة بانهم أهل الموده والذين فرض الله تعالى مودتهم ووعد الجزاء عليها فما وفى أحد بها فهذه الموده لا

ياتي بها أحد مؤمنا مخلصا إلا استوجب الجنة لقول الله عز وجل في هذه الآية :
 (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
 ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ❖ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) مفسراً ومبيناً.

ثم قال أبو الحسن عليه السلام : حدثني أبي عن جدي عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام
 قال : اجتمع المهاجرون والانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ان لك يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مؤنة في نفقتك وفيمن يأتيك من الوفود وهذه اموالنا مع دماننا فاحكم فيها بارا
 ماجورا اعط ما شئت وامسك ما شئت من غير حرج قال : فانزل الله عز وجل عليه
 الروح الامين فقال : يا محمد : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) يعنى
 ان تودوا قرابتي من بعدى فخرجوا فقال المنافقون : ما حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثنا على قرابته من بعده ان هو إلا شيء افتراه في مجلسه
 وكان ذلك من قولهم عظيما فانزل الله عز وجل هذه الآية : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ
 إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي
 وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هل من حدث ؟ فقالوا :
 أي والله يا رسول الله لقد قال بعضنا : كلاما غليظا كرهناه فتلا عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الآية فبكوا واشتد بكاؤهم فانزل عز وجل : (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ
 وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) فهذه السادسة.

وأما الآية السابعة فقول الله عز وجل : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا
 أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) وقد علم المعاندون منهم انه لما نزلت
 هذه الآية قيل : يا رسول الله قد عرفنا التسليم فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : تقولون
 اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم انك حميد
 مجيد) فهل بينكم معاصر الناس في هذا خلاف ؟ فقالوا : لا فقال المأمون : هذا مما لا

خلاف فيه اصلا وعليه اجماع الامه فهل عندك في الآل شيء اوضح من هذا في القرآن؟

فقال أبو الحسن: نعم اخبروني عن قول الله عزّ وجلّ: (يس ﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾) فمن عنى بقوله يس؟ قالت العلماء: يس محمد ﷺ لم يشك فيه أحد قال أبو الحسن: فإن الله عز وجل اعطى محمدا وآل محمد من ذلك فضلا لا يبلغ أحد كنه وصفه الا من عقله وذلك ان الله عز وجل لم يسلم على أحد إلا على الانبياء صلوات الله عليهم فقال تبارك وتعالى: (سلام على نوح في العالمين) وقال: (سلام على إبراهيم) وقال: (سلام على موسى وهارون) ولم يقل: سلام على آل نوح ولم يقل: سلام على آل إبراهيم ولا قال: سلام على آل موسى وهارون وقال عز وجل: (سلام على آل يس) يعنى آل محمد صلوات الله عليهم.

فقال المأمون: لقد علمت ان في معدن النبوة شرح هذا وبيانه فهذه السابعة. وأما الثامنة فقول الله عزّ وجلّ: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى) فقرن سهم ذى القربى بسهمه وبسهم رسول الله ﷺ فهذا فضل ايضا بين الال والامه لأن الله تعالى جعلهم في حيز وجعل الناس في حيز دون ذلك ورضى لهم ما رضى لنفسه واصطفاهم فيه فبدء بنفسه ثم ثنى برسوله ثم بذى القربى في كل ما كان من الفئ والغنيمة وغير ذلك مما رضى عز وجل لنفسه فرضى لهم فقال وقوله الحق: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى) فهذا تأكيد مؤكد واثر قائم لهم الى يوم القيامة في كتاب الله الناطق (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ).

وأما قوله: (واليتامى والمساكين) فإن اليتيم إذا انقطع يتمه خرج من الغنائم ولم يكن له فيها نصيب وكذلك المسكين انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب من المغنم

ولا يحل له اخذه وسهم ذى القربى قائم الى يوم القيامة فيهم للغنى والفقير منهم
 لانه لا أحد اغنى من الله عز وجل ولا من رسول الله ﷺ فجعل لنفسه منها سهما
 ولرسوله ﷺ سهما فما رضيه لنفسه ولرسوله ﷺ رضيه لهم وكذلك الفئ ما رضيه
 منه لنفسه ولنبيه ﷺ رضيه لذى القربى كما اجراهم في الغنيمة فبدء بنفسه جل
 جلاله ثم برسوله ثم بهم وقرن سهمهم بسهم الله وسهم رسوله ﷺ وكذلك في
 الطاعة قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)
 فبدء بنفسه ثم برسوله ثم باهل بيته كذلك آية الولاية: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) فجعل طاعتهم مع
 طاعه الرسول مقرونه بطاعته كذلك ولايتهم مع ولايه الرسول مقرونه بولايته كما
 جعل سهمهم مع سهم الرسول مقروننا بسهمه الغنيمة والفئ فتبارك الله وتعالى ما
 اعظم نعمته على أهل هذا البيت!؟

فلما جاءت قصه الصدقة نزه نفسه ورسوله ونزه أهل بيته فقال: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ
 لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ) فهل تجد في شئ من ذلك انه سمي لنفسه أو
 لرسوله أو لذى القربى لانه لما نزه نفسه عن الصدقة ونزه رسوله ونزه اهل بيته لا بل
 حرم عليهم لأن الصدقة محرمة على محمد ﷺ وآله وهي اوساخ ايدى الناس لا تحل
 لهم لانهم طهروا من كل دنس ووسخ فلما طهرهم الله عز وجل واصطفاهم رضى
 لهم ما رضى لنفسه وكره لهم ما كره لنفسه عز وجل فهذه الثامنة.

وأما التاسعة: فنحن أهل الذكر الذين قال الله عز وجل: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ
 إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) فنحن أهل الذكر فاسألونا ان كنتم لا تعلمون.

فقالت العلماء: إنما عنى الله بذلك اليهود والنصارى فقال أبو الحسن (عليه السلام):
 سبحان الله! وهل يجوز ذلك إذا يدعوننا الى دينهم ويقولون: انهم افضل من دين

الاسلام؟! فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوه يا أبا الحسن؟ فقال أبو الحسن: نعم الذكر رسول الله ونحن اهله وذلك بين في كتاب الله عز وجل حيث يقول في سورة الطلاق: (فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ❖ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ) فالذكر رسول الله ﷺ ونحن اهله فهذه التاسعة.

وأما العاشرة: فقول الله عز وجل في آية التحريم: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ) الآية فاخبروني هل تصلح ابنتي وابنة ابني وما تناسل من صلبى لرسول الله ﷺ ان يتزوجها لو كان حيا؟ قالوا: لا قال: فاخبروني هل كانت ابنة احدكم تصلح له ان يتزوجها لو كان حيا؟ قالوا: نعم قال: ففى هذا بيان لانى انا من آله ولستم من آله ولو كنتم من آله لحرم عليه بناتكم كما حرم عليه بناتى لانى من آله وانتم من أمته فهذا فرق بين الآل والامة لأن الآل منه والامة إذا لم تكن من الآل فليست منه فهذه العاشرة.

وأما الحادية عشرة: فقول الله عز وجل في سورة المؤمن حكاية عن قول رجل مؤمن من آل فرعون: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) إلى تمام الآية فكان ابن خال فرعون فنسبه الى فرعون بنسبه ولم يضيفه إليه بدينه وكذلك خصصنا نحن إذ كنا من آل رسول الله ﷺ بولادتنا منه وعممنا الناس بالدين فهذا فرق بين الآل والامة فهذه الحادية عشرة.

وأما الثانية عشره فقوله عز وجل: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) فخصنا الله تبارك وتعالى بهذه الخصوصية إذ امرنا مع الامة باقامة الصلاة ثم خصنا من دون الامة فكان رسول الله ﷺ ييجئ الى باب علي وفاطمة عليهم السلام بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات فيقول: الصلاة

رحمكم الله وما أكرم الله أحداً من ذراري الانبياء بمثل هذه الكرامة التي اكرمنا بها وخصنا من دون جميع أهل بيته.

فقال المأمون والعلماء: جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن هذه الأمة خيراً فما نجد الشرح والبيان فيما اشتبه علينا إلا عندكم^(١).

وفي حديث الكساء الذي نحن في صدده نكتة لا تخفى على البصير وهي جلوس النبي ﷺ أو دخلوه مع أهل بيته أو قل ضم أهل بيته إليه دلّ هذا الفعل دلالة واضحة كدلالة آية التطهير على مشاركتهم لرسول الله في العصمة والطهارة وانهم الامتداد الطبيعي لهجه وشرعه، فأراد ﷺ ان يعرف أمته ويدلهم على المنهل العذب الفرات الي يجب عليهم ان ينهلوا منه وعلى الشجرة المباركة التي تأتي أكلها كل حين، وعلى غذاء الروح والعقول والقلوب فانه أولى بالاهتمام من قوت الاجساد والابدان، فبغذاء الروح يحيى الانسان الحياة الطيبة السعيدة في الدارين، وكما ورد عن الأئمة الأطهار من أهل بيت النبي المختار ﷺ في تفسير قوله تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) علمه الذي يأذخه عمّن يأخذه، وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

ما لي أرى الناس اذا قرب إليهم الطعام ليلاً تكلفوا إنارة المصابيح ليصروا ما يدخلون بطونهم، ولا يهتمون بغذاء النفس بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب في اعتقاداتهم واعمالهم^(٢).

وعنه أيضاً سلام الله عليه: ليس كل ذي عين يُبصر، ولا كل ذي أذن يسمع، فتصدقوا على أولي العقول الزمنة والألباب الحائرة بالعلوم التي هي أفضل

() : - : - / .

() : - / .

صدقاتكم ، ثم تلا : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)^(١).

ونحن تأسياً واقتداءً برسول الله ﷺ إذ ما برح وما انفك يدعو الأمة إلى أهل بيته ندعوا كل من يريد التوحيد الصحيح والسنة النبوية والعبادة المقبولة إلى التمسك بمذهب أهل البيت فهم الصراط المستقيم والعروة الوثقى وحبل الله وسفن النجاة ومعادن العلم ، وغيرهم عيال عليهم يقتاتون من فتات علمهم بل ليس على شيء لان الله يحب ان يُعبد كما يريد هو سبحانه فاختار سبيلاً وطريقاً إلى عبادته وطاعته فأمر بالتمسك بالثقلين معاً ومن أبى فقد أخطأ الطريق والسبيل المؤدي إليه سبحانه وتعالى.

ونحن إذ نستدل ونبرهن على أحقية مذهب أهل البيت في الوقت نفسه ندعو إلى الألفة والمحبة والأخوة والوحدة والتقريب وحرص الصفوف لمواجهة أعداء الأمة والإنسانية ، فلا تناقض ولا منافاة بين الدعوة لاتباع الحق وبين الدعوة إلى وحدة الكلمة ووحدة الصف للمسلمون يد واحدة على من سواهم وجسد واحد يكافحون وينافحون عدوهم وان اختلفوا فيما بينهم.

واعتقادنا بأهل البيت وتمسكنا بهم يملينا علينا احترام الانسان مهما كان دينه ومذهبه ، فنعتقد اعتقاداً جازماً ان من نطق بالشهادتين فقد حرم دمه وعرضه وماله وله ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وان العالم حق العالم من خشى الله وخافه واتقاه في قطرة دم محترمة من انسان وغيره (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) ومن يفتي بتكفير مسلم أو هدر دمه فهو كلب عقور ، كما قال سبحانه وتعالى في ذلك العالم الذي انسلخ من آيات الله واخذ إلى الارض (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ

() : / .

عَلَيْهِ يَلَهْثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلَهْثُ) فجاهل ظالم من يدعي العلم وهو يكفر من اختلف معه في بعض المسائل.

فنحن مع قول ربنا (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، ومع قوله تعالى: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) وان بسط أحد يده ليقتلنا فانا نمد اليه أيدينا لنصافحه ونعتقه اعتناق الأخ لأخيه (لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ).

ولنرجع الى آية التطهير ومعطيات كلماتها الثرية الغنية بالمعاني التي لا تنضب ولا تجذب، ففهوم الارادة واضح معلوم والمعروف عن أهل العلم أنهم يقسمونها الى نوعين: الارادة التكوينية والارادة التشريعية.

فالارادة التشريعية تتعلق بصدور الفعل من المكلف اختياراً، فهي تتعلق بأفعال العباد الاختيارية، ويمكن أن يتخلف مراده سبحانه وتعالى، فان الله أراد من المكلفين الصيام والصلاة والعدل والانصاف وغيرها من الأوامر ولكن الكثير من الناس أو المسلمين لا يصلون ولا يصومون ويظلمون ويكذبون.

والارادة التكوينية هي التي تتعلق بأفعاله سبحانه وتعالى بما هي صادرة منه وهي لا محالة تتلازم مع الفعل ولا ينفك عنها، أي أن مراده تعالى لا يتخلف كما قال سبحانه (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).

قالوا: أن الارادة هنا ليست إرادة تشريعية لأنها لا تختص بقوم دون قوم وبيت دون بيت فالأوامر والنواهي الشرعية موجهة الى كل مكلف، فالارادة هنا تكوينية لا يتخلف مرادها فتطهير أهل البيت من الرجس أمر واقع بإرادة الله سبحانه وتعالى.

وتخرج بعضهم من هذه التسمية فراراً من شبهة الجبر والقهر وبطلان الثواب واختار أن تكون هذه الارادة إرادة (التسديد والتأديب) التي أشار اليها النبي ﷺ

بقوله : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » وفسر لنا أمير المؤمنين عليه السلام هذا التأديب والتسديد بقوله : ولقد قرن الله به عليه السلام من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره . ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالافتداء به ^(١) .

والظاهر أن الخلاف لفظي فهو لاء الذين يقولون إن الإرادة هنا تكوينية يقصدون أن الله سبحانه وتعالى توَّجَّه بهم بهذه الفضيلة ورفعهم إلى تلك المنزلة نتيجة الاستعداد والقبالية في ذواتهم المقدسة ، فليست هذه العصمة جزافاً واعتباطاً بل لما علمه الله سبحانه من مجاهدة هذا البيت (طه) ❖ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (فطه وآل طه عابدون ، شاكرون قانتون .

ثم إن المراد من الرجس هو الرجس المعنوي الباطني من الشرك والشك والشيطان والمعاصي والآثام فلا شيء أقدر وأوسخ منها ، وقد اشارت بعض الروايات إلى بعض هذه المصاديق كالشيطان ، والشرك ، والسوء ، والذنوب ؛ قال الطبري في التفسير : حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) هم أهل البيت طهرهم الله من سوء ، وخصهم برحمة منه .

قال : وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : ابن زيد في قوله : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) قال الرجس ههنا : الشيطان وسوى ذلك من الرجس الشرك ^(٢) .

()

()

وقال السيوطي في الدر المنثور: واخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتاده في قوله: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ... الآية، قال: هم أهل البيت طهرهم الله من السوء واختصهم برحمته.

قال: وحدث الضحاك بن مزاحم رضي الله عنه: أن نبي الله ﷺ كان يقول: نحن أهل بيت طهرهم الله، من شجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم^(١).

فالآية والروايات تدل دلالة ظاهرة جلية على إن الله طهرهم، وليس للشيطان سبيل إليهم ولا يتمكن من وسوستهم واغوائهم، بخلاف غيرهم حيث نادى بأعلى صوته إن لي شيطان يعتريني كما في الصواعق المحرقة لابن حجر قال: واخرج احمد أنه بعد شهر نادى في الناس الصلاة جامعة وهي أول صلاة نادى لها بذلك ثم خطب فقال: أيها الناس وددت أن هذا كفانيه غيري ولئن أخذتموني بسنة نبيكم ما أطيعها إن كان معصوماً من الشيطان وان كان لينزل عليه الوحي من السماء.

وفي رواية لابن سعد: أما بعد فاني قد وليت هذا الامر وأنا له كاره، ووالله لوددت أن بعضكم كفانيه ألا وانكم إن كلفتموني أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله ﷺ لم أقم به، كان رسول الله عبداً أكرمه الله بالوحي وعصمه به، ألا إنما انا بشر ولستُ بخير من أحدكم فراعوني فإذا رأيتموني استقمتم فاتبعوني وإذا رأيتموني زغت فقوموني، واعلموا إن لي شيطاناً يعتريني فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني، لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم^(٢).

هذا كلام الخليفة الأول وهلم بنا الى كلام الله سبحانه وتعالى:

()

()

(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) (الحجر/٤٢) .
 (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ❖ (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى
 الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) (النحل: ٩٩-١٠٠) .

(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا) (الاسراء/٦٥) .
 (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَأْتِيهِ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي
 شَكٍّ) (سبا/٢١) .

(وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتَكُمْ فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي
 وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) (ابراهيم/٢٢) .

فالرجل لم يدع العصمة لنفسه ولكن اتباعه جعلوها له بأعلى درجاتها، فقلوه
 وفعله وتقريره حجة ونفوا هذه العصمة عمن جعلها الله له، فهذه الصديقة الطاهرة
 فاطمة الزهراء سلام الله عليها جاءت مع باب مدينة العلم علي بن أبي طالب (عليه السلام)
 تطلب حقها وارثها من أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند أبي بكر فلم يعطني الخليفة بقولهم،
 وآية التطهير وغيرها من الأدلة أو جبت على كل مؤمن تصديق أهل بيت النبي
 الاطهار، لان الشك أو الكذب أو ادعاء الباطل قد أذهب الله عنه وطهرهم منه، وآية
 التطهير دلت على عصمة الخمسة أصحاب الكساء، ودلت بالدلالة الالتزامية على
 إمامة أمير المؤمنين لأنه ادعى الخلافة لنفسه وادعاها له الحسنان وأمهم فاطمة عليهم
 سلام الله جميعاً ولا يمكن الكذب في حقهم لان الكذب رجس قد أذهب الله عنهم.

ثم أنا لو غضضنا النظر عن آية التطهير والروايات التي جاءت في شأن نزولها
 ونظرنا الى الواقع الخارجي رأينا أن التاريخ لم يسجل عن أئمة أهل البيت انحرافاً أو
 خطأً أو شيئاً ينافي عصمتهم، على أن التاريخ دون من قبل من لا يؤمن بهم وغالباً
 مادون التاريخ لأجل مرضات الخلفاء والحكام الذين سعوا جادين في اطفاء نور أهل
 بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

) : () :

الشرح :

إن كلمة (السيد) إذا أضيفت إلى قوم أو قبيلة أو بلد فأنها تعني المطاع ومن إليه الأمر والنهي ولا يصدر إلا عن قوله ومشورته.

ولا يسود الناس أو إن الناس لا يسودون أحدا عليهم إلا بتوفر شروط وصفات تأهله لهذا المنصب ولهذه المسؤولية، أهمها العقل والحنكة السياسية والاجتماعية والأخلاق الرفيعة السامية، فهذا اللقب لا يعطى مجانا وبلا ثمن، نعم هناك من يتقمص هذه السيادة بالقوة والغلبة والقهر وهذه سيادة الجلادين والفراعنة

فهنا رسول الله ﷺ وهو الصادق الأمين الذي لا يقول إلا حقا وعدلا ولا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ولا يبالغ في إعطاء الألقاب والصفات، والذي يضع الأشياء في مكانها المناسب أعطى وجعل سيادة العرب لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وفي وقتها آنذاك تعني سيادة المجتمع الإسلامي أو الأمة الإسلامية ولهذا استغربت أم المؤمنين عائشة واستعظمت هذا اللقب لعلي (عليه السلام) فاستفهمت النبي ﷺ قائلة له : ألسنت سيد العرب؟ وإليك الروايات في ذلك من مصادر القوم، فقد روى الحاكم بإسناده، عن سعيد بن جبير، عن عائشة : أن النبي ﷺ قال : أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب.

قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وفي أسناده عمر بن الحسن وأرجو أنه صدوق، ولولا ذلك لحكمت بصحته على شرط الشيخين، ثم قال الحاكم : وله شاهد من حيث عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : ادعو إليّ سيد العرب فقلت : يا رسول الله ألسنت سيد العرب؟ قال : أنا سيد ولد آدم،

وعلي سيد العرب، ثم قال الحاكم وله شاهد آخر من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ أدعوا إليّ سيد العرب فقالت عائشة: الست سيد العرب يا رسول الله؟ فقال: أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب^(١).

وأخرج ابن المغازلي بإسناده إلى سلمة بن كهيل قال: مر علي بن أبي طالب ﷺ على رسول الله ﷺ وعند عائشة فقال ﷺ: يا عائشة إذا سرك أن تنظري إلى سيد العرب فانظري إلى علي بن أبي طالب، فقلت: أأنت سيد العرب؟ فقال: أنا إمام المسلمين وسيد المتقين، فإذا سرك أن تنظري إلى سيد العرب فانظري إلى علي بن أبي طالب.

ثم روى بطريقين آخرين ما يقرب من هذا المعنى.

وأخرج الحافظ الكنجي بإسناده إلى أبي ليلى عن الحسن بن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يا أنس أنطلق فادع لي سيد العرب، - يعني علياً - فقالت عائشة: أأنت سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب، فلما جاء علي أرسل رسول الله ﷺ إلى الأنصار فأتوه، فقال لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعده؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هذا علي فاحبوه لحبي وأكرموه لكرامتي فإن جبرئيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله تبارك وتعالى.

قال الحافظ الكنجي: هذا حديث ثابت صحيح إذ أودعه إمام أهل الحديث سليمان بن أحمد الطبراني في معجمه الكبير^(٢).

() : / .

() / :

.. :

ثم روى بطريق آخر ما يقرب من هذا المعنى
أقول: بعد أن ثبت أن علياً نفس رسول الله ﷺ لقوله تعالى (وأنفسنا وأنفسكم)
وله من الولاية على المؤمنين ما لرسول الله ﷺ للآيات والأحاديث الكثيرة فمن
طريق أولى أن تثبت سيادته للعرب بل لولد آدم فالأمر سهل فلا نطيل الكلام.

: ﴿

: ﴿

الشرح :

تعبير وبيان عن العلة الشديدة والأواصر الأكيدة والمحبة الوطيدة بين المصطفى والمرتضى وبين النبي والوصي ، وعناية خاصة من قبل رسول الله ﷺ بحق وصيه وولي عهده ، وآية من آيات الإندكاك في الحقيقة الواحدة ، ومظهر من مظاهر الذوبان والإنصهار في الحب والقرب ، إذا أن من أبرز مصاديق الحب والإخلاص إن تلهج بذكر من تحب في دعائك وصلاتك.

دعوات خرقت وحطمت جُدر الظلام التي بناها الحكام والطغام ، وهدمت القلاع والحصون التي أشادها خلفاء الجور لردء ومنع مناقب علي ﷺ وفضائله. دعوات بددت وفندت أمني وآمال الظالمين في القضاء على نهج أمير المؤمنين ﷺ ولا يخفى على الفطن الذكي أنها دعوات خاصة تتناسب مع مقام النبوة والولاية وهذا واضح من ضمير المتكلم والمخاطب وساحة النبي ﷺ منزهة عن البخل في الدعاء لغيره لو كانت هذه الدعوات تقبل التعميم ، فظهر وجه الإختصاص ووجه الإحتجاج بها من قبل أمير المؤمنين ﷺ فلنذكرها من مصادر القوم.

فقد روى الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي بإسناده الى سليمان بن عبد الله بن الحارث عن جده ، عن علي قال : مرضت فعادني رسول الله ﷺ فدخل عليّ وأنا مضطجع ، فاتكأ الى جنبي ، ثم سجانني بثوبه ، فلما رأني قد هديت قام الى المسجد يصلي ، فلما قضى صلاته جاء فرفع الثوب عني وقال : (قم يا علي فقد برئت)

فقلت كأنما لم اشتك شيئاً قبل ذلك ، فقال : (ما سألت ربي شيئاً في صلاتي إلا أعطاني ، وما سألت شيئاً إلا وقد سألت لك) .

قال أبو عبد الرحمن : خالفه جعفر الأحمر فقال : عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث عن علي رضي الله عنه قال : وجعت وجعاً شديداً فأتيت النبي ﷺ فأقامني في مكانه وقام يصلي وألقى علي طرف ثوبه ثم قال : قم يا علي قد برئت لا بأس عليك ، وما دعوت ل نفسي بشيء إلا دعوت لك مثله ، وما دعوت بشيء إلا قد استجيب لي - أو قال أعطيت - إلا أنه قيل لي : لا نبي بعدك ^(١) .

ونكتفي بذكر المصادر في الهامش عن ذكر الروايات إذ الألفاظ متقاربة بل واحدة .

وبهذا نكون قد أنهينا المناشدة برواية الفقيه ابن المغازلي الشافعي ، وعليه سوف نخط رحالنا بين يدي علم من أعلام القوم في روايته لهذا المناشدة وهو الحافظ الموفق بن أحمد الحنفي الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٨ هـ ونحن نشرح من روايته ما لم نشرحه في ما مضى ، ونتعرض للفقرات التي لم تذكر من قبل الأعلام الذين تقدموا عليه ، أي انا نتعرض في كل رواية لشرح ما تفرد به اللاحق ولم يذكره السابق . قال الخوارزمي : واخبرني الشيخ الإمام شهاب الدين أفضل الحافظ أبو النجيب سعد بن عبد الله بن الحسن الهمداني - المعروف بالمروزي فيما كتب إلي من همدان - أخبرنا

()

الحافظ أبو علي بن أحمد بن الحسن الحداد بأصفهان فيما أذن لي في الرواية عنه ، أخبرنا الشيخ الأديب أبو يعلي عبد الرزاق بن عمر بن إبراهيم الطهراني سنة ثلاث وسبعين واربعمائة ، أخبرني الإمام الحافظ طراز المحدثين أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الإصبهاني .

قال الشيخ الإمام شهاب الدين أبو النجيب سعد بن عبد الله الهمداني : واخبرنا بهذا الحديث عالياً الإمام الحافظ سليمان بن إبراهيم الاصفهاني في كتابه اليّ من اصفهان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة عن أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه ، حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثني علي بن سعيد الرازي ، حدثني محمد بن حميد ، حدثني زافر بن سليمان الحارث بن محمد ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال : كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم ، فسمعت علياً عليه السلام يقول : بايع الناس أبا بكر وأنا والله أولى بالأمر وأحق به ، فسمعت واطعت مخافة أن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف ثم بايع أبو بكر لعمر وانا والله أولى بالأمر منه فسمعت واطعت مخافة إن يرجع الناس كفاراً ، ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان إذا لا أسمع ولا أطيع ، أن عمر جعلني في خمسة نفر أنا سادسهم ، لأيم الله لا يعرف لي فضل في الصلاح ولا يعرفونه لي كما نحن فيه شرع سواء ، وأيم الله لو أشاء أن أتكلم ثم لا يستطيع عربهم ولا عجمهم ولا المعاهدة منهم ولا المشرك أن يرد خصله منها .

: :

:

الشرح:

المراد من أنه سلام الله عليه صلى القبلتين أي سبقهم الى الصلاة إليهما، وذلك مما لا شك فيه ولا ريب كما اتضح من خلال الروايات التي ذكرناها في أوائل الكتاب فقد تقدم منا ذكر الأخبار الصحيحة الكثيرة في إيمانه وصلاته مع النبي ﷺ نذكر منها على سبيل المثال ما رواه بأسانيدهم عن علي ؓ قال: أنا عبد الله، وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر، ولا يقولها بعدي الا كاذب، صليت قبل الناس بسبع سنين^(١).

وفي آخر قال: ما أعرف أحدا من هذه الأمة عبد الله بعد نبيها ﷺ غيري، عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة بسبع سنين^(٢).

وإذا ضم إليه ما روي عن ابن عباس رحمها الله من أن النبي ﷺ عندما كان يصلي في مكة يجعل الكعبة بين يديه في الصلاة ويتوجه نحو بيت المقدس وبهذا يصلي الى القبلتين أو إلى ما هو المأمور به في نفس الأمر، قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود في ناسخه والنحاس والبيهقي في سننه عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان يصلي وهو بمكة نحو البيت المقدس والكعبة بين يديه،

/ / ()

/ / ()

وبعدها تحول الى المدينة ستة عشر شهرا، ثم صرفه الله الى الكعبة^(١). وهو مروى من طرق أهل البيت أيضاً.

وعلى كلا الوجهين إي إنه ﷺ كان يصلي إلى بيت المقدس أو يجعل الكعبة بين يديه عند استقباله يثبت أن علياً ﷺ سبقهم الى الصلاة نحو القبلتين، إذا لا سبيل الى إنكار أنه صلى مع النبي ﷺ قبل أن يصلي الناس.

وإليك بعض أخبار المقام تقتصر على ما أخرجه المحب الطبري في الرياض النظرية تحت عنوان - ذكر أنه أول من صلى - قال: عن ابن عباس أنه قال: لعلي أربع خصال ليست لأحد غيره وذكر منها أنه أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله ﷺ خرج أبو عمر، وخرج الترمذي منه عن ابن عباس: أول من صلى علي رضي الله عنه وخرجه أبو القاسم في الموافقات كذلك وعن أنس قال: استنبيء النبي ﷺ يوم الإثنين وصلى علي يوم الثلاثاء.

خرجه الترمذي وأبو عمر، وفي بعض طرقه: بعث النبي ﷺ يوم الإثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء خرج البغوي في معجمه.

وعن الحكم بن عيينه قال: خديجة أول من صدق، وعلي أول من صلى الى القبلة خرج الحافظ السلفي.

وعن رافع قال صلى النبي ﷺ يوم الإثنين وصلت خديجة آخر يوم الإثنين وصلى علي يوم الثالث من الغد قبل أن يصلي مع رسول الله ﷺ أحد بسبع سنين وأشهر. خرج القلعي.

وعنه قال: صليت قبل أن تصلي الناس بسبع سنين.

وفي رواية أسلمت قبل أن يسلم الناس بسبع سنين.

وفي رواية صليت مع رسول الله ﷺ ثلاث سنين قبل أن يصلي معه أحد من الناس خرجة أحمد في المناقب.

وعنه أنه كان يقول: أنا عبد الله، وأخو رسول الله ﷺ وأنا الصديق الأكبر ولقد صليت قبل الناس بسبع سنين، خرجة الخلعي

وعن علي قال: عبد الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين خرجة أبو عمر. هذا ما أردنا نقله عن المحب الطبري^(١).

وسارع بعض الاغبياء الى تكذيب هذه المنقبة فقال: إن الذين صلوا الى القبلتين كثيرون، منهم الخمسة من أهل الشورى! وغفل من أن المراد هو السبق الى الصلاة والإيمان والاسلام.

الشرح :

أشار سلام الله عليه إلى آية المودة في قوله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) (الشورى: ٢٣).

فقد روت مصادر الفريقين أن المراد من قربى النبي ﷺ هم علي وفاطمة وأبناءهما ، مثل ما إنهم هم المقصودون من آية المباهلة وآية التطهير وحديث الثقلين وحديث السفينة وغيرها من الآيات والأحاديث التي تنحوا هذا المنحنى وتصب في هذا الاتجاه ، مما فيها تأكيد وتمهيد وحث وتحضيض على التمسك بمن يمثل الامتداد الطبيعي لرسول الله ﷺ ويقوم مقامه في تحمل المسؤولية الخطيرة والكبيرة في هداية الخلق إلى الله سبحانه وتعالى .

فقربى النبي ﷺ ومن فرض الله مودتهم هم من أنيطت بهم هذه المهام الجسام التي حمل أعبائها سيد الأنام ، وهم الأجر الذي ينسجم ويتكافئ مع الرسالة وعظمتها وسنخيتها وحقيقتها محتوى ومضموناً وبقاءً واستمراراً ، وهذا الأجر ليس من جنس الدراهم والدنانير والذهب والفضة والأموال التي مصيرها الفناء والزوال ، فإن الأنبياء جميعاً لم يسئلوا الناس أجراً مادياً على الهداية والتبليغ فانه محرم عليهم ، وقد حكى الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عن نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء إنهم لم يسئلوا الناس أجراً مادياً ، فكذلك سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ خاطبه رب العالمين بقوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) فان الدنيا وما فيها لا تقع أجراً وثمناً إزاء لحظة واحدة من دعوته المباركة .

لكن نبي الرحمة ﷺ صاحب الدعوة الخاتمة والرسالة الخالدة وبأمر من الله سبحانه وتعالى سأل أمته أجراً معنوياً مرتبطاً بالرسالة بل هو من صميمها وجوهرها، سئلهم أجراً يعود عليهم بخير الدنيا والآخرة (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ) فالأجر للناس أي خيره ونفعه لهم، والنفع المتصور من هذا الأجر مرضاة الله والهداية والفوز والنجاة وغيرها من المعاني الواردة في من تمسك بأهل بيته صلوات الله وسلامه عليه وعليهم فعلي وفاطمة وأبناءهما أهل للمودة وأحق بها وهم المكان المناسب والصحيح فلذلك أطبقت روايات أئمة أهل البيت على هذا المعنى، وكيفيك أيها القاريء الكريم أن تنظر الى تفسير البرهان للعلامة السيد هاشم البحراني، وجاء هذا المعنى أيضاً في مصادر العامة ومال إليه كثير من أعلام القوم.

فقد روى الحاكم والدولابي وأبو الفرج وغيرهم خطبة الإمام حسن (عليه السلام) في الليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين جاء فيها: وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال تبارك وتعالى لنبيه ﷺ (قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت^(١).

وروى أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة والثعلبي في الكشف والبيان وابن المغازلي وغيرهم بأسانيدهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت (قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولدها (أبناهما)^(٢) ورووا عن الحكم بن ظهير عن

()

()

السدي في قوله عز وجل (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) قال المودة في آل الرسول ﷺ^(١).

قال السيوطي: وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله تعالى (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً) قال: المودة لآل محمد^(٢).

وروى الطبري في التفسير بإسناده عن السدي، عن أبي الديلم قال: لما جيء بعلي بن الحسين رضي الله عنها أسيرا، فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم وأستاصلكم، وقطع الفتنة، فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه: أقرأت القرآن؟ قال نعم قال: أقرأت آل حم؟ قال قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم! قال: قرأت (قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال: وأنكم لأنتم هم؟ قال: نعم^(٣).

وفي المناقب للخوارزمي عن علي قال رضي الله عنه: قيل لما نزلت (قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قالوا: هل رأيتم أعجب من هذا؟! يسفه أحلامنا ويشتم آلهتنا ويرى قتلنا، ويطمع أن نجه فنزل (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ) أي ليس في ذلك أجر، لأن منفعة المودة تعود إليكم وهو ثواب الله تعالى ورضاه^(٤).

وقال المحب الطبري: وروي أنه ﷺ قال: أن الله تعالى جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي، وإني سألتكم غداً عنهم. أخرجهم الملاء في سيرته^(٥).

()

()

()

()

()

وروى الحسكاني وابن عساكر عن أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله ﷺ : خلق الله الأنبياء من أشجار شتى وخلقني وخلقني وعلياً من شجرة واحدة ، فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمرها ، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ، ومن زاغ هوى ، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفاة والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام ثم لم يدرك محبتنا لأكبه الله على منخريه في النار ، ثم تلا ﷺ (قُلْ لَأَسْأَلَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال الحافظ الكنجي بعد أن روى هذا الحديث : هذا حديث عال رواه الطبراني في معجمه كما أخرجه سواء ، ورواه محدث الشام في كتابه بطرق شتى^(١).

وروى الكنجي عن جابر بن عبد الله قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد أعرض عليّ الإسلام ، فقال ﷺ : تشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، قال : تسألني عليه أجراً ؟ قال ﷺ : لا ، إلا المودة في القربى ، قال : قرابتي أو قرابتك ؟ قال ﷺ : قرابتي ، قال : هات أبايعك ، فعلى من لا يحبك قرابتك لعنة الله ، فقال : النبي ﷺ : آمين^(٢). ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء.

قال الزمخشري في الكشاف : فإن قلت : هلا قيل إلا مودة القربى أو إلا المودة للقربى وما معنى قوله (إلا المودة في القربى) قلت : جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها ، كقولك : لي في آل فلان مودة ، ولي فيهم هوى وحب شديد ، تريد : أحبهم وهم مكان حبي ومحله ، وليست (في) بصلة للمودة كاللام إذا قلت : إلا المودة للقربى ،

()

()

إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك: المال في الكيس، وتقديره: إلا المودة ثابتة في القربى وتمكنة فيها.

والقربى مصدر كالزلفى والبشرى، بمعنى قرابة، والمراد في أهل القربى، وروي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وأبناهما.

ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه: شكوت الى رسول الله ﷺ حسد الناس لي، فقال: أما ترضى أن يكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن إيماننا وشمائلنا، وذريتنا من خلف أزواجنا.

وعن النبي ﷺ: حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وأذاني في عترتي، ومن أصطنع صنيعه الى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة.

إنتهى ما أردنا نقله عن الزمخشري.

وقال ابن حجر الهيتمي: أعلم هذه الآية مشتملة على مقاصد وتوابع، المقصد الاول في تفسيرها، أخرج أحمد والطبراني وأبن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس إن هذه الآية لما نزلت الآية قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وأبناهما، وفي سنده شيعي غال لكنه صدوق.

وروى أبو الشيخ وغيره عن علي كرم الله وجهه: فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن^(١) ثم قرأ (قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) وأخرج البراز والطبراني عن الحسن رضي الله عنه من طرق بعضها حسان أنه خطب خطبة من جملتها: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد ﷺ

() / :

ثم تلا (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ) ثم قال أنا ابن البشير أنا ابن النذير ثم قال: وأنا من أهل البيت الذين أفترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم فقال فيما أنزل على محمد ﷺ (قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) وفي رواية الذين إفترض الله مودتهم على كل مسلم وأنزل فيهم (قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) واقتراح الحسنات مودتنا أهل البيت.

واخرج الطبراني عن زين العابدين أنه لما جيء به أسيراً عقب مقتل أبيه الحسين رضي الله عنهما، وأقيم على درج دمشق، قال بعض جفافة أهل الشام: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة: فقال له ما قرأت (قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال وأنتم هم؟ قال نعم. وللشيخ الجليل شمس الدين بن العربي:

رأيت ولأبي آل طه فريضة على رغم أهل البعد يورثني القربا
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى بتبليغه إلا المودة في القربى

إنتهى ما أردنا نقله عن الصواعق المحرقة لأبن حجر^(١).

وروى الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان بإسناده إلى جرير بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: من مات على حب آل محمد مات شهيداً.

ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له.

ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً.

ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان.

ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير.

ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله تعالى زوار قبره ملائكة الرحمن.
 ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان من الجنة.
 ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من
 رحمة الله.

ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا.
 ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة.
 هذا ما وجدته، رأيته في النسخة التي عندي من الكشف والبيان. ورواه
 الزمخشري في الكشف بزيادة فقرتين وهما:
 ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت
 زوجها

ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة.
 وتابعه الفخر الرازي على ذلك ثم قال: هذا هو الذي رواه صاحب الكشف،
 وأنا أقول: آل محمد ﷺ الذين يؤول أمرهم إليه فكل من كان أمرهم إليه أشد
 وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك إن فاطمة وعليا والحسن والحسين كان التعلق بينهم
 وبين رسول الله ﷺ أشد التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا
 هم الآل، وأيضا اختلف الناس في الآل فقليل هم الأقارب وقيل هم أمته، فان
 حملناه على القرابة فهم الآل، وأن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضا
 آل، فثبت ان على جميع التقديرات هم الآل، وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ
 الآل؟ فمختلف فيه. وروى صاحب الكشف أنه لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله
 من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: علي وفاطمة، وأبناهما،
 فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي ﷺ وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين

بمزيد التعظيم، ويدل عليه وجوه: الأول، قوله تعالى: (إلا المودة في القربى) ووجه الاستدلال به ما سبق.

الثاني، لاشك أن النبي ﷺ كان يحب فاطمة &، قال ﷺ: فاطمة بضعة مني يؤذييني ما يؤذيها، وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله ﷺ أنه كان يحب علياً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الامة مثله لقوله (وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ولقوله تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) ولقوله: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) ولقوله سبحانه: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ).

الثالث: إن الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد وارحم محمداً وآل محمد، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب، وقال الشافعي (رضى الله عنه):

يا راكبا قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضا كما نظم الفرات الفائض
أن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

انتهى كلام الفخر الرازي في تفسيره الكبير.

ومما يناسب المقام كلام لابن حجر الهيتمي قال: الآية: الثانية قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) صح عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت هذه الآية قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ فقال: قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد إلى آخره.....

فسؤالهم بعد نزول الآية واجابتهم باللهم صلى على محمد وعلى آل محمد إلى آخره.....

دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة على أهل بيته وبقية آله مراد من هذه الآية ، وإلا لم يسئلوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر ، فلما أجيئوا به دل على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به وأنه ﷺ أقامهم في ذلك مقام نفسه لأن القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم ومن ثم لما أدخل من مرّ في الكساء قال : اللهم إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم ، وقضية إستجابة هذا الدعاء أن الله صلى عليهم معه فحيثئذ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه .

ويروى : لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء ، فقالوا وما الصلاة البتراء؟ قال : تقولون : اللهم صل على محمد وتمسكون بل قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد^(١) .

إلى أن قال : وذكر الفخر الرازي : أن أهل بيته ﷺ يساؤونه في خمسة أشياء :

١. في السلام ، قال : السلام عليك أيها النبي ، وقال (سلام على آل ياسين).

٢. وفي الصلاة عليه وعليهم في التشهد.

٣. وفي الطهارة ، قال تعالى (طه) أي يا طاهر وقال (ويطهركم تطهيراً)

٤. وفي تحريم الصدقة.

٥. وفي المحبة ، قال تعالى (فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) وقال : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (٢).

()

()

وقد روى أعلام القوم في أهل البيت النبي الأطهار روايات كثيرة جداً، منه ما رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل بإسناده إلى علي بن الحسين عن أبيه عن جده: إن رسول الله ﷺ أخذ بيد حسن وحسين رضي الله عنهما فقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة^(١).

فتحصل مما تقدم أن معطيات آية المودة ومفرداتها منسجمة ومتماشية مع ما ذهب إليه أئمة أهل البيت ومن وافقهم من أعلام القوم، وصعبة عصية على الوجوه أو الروايات التي فسرت القربى ببطون قريش وقرابتهم من النبي ﷺ أو بالطاعات والقربة إلى الله، فإن أجر الرسالة ينبغي أن يكون عظيماً كعظمة الرسالة، وطاهراً مقدساً كطهارتها وقدسها دائماً خالداً كخلود الرسالة، وليس ذلك إلا في علي وفاطمة وأبناءهما الأبرار والأطهار أمناء الملك الجبار، والآيات القرآنية التي اشتملت على كلمة (القربى) كقوله تعالى (وَأَتِذَا الْقَرِيبَةَ حَقَّهُ) وغيرها دليل على ما نقول.

..... :

الشرح :

من اعتقادات مدرسة أهل البيت أن المعصوم لا يلي أمره إلا المعصوم أو أن الإمام لا يلي أمره إلا الإمام من الغسل والصلاة عليه، وذلك واضح عند إتباع أهل البيت، وما ورد على خلاف ذلك فمطروح.

فأمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى ذلك، ويشير أيضا إلى مدى حبه واهتمامه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيا وميتا وأنه لا يشغله عنه شاغل بخلاف الذين انتهزوا هذه الفرصة وأبرموا الأمر فيما بينهم حيث أن عليا وأهل بيته منشغلون بمصائبهم الجلل وتجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى كل حال ففي مصادر القوم ما يؤكد أن عليا هو الذي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقد روى الحاكم بإسناده عن سعيد بن المسيب، عن علي عليه السلام قال: غسلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعلت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئا، وكان طيبا حيا وميتا^(١)، قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التخليص على شرط البخاري ومسلم.

وروى أيضا بإسناده إلى ابن عباس قال: لعلي أربع خصال ليست لأحد:

هو أول عربي وأعجمي صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهو الذي كان لواؤه في كل زحف.

والذي صبر معه يوم المهراس.

وهو الذي غسله وأدخله قبره^(٢).

() / .

() / .

وروى أحمد بن حنبل بإسناده عن ابن عباس قال: جعل علي يغسل النبي ﷺ فلم ير منه شيئاً مما يرى من الميت، وهو يقول: بأبي وأمي ما أطيبك حياً وميتاً^(١).
ومن خطبه لأمير المؤمنين ﷺ: ولقد قبض رسول الله ﷺ وأن رأسه لعلى صدري ولقد سألت في كفي، فأمرتها على وجهي، ولقد وليت غسله ﷺ والملائكة أعواني، فضجت الدار والأفنية، ملأ يهبط، وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلون عليه، حتى واريناه في ضريحه فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً ﷺ.

قال ابن أبي الحديد في شرحه لها: فأما الغسل فإن علياً ﷺ تولاه بيده، وكان الفضل يصب عليه الماء.

وروى المحدثون عن علي ﷺ أنه قال: ما قلبت منه عضواً إلا وانقلب، لا أجد له ثقلاً كأن معي من يساعطني عليه، وما ذلك إلا الملائكة^(٢).

وروى ابن المغازلي بإسناده عن الزهري، عن الصائب بن يزيد قال: قال رسول الله ﷺ: لا يحلّ لمسلم يرى مجردي أوعورتي إلا علي^(٣).

وروى أيضاً بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: لا يحلّ لرجل يرى مجردي إلا علي^(٤).

() /

() /

() ﷺ :

()

الشرح :

أشار سلام الله عليه إلى ما أمر الله سبحانه وتعالى به وأوجبه على الأمة من أداء خمس المغنم في قوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

فداء الخمس للمذكورين في هذه الآية انقياد لامر الله وطاعة وعبادة ومن أنكرها فكأنه لم يؤمن بالله سبحانه وتعالى وما انزل على عبده ورسوله من الوحي والمدد والنصر والظفر وغيرها من اللطاف الإلهية يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، فكل هذه الآيات الباهرة الظاهرة تحتم وتوجب على المؤمنين الانقياد والتسليم لما تشرعه هذه الآية، وعلي بن أبي طالب أحد المقصودين في هذه الآية قد أخذ الخمس على عهد رسول الله ﷺ بجعل وتشريع من قبل الله ورسوله فمن طريق أولى إن يكون أحق به من غيره ووليه والقائم عليه من بعد رسول الله ﷺ ومن مثل علي وهو نفس رسول الله ووصيه، فله لا لغيره إن يأخذ بزمام الأمر لأنه المنتخب والمؤمن على ذلك، ومن ابى وبدل وغير فقد رد على الله ورسوله (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (وحلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة) هذا وإن وجوب الخمس لم يكن مخالفاً أو حادثاً مستغرباً عند العرب بل هو موافق منسجم مع تقاليدهم واعرافهم، فإن أهل الجاهلية كانوا يرون للرئيس ربع الغنيمة. قال شاعرهم:

لك المربع منها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول
وقال آخر:

منا الذي ربّع الجيوش لصلبه عشرون وهو يُعد في الاحياء

يقال: ربّع الجيش يربّعه رباعه إذا أخذ ربع الغنيمه. قال الأصمعي: ربّع في الجاهلية وخمّس في الاسلام، فكان يأخذ بغير شرع ولا دين الربع من الغنيمه، ويصطفي منها، ثم يتحكم بعد الصفي في أي شيء أراد، وكان ما شذ منها وما فضل من خرثى ومتاع له، فأحكم الله سبحانه الدين بقوله: (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ...) الآية فحصر الخمس في بيت أو قوم وتحريم الصدقة عليهم دليل على شرفهم وسيادتهم على غيرهم، ولذلك سارع أعداء أهل البيت الى وضع أيديهم وفرض سلطانهم على الخمس ومصادره لما فيه من دلالات و اشارات يفهمها الناس آنذاك جيداً ولا تحفى على أولي الأبواب ومن نظر في العلل والأسباب.

والحكمة في ولاية أهل البيت على الخمس واضحة، لان الله سبحانه وتعالى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وأهلهم لقيادة العالم وهداية العباد فلهم منصب القيادة والسيادة وهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأنهم الحكماء والاطباء الذين يعلمون الداء والدواء والنفع والضراء فهم خير الورى واعلام الهدى ولهم لا غيرهم منصب التطهير والصلاة التي تكون سكناً للمؤمنين (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

فإن كانت الزكاة تطهر وتزكي النفوس والأموال والنسل والذرية فكذلك هو الخمس بل يزيد على الزكاة انه الفيصل في معرفة الايمان الصادق من الايمان الكاذب (إِنْ كُنْتُمْ أُمَّتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا...) الآية.

فأولياء الخمس وأصحابه محمد وآله الأطهار أهل الجود والإيثار الذين قال الله فيهم (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ❖ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا) وهم المصدق الأكمل لقوله تعالى: (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) والى هذا يشير قول رسول الله ﷺ: (وإن الخمس مردود إليكم) لأنه في أيدي طاهرة مطهرة همها خدمة الخلق والحق.

وقد تطابقت كلمات أئمة أهل البيت ﷺ على أن الخمس لهم لأنهم أولياء الأمر الذين يقومون مقام النبي ﷺ والروايات في هذا المجال كثيرة جداً منها ما رواه الكافي بإسناده الى سليم بن قيس الهلالي من خطبة لأمير المؤمنين جاء فيها:

وأعطيت من ذلك سهم ذي القربى الذي قال الله عز وجل: (إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ) فنحن والله عنى بذى القربى الذي قرننا الله بنفسه ورسوله ﷺ فقال تعالى: (فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ) فينا خاصة (كَي لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ) في ظلم آل محمد (إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ^(١) لم ظلمهم، ورحمة منه لنا وغنى أغنانا الله به ووصى به نبيه ﷺ ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً، أكرم الله رسوله ﷺ وأكرمنا أهل البيت أن يطعمنا من أوساخ الناس، فكذبوا الله وكذبوا رسوله، وجحدوا كتاب الله الناطق بحقنا، ومنعونا فرضاً فرضه الله لنا، ما لقي أهل بيت نبي من أمته ما لقينا بعد نبينا ﷺ والله المستعان على من ظلمنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ^(٢).

()

() / / / .

وجاء في كتاب للإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام : أن الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالاتنا وعلى أموالنا (موالينا) وما نبذله ونشتري من أعراضنا ممن نخاف سطوته ، فلا تزووه عنا ، ولا تحرموا أنفسكم دعاءنا ما قدرتم عليه ، فإن إخراجهم مفتاح رزقتكم ، وتمحيص ذنوبكم وما تمهدون لأنفسكم ليوم فاقتكم ، والمسلم من يفى الله بما عهد إليه ، وليس المسلم من أجاب باللسان وخالف بالقلب ^(١).

ومع شدة التكتم والتعتيم على حقيقة الخمس في مصادر القوم فإننا لا نعدم الرواية والاشارة والتصريح فقد روى مسلم في صحيحه بستة طرق : أن نجدة بن عامر الحروري كتب الى ابن عباس يسأله عن خلال ، فجاء الجواب عن ابن عباس : وكتبت تسألني عن الخمس لمن هو؟ وانا كنا نقول : هو لنا ، فأبى علينا قومنا ذلك . وفي رواية أخرى : وكتبت تسألني عن ذوي القربى من هم؟ وإنا زعمنا أنا هم ، فأبى ذلك علينا قومنا .

وفي رواية ثالثة : فكتب إليه : إنك سالت عن سهم ذي القربى الذي ذكر الله ، من هم؟ وإنا كنا نرى أن قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم نحن ، فأبى ذلك علينا قومنا ^(٢) . وفي تفسير الطبري بإسناده عن المنهال بن عمرو قال : سالت عبد الله بن محمد بن علي ، وعلي بن الحسين عن الخمس فقالا : هو لنا ، فقلت لعلي : إن الله يقول (وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) : فقال : يتامنا ومساكيننا ، وفيه عن أبي الديلم قال : علي بن الحسين رحمة الله عليه لرجل من أهل الشام : أما قرأت (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ...) قال : نعم فإنكم لأنتم هم؟ قال : نعم .

/ ()

()

وفيه عن مجاهد قال: هؤلاء قرابة رسول الله ﷺ الذين لا تحل لهم الصدقة وقال الزمخشري في الكشاف: وعن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه كان على ستة أسهم لله وللرسول سهمان، وسهم لأقاربه حتى قبض ﷺ فاجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء، وروي أن با بكر منع بني هاشم الخمس وقال: إنما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم^(١).

وفي الدر المنثور قال: واخرج ابن ابي شيبة وابن النذر من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما في جوابه عن أسئلة نجدة الحروري عن سهم ذي القربى قال: هو لقربى رسول الله ﷺ قسمه لهم رسول الله ﷺ وقد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً رأيناه دون حقنا فرددناه عليه وأبينا أن نقبله، وكان عرض عليهم أن يعين ناكحهم، وأن يقضي عن غارمهم، وان يعطي فقيرهم، وابتى أن يزيدهم على ذلك^(٢).

ونظراً لسنة الشيخين أجتهد أئمة القوم، فعند الشافعي: أنه يقسم على خمسة أسهم، سهم لرسول الله ﷺ يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين، كعدة الغزاة من الكراع والسلاح، وسهم لذي القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين، والباقي للفرق الثلاثة وهم: اليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

وقال أبو حنيفة: أن بعد وفاة الرسول ﷺ سهمه ساقط بسبب موته، وكذلك سهم ذوي القربى، وإنما يعطون وفقرائهم، فهم أسوة سائر الفقراء، ولا يعطى

() / .

() / .

أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل. وقال مالك: الأمر في الخمس مفوض الى الامام إن رأى قسمته على هؤلاء فعل، وإن رأى إعطاء بعضهم دون بعض فله ذلك^(١).

هذا حال الخمس عند أئمة القوم. أما عند عوامهم فهو في قعر النسيان وقاع الهجران.

ودع عنك نهبا صريح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل

وأما أتباع مدرسة أهل البيت فانهم يؤدون الخمس من كل شيء يستفيدونه الى إمام زمانهم وولي أمرهم والى السادة الاشراف من ذرية الرسول ﷺ ومن اتهم الى بني هاشم لتطيب بذلك نطفهم وتطهر نفوسهم وأموالهم وتقبل طاعتهم وترفع أعمالهم.

ثمرات الخمس:

ثمرات أداء الخمس كثيرة عظيمة لا تحفى على العدو والصديق، ومن أجل أداء هذه الفريضة تحمل أئمة أهل البيت وشيعتهم المصاعب والمتاعب والثواء والعناء، ولها الاثر الكبير في استمرار الحركة الفكرية والجهادية وانعاش الحالة الاقتصادية والاجتماعية فقام المذهب على قدميه عزيزاً مهاباً مستغنياً عن الحكام مستقلاً عنهم حراً في ما يقرر ويريد، بينما نرى غيرهم يعيش على فتاة الجهاز الحاكم مكبلاً بما يمن عليه مطيعاً لأوامره واراדתه.

وفي هذا قال أحد الفضلاء:

() / .

وأوجد الشيعة مجتمعاً عملوا بأداء الخمس الذي كانوا يؤدونه للأئمة سلام الله عليهم خفية ، وهم الآن يؤدونه الى المرجع الذي يقلدونه نيابة عن الامام المهدي (عليه السلام) وهؤلاء يقومون بصرفه في أبوابه المشروعة ، من تأسيس حوزات علمية ، ومبرات خيرية ومكتبات عمومية ، ودور أيتام وغير ذلك من أعمال جليلة كدفع رواتب شهرية لطلبة العلوم الدينية والعلمية وغيرها. ويكفينا إن نستنتج من هذا إن علماء الشيعة مستقلون عن السلطة الحاكمة ، لان الخمس يفي بحاجاتهم ويقومون باعطاء كل ذي حق حقه.

وأما علماء أهل الطاعة والجماعة فهم عالة على الحكام وموظفون لدى السلطة الحاكمة في البلاد ، وللحاکم إن يقرب من شاء منهم أو يبعد حسب تعاملهم معه وافتائهم لمصالحه فأصبح العالم بذلك اقرب الى الحاكم منه الى مجرد عالم! وهو بعض الآثار الوخيمة التي ترتبت على ترك العمل بفريضة الخمس بمعناها الذي فهمه أهل البيت (عليهم السلام).

) : : (. :

الشرح :

في هذه الآية خطاب من الله سبحانه وتعالى الى نبيه باعطاء وايتاء حق ذي القربى ، ولا شك ولا ريب إن رسول الله ﷺ امثل هذا الأمر الإلهي فأوصل الحق الى أهله وسلمه اليهم كما تقتضية صيغة الأمر في (وآت) فتصرف فيه أصحابه تصرف المالك لهذا الحق ، وفي ذلك أقوى دليل على أنهم أولياء هذا الأمر، إذ أن جعل هذا الحق يستبطن الولاية والقيمومية المستمرة الدائمة لأنه صدر ممن له الأمر والحكم ، فالله سبحانه وتعالى بهذا قد أتم نور علي وبرهانه وحجته وأعلى كلمته قبل إن يتمخص المتقصدون هذا الحق ، وفيه رد وابطال لكل اجتهاد وتأويل وتلاعب وتبديل حصل في الحقوق الثابتة لمحمد وأهل بيته ، لأنه مما لا يخفى على كل مسلم أنه وقع خلاف ونزاع شديد بين الجهاز الحاكم وأهل البيت في هذه المسألة وغيرها ، والقاعدة تقتضي إن عليا مع الحق والحق مع علي ، وأن الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها ، وأن على المسلم إن يتمسك بالثقلين ، بهذا جاءت التعاليم النبوية ، وعلى كل حال ففي مصادر الفريقين من الروايات والأخبار والآثار ما يجلي الحقيقة ويظهرها لمن تأملها وتدبرها ففي الدر المنثور قال :

وأخرج البزاز وأبو يعلى وابن حاتم وابن مردويه ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية (وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) دعا رسول الله ﷺ فاطمة فاعطاها فذك.

وقال: واخرج ابن مردويه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت (وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ) أقطع رسول الله ﷺ فاطمة فدكا^(١).

وروى الطبري في تفسيره عن السدي، عن ابي الديلم قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أفما قرأت في بني اسرائيل (وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ)؟ قال: وانكم للقرابة التي أمر الله جل ثناؤه أن يؤتى حقه؟ قال: نعم.

وأخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل رواية أبي سعيد المتقدمة بسبع طرق. قال ابن اسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصلحونه على النصف من فدك فقدمت عليه رسلهم بخيبر، أو بالطائف، أو بعد ما قدم المدينة، فقبل ذلك منهم، فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب^(٢).

وروى الشيخان في صحيحهما وأحمد في المسند وعمر بن شبة في تاريخ المدينة والكلام للأخير عن عروة عن عائشة: أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله على رسوله، وفاطمة حينئذ تطلب صدقة النبي ﷺ التي بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال، وإني لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها بما عمل رسول الله ﷺ فابى أبو بكر أن يدفع إلى

()

() /

فاطمة رضي الله عنها منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أباً بكر، وصلى عليها علي رضي الله عنه^(١).

وروى عمر بن شبة بإسناده عن أم هانئ: أن فاطمة رضي الله عنها قالت لأبي بكر: من يرثك إذا مت؟ قال: ولدي وأهلي، قالت فمالك ترث رسول الله دوننا؟! قال: يا بنت رسول الله، ما ورثت أباك داراً ولا مالاً ولا ذهباً ولا فضة. قالت: بلى سهم الله الذي جعله لنا، وصافيتنا التي بفدك، فقال: أبو بكر: سمعت النبي ﷺ يقول: إنما هي طعمة أطعمنا الله، فإذا مت كانت بين المسلمين^(٢).

وروى أيضاً عن أبي صالح مولى أم هانئ عن فاطمة رضي الله عنها قالت: دخلت على أبي بكر بعد ما استخلف فقلت: يا أبا بكر أرايت إن مت اليوم من كان يرثك؟ قال: ولدي وأهلي، قلت: فلم ترث رسول الله ﷺ دون ولده وأهله؟ قال: ما فعلت، بنت رسول الله. قلت: بلى عمدت الى فدك وكانت صافية لرسول الله ﷺ فأخذتها وعمدت الى ما أنزل من السماء فرفعته هنا. قال: بنت رسول الله لم أفعل، حدثني رسول الله ﷺ: أن الله تبارك وتعالى يطعم النبي الطعمة ما كان حياً، فإذا قبضه الله رُفعت، قلت: أنت ورسول الله أعلم، ما أنا بسائلتك بعد مجلسي هذا^(٣).

ومن كلام لزيد بن علي أخرجه مخرج التقيّة قال: إن أبا بكر كان رجلاً رحيماً وكان يكره إن يغير شيئاً تركه رسول الله ﷺ، فأتته فاطمة رضي الله عنها فقالت: إن

()

()

()

رسول الله أعطاني فذك. فقال لها: هل لك على هذا بينة؟ فجاءت بعلي (رضي الله عنه) فشهد لها، ثم جاءت بأم أيمن فقالت: أليس تشهد أنني من أهل الجنة؟ قال: بلى قالت فأشهد أن النبي ﷺ أعطاهها فذك. فقال: أبو بكر: فبرجل وامرأؤ تستحقينها أو تستحقين بها القضية^(١).

وهنا كلام لعلي ﷺ ذكر في مصادر أهل البيت قال: يا أبا بكر تقرأ كتاب الله؟ قال: نعم. قال: فأخبرني عن قول الله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) فيمن نزلت، أفينا أم في غيرنا؟ قال: بل فيكم. قال: فلو أن شاهدين شهدا على فاطمة & بفاحشة، ما كنت صانعاً؟ قال: كنت أقيم عليها الحد كما أقيم على سائر المسلمين. قال ﷺ: كنت إذن عند الله من الكافرين. قال: ولم؟ قال: لأنك رددت شهادة الله لها بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم الله وحكم رسوله أن جعل رسول الله ﷺ لها فذك وقبضته في حياته، ثم قبلت شهادة أعرابي بوال على عقيبه، مثل أوس بن الحدثان، وأخذت منها فذك وزعمت انه فيء للمسلمين وقد قال رسول الله ﷺ: البينة على المدعي واليمين على من ادعي عليه^(٢).

ومن كلام لعمر بن الخطاب مخاطباً به علياً والعباس قال: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله اختص رسوله في هذا الفيء بشيء لم يُعطه أحدا غيره، قال الله عز وجل (ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رُسُلَهُ على من يشاء والله على كل شيء قدير) فكانت هذه خاصة لرسول الله ﷺ فما أحتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، لقد أعطاكموها وبثها فيكم حتى

() /

()

بقي منها هذا المال ، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم ، ثم يأخذه فيجعله يجعل مال الله ، فعمل ذلك حياته ثم توفي ، فقال أبو بكر : أنا ولي رسول الله ﷺ وقد عمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأنتما حين - وأقبل على علي العباس - تزعمان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر ، الله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفي الله أبو بكر ، فقلت أنا أولى الناس برسول الله ﷺ وبأبي بكر ، فقبضتها سنتين أو سنين من أمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وبمثل ما عمل فيها أبو بكر - وأقبل على علي والعباس - فتزعمان أنني فيهما ظالم فاجر ، والله يعلم أنني لصادق بار...الحديث^(١) .

ف رأي علي ﷺ في أبي بكر وعمر أنهما ظالمان فاجران لشهادة عمر ، وعلي من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فلا يقول باطلاً وزوراً وأنه ﷺ يدور مع الحق حيث دار ، فلذلك النفث البخاري وأحمد وغيرهما فأبدلا كلمتي ظالماً وفاجراً بكذا وكذا وهي عادة مطردة عند القوم قديماً وحديثاً لا تخفى على أهل الخبرة .

والاعذار التي ذكرها الخليفة من قوله : إن رسول الله ﷺ لا يورث ما تركه صدقة أو أن ما تركه طعمة وغيرها فلو كان رسول الله ﷺ قالها لما خفت على باب علمه علي بن ابي طالب ﷺ وابنته الصديقة الطاهرة ، ثم أن رسول الله ﷺ لا يتناقض مع الكتاب المنزل عليه فأيات المواريث ما أخرجت فاطمة وأباها ﷺ كما

() / / /

احتجت الزهراء سلام الله عليها بهذا في خطبتها التي سوف نذكرها في آخر كتابنا إن شاء الله.

ثم إن هذه الاعذار والتبريرات لا تخلو من تناقض وتضارب نكتفي بما ذكره ابن أبي الحديد عنها قال :

قلت في هذا الحديث عجب ، لأنها - فاطمة - قالت له : أنت ورثت رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال : بل أهله ، وهذا تصريح بأنه ﷺ مَوْرُث يرثه أهله ، وهو خلاف قوله لا نورث^(١).

وقال ابن أبي الحديد عن الرواية القائلة أن أزواج النبي أرسلن عثمان بن عفان الى أبي بكر يسألن ميراثهن من رسول الله. قلت : هذا مشكل ، لان الحديث الأول يتضمن أن عمراً قسم على جماعة فيهم عثمان فقال : نشدكم الله ، أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : لا نورث ما تركناه صدقة ، فقالوا : نعم. ومن جملتهم عثمان ، فكيف يعلم بذلك فيكون رسولاً لأزواج النبي ﷺ يسأله إن يعطيهم الميراث^(٢).

قال : وهاهنا إشكال آخر ، وهو أن عمر ناشد عليا والعباس : هل تعلمان ذلك؟ فقالا : نعم فإذا كانا يعلمانه فكيف جاء العباس وفاطمة إلى أبي بكر يطلبان الميراث على ما ذكره في الخبر السابق على هذا الخبر ، وهل يجوز أن يقال : كان العباس يعلم ذلك ثم يطلب الارث الذي لا يستحقه؟ وهل يجوز أن يقال : إن علياً كان يعلم ذلك ويمكن زوجته أن تطلب ما لا تستحقه؟! خرجت من دارها الى المسجد ، ونازعت أبا بكر ، وكلمته بما كلمته ، إلا بقوله وإذنه ورأيه.

() / .

() / .

وأيضاً فإنه إذا كان ﷺ لا يورث فقد أشكل دفع آلاته ودابته وحذائه الى علي لأنه غير وارث في الأصل ، وإن كان أعطاه ذلك لأن زوجته بعرضة ان ترث لولا الخبر فهو أيضا غير جائز ، لأن الخبر قد منع من أن يرث منه شيئا قليلاً كأن أو كثيراً.

قال : وهاهنا اشكال آخر ، وهو قول عمر لعلي ﷺ والعباس : وأنتما حينئذ تزعمان إن أبا بكر فيها ظالم فاجر ، ثم قال عمر ، لما ذكر نفسه : وأنتما تزعمان أنني فيها ظالم فاجر ، فإذا كانا يزعمان ذلك فكيف يزعم هذا الزعم مع كونهما يعلمان أن رسول الله ﷺ قال : لا أورث ! إن هذا لمن أعجب العجائب ، ولولا إن هذا الحديث - أعني خصومة العباس وعلي عند عمر - مذكور في الصحاح المجمع عليها لما أطلت العجب من مضمونه ، إذ لو كان غير مذكور في الصحاح لكان بعض من ذكرناه يطعن في صحته ، وإنما الحديث في الصحاح لا ريب في ذلك^(١).

قال : وهذا الحديث يدل صريحاً على إنهما جاء يطلبان الميراث لا الولاية ، وهذا من المشكلات لأن أبا بكر حسم المادة أولاً ، وقرر عند العباس وعلي وغيرهما أن النبي ﷺ لا يورث ، وكان عمر من المساعدين له على ذلك ، فكيف يعود العباس وعلي بعد وفاة أبي بكر يحاولان أمراً قد كان فرغ منه ، ويئس من حصوله ، اللهم إلا أن يكونا ظنا أن عمر ينقض قضاء أبي بكر في هذه المسألة وهذا بعيد ، لأن علياً والعباس كانا في هذه المسألة يتهمان عمر بمالأة أبي بكر على ذلك ألا تراه يقول : نسبتماي ونسبتما أبا بكر إلى الظلم والخيانة ، فكيف يظنان أنه ينقض قضاء أبي بكر ويورثهما^(٢).

() : / .

() : / .

هذا وقد أورد ابن أبي الحديد إشكالات أخرى على الأعذار والذرائع التي ذكرها الخليفة يطول المقام بذكرها.

ثم قال: واعلم أن الناس يظنون أن نزاع فاطمة أبا بكر كان في أمرين: في الميراث والنحلة، وقد وجدت في الحديث أنها نازعت في أمر ثالث، ومنعها أبو بكر إياه أيضاً، وهو سهم ذوي القربى.

ثم ذكر الأدلة على ذلك.

وصدق الرجل فإن الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها تقدمت

بدعوي ثلاثة وهي

١. دعوى النحلة.

٢. دعوى سهم ذوي القربى.

٣. دعوى الميراث.

لكن الخليفة بدهائه وذكائه السياسي أدرك خطورة الموقف وأن ليس من مصلحته أن يتنازل أو يستسلم فرجعت سلام الله عليها منكسرة مهتزمة تشكوا إلى الله وإلى أبيها قائلة:

قد كان بعدك أبناء وهنشة لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب
إننا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا
أبدى رجال لنا نجوى صدورهم لما مضيت وحالت دونك الترب

قال أبو بكر: وحدثني جعفر محمد بن القاسم قال: حدثني علي بن الصباح

قال: أنشدنا أبو الحسن راية المفضل للكميت:

أهوى علينا أمير المؤمنين ولا أرضى بشتم أبي بكر ولا عمراً

ولا أقول وإن لم يعطيا فديكاً بنت النبي ولا ميراثها كفرنا
الله يعلم ماذا يأتيان به يوم القيامة من عذرٍ إذ اعتذرا^(١)
وقال الجاحظ: والعجب أنا وجدنا جميع من خالفنا في الميراث على اختلافهم
في التشبيه والقدر والوعيد يرد كل صنف منهم من أحاديث مخالفه وخصومه ما هو
أقرب إسناداً، وأصح رجالاً، وأحسن اتصالاً، حتى إذا صاروا الى القول في ميراث
النبي ﷺ نسخوا الكتاب، وخصوا الخبر العام بما لا يداني بعض ما ردّوه، وأكذبوا
قائله، وذلك أن كل إنسان منهم إنما يجري إلى هواه، ويصدق ما وافق رضاه^(٢).

وقال الكاتب المصري الشهير عبد الفتاح عبد المقصود في مقدمة له على كتاب
(فدك) للسيد محمد حسن الموسوي: لقد وجدته وأنا أتأمل كتاب فدك إنما كنت
أتأمل حشداً من الأسانيد لاثبات ما ليس بحاجة إلى إثبات إلى أن يقول: ذلك أن
أرض فدك - نحلة كانت أو مرايشا - هي حق خالص لفاطمة لا يمكن المماراة
فيه. والذين يمنعون النظر في نقاش أبي بكر للزهراء، لا يغيب عنهم أن الخليفة الأول
لم ينكر على سيدة نساء العالمين دعوى النحلة، لكنه لم يقبلها بسبب افتقارها إلى
سلامة العدد والنوعية في شهود التأييد. إلى أن يقول: والرأي أن الأصل في فدك أنها
ملك خالص لرسول الله ﷺ يجوز أن تكون قد بقيت له حتى وفاته، ويجوز أن
يكون قد أنحلها أبنته قبل الوفاة، فإن كانت له فإنها خليفة بأن تؤول لفاطمة. بحق
الميراث، فإن طعن بحديث (لا نورث)^(٣) وقيل بل تسري عليها قاعدة الصدقة، حق

() / .

() / .

() ()

() :

:

أن نتساءل : ولماذا لم يعمل النبي فيها حديثه هذا فيتصدق بها وهو بعد على قيد الحياة؟

لقد ثبت أنه ﷺ كان يملك قبيل وفاته سبعة دنانير، خاف أن يقبضه الله وهي في حوزته فأمر أهله أن يتصدقوا بها، وألح عليهم... فلما أن أنساهم أمرها تلهفهم عليه، لم تنسه هو حشرجته، فطاردهم بسؤاله عن المال حتى جاءوه به، وعندئذ وضعه في كفه وقال: ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه، ثم أمر فتم التصديق به على الفقراء.

فهل يمكن القول بأن رسول الله ﷺ الذي لم يغفل عن الدنانير على قلتها يغفل أمر الأرض وهي أكثر الكثير؟! إلى أن يقول:

كلا لم يتصدق محمد بفدك لأنها لا تقع في مجال تطبيق ذلك الحديث المنقول عن أبي بكر، فلم تكن ملكا له، بل كانت ملكا لسواه ملكا لابنته الزهراء لم ينازعها في ملكها أحد من الناس كما هو ثابت في التاريخ.

قال برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية: وفي كلام سبط ابن الجوزي أنه (أبا بكر) كتب لها (فاطمة) بفدك ودخل عليه عمر فقال: ما هذا فقال كتاب كتبه

:

()

لفاطمة بميراثها من أبيها فقال ماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى، ثم أخذ عمر الكتاب فشقه^(١).

وقد يستغرب بعضهم هذا ويشنع عليه وعلى ناقله، ولكن إذا تأمل الأخبار الواردة في رزية الخميس هان عليه هذا وأمثاله فقد روى الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب. فقال النبي ﷺ: هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده قال عمر: أن النبي غلبه الوجد، وعندكم القرآن، فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والإختلاف عند النبي ﷺ قال: قوموا عني. قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين إن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغظهم^(٢).

وروى الشيخان عن ابن عباس أيضاً: أنه قال يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال: أئتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا. فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله ﷺ قال: دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه. وأوصى عند موته بثلاث: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، ونسيت الثالثة^(٣).

() / .

()

()

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: ائتوني أكتب لكم بكتابتها لا تضلوا بعده. قال عمر: أن النبي ﷺ غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال ﷺ: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول: أن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه^(١).

وروى مسلم وأحمد عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ. قال: قال رسول الله ﷺ ائتوني بالكثف والدواقة أو اللوح والدواقة أكتب لكم كتاب لن تضلوا بعده أبدا. فقالوا: أن رسول الله يهجر^(٢).

وروى أحمد بن حنبل بإسناده عن جابر: أن النبي ﷺ دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلون بعده، قال: فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها^(٣).

فان الذي منع رسول الله ﷺ وحال بينه وبين الكتاب وغلبه في الخطاب وانظم إليه أكثر الأصحاب حتى قالوا: القول ما قاله عمر، لا يصعب عليه تمزيق الكتاب الذي كتبه أبو بكر لفاطمة، بل هو أهون عليه من أكفاء الإناء وشرب الماء، والذي يتأمل الأحداث التي وقعت في مرض رسول الله ﷺ إلى ما بعد وفاته يعرف قوة الحزب والحركة والتنظيم الذي قاده القوم وكيف حالوا بين رسول الله ﷺ وبين أوامره.

()

()

()

والذي يحز في نفس كل غيور على دينه أنك تجد من يبرر هذه الأعمال ويتستر عليها، ولو قدر أن رسول الله ﷺ كتب ذلك الكتاب فأخذه عمر وشققه لو جدنا من يحمل هذا العمل على الصحة والاجتهاد والتأويل ويفتى على أساسه تحت عنوان أن يجوز لولي الأمر إن يشفق أو يمزق ما كتبه المريض.

ثم أنه ما أكبرها من كلمة خرجت من داهية ذكي وسياسي منحك فإن كلمة (يهجر) أو غلب عليه الوجع لا تبقي حجة للكتاب لو أن رسول الله ﷺ كتبه لأنه يقال أنه كتبه في حالة هجر وهذيان وخلط.

هكذا الشأن في كل الأعذار والتبريرات التي اعتمدها القوم في مواجهة النبي واهل بيته لا تستند الى دليل عقلي منطقي أو نقلي قطعي ابتداءً من نكران النص في بيعة الغدير الى ماشاء، بل أنها تتناقض بين الآونة والأخرى ومن شخص الى آخر، فترى الأول يستدل على صحة أمر أو على صحة موقف اتخذته بدليل ما ثم يأتي الآخر، يناقض ذلك الاستدلال ويكذبه، ثم التفتوا الى ما هم فيه من التناقض فصححوه بفتح باب الإجتهد والتأويل وان للمصيب أجرين وللمخطأ أجرا وحدا، وصار الدين والشرع كالطينة أو العجينة في يد أحدهم يصنع منها الشكل أو الصورة التي يريدونها، ولنذكر هنا بعض هذه التناقضات ليكون القارئ منها على علم:

١. كيف يصح ما زعموا أن رسول الله ﷺ قال: مروا أبا بكر أن يصلي بالناس، وقد قال عمر: أن النبي يهجر أو غلبه الوجع، فهذا الأمر على رأيكم من الهجر والهذيان فلا يترتب عليه أثر^(١).

٢. قول عمر: حسبنا كتاب الله، أو ليس الله قال في كتابه (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) وقال سبحانه (ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) فما هذا اللغط و الاختلاف في محضر رسول الله ﷺ.

٣. عندما أغمي على أبي بكر في حال وفاته ووصيته كتب عثمان بن عفان إسم عمر للخلافة ولم يكن هناك من قال أن أبا بكر يهجر أو غلبه الوجع بل إن الذي قال هذه الكلمة عمل بوصيه أبي بكر هذه .

٤. قوله في بيعة أبي بكر: أنها فلتة وقى الله المسلمين شرها، فمن عاد لمثلها فاقتلوه. فقد عاد لمثلها أبو بكر إذ أدلى بالخلافة الى عمر، وعاد لمثلها عبد الرحمن بن عوف إذ جعلها لعثمان، وعاد لمثلها معاوية إذ جعلها ليزيد.

٥. الشورى التي جعلها في ستة، ثم أمر بقتلهم حيث قال: فان اجتمع خمسة وأبى واحد فاضربوا عنقه، أو قوله فكونوا مع الذين فيهم أبن عوف واقتلوا الباقين، فكيف ينسجم قوله هذا مع قوله إن رسول الله ﷺ مات وهو راض عن هؤلاء أو أن هؤلاء من العشرة المبشرة بالجنة. ومن أراد المزيد من هذه التناقضات فعليه بكتاب النص والإجتهد لشرف الدين العالمي.

ولنرجع إلى ما كنا فيه من موقف الخلفاء إزاء الزهراء سلام الله عليها، فشاء الله سبحانه وتعالى أن تكون قضية فذك شاهداً خالداً وقضاء فاصلاً لكل طالب وباحث عن الحقيقة ولهذا وذاك حاول أئمة أهل البيت عليهم السلام أثارها كلما سنحت لهم الفرصة لأن في أحيائها انتصارا وإظهار للدين والحق واندحاراً للتعسف والظلم.

روى الكليني بإسناده عن علي بن أسباط قال: لما ورد أبوا الحسن موسى ﷺ على المهدي (العباسي) رآه يرد المظالم فقال: يا أمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا ترد؟ فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال: أن الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه ﷺ فذك وما والاها، لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فأنزل الله على نبيه ﷺ (وَأَتَ ذَا

(القريب) فلم يدر رسول الله ﷺ من هم، فراجع في ذلك جبرائيل وراجع جبرائيل ﷺ ربه فأوحى الله إليه أن أدفع فذك إلى فاطمة ﷺ فدعاها رسول الله ﷺ فقال لها: يا فاطمة: أن الله أمرني أن أدفع إليك فذك، فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله ﷺ فلما ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاءها، فأتته فسألته أن يردها عليها، فقال لها ائتني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك، فجاءت بأمر المؤمنين ﷺ وأم أيمن فشهدا له، فكتب لها بترك التعرض، فخرجت والكتاب معها: فلقبها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمد؟ قالت كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة، قال: أرينيه فأبت فانتزعه من يدها ونظر فيه، ثم تغل فيه ومحاة وخرقه، فقال لها: هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل ولا ركاب فضعي الحبال في رقابنا.

فقال له المهدي: يا أبا الحسن حُدها لي، فقال: حد منها جبل أحد، وحد منها عريش، وحد منها سيف البحر، وحد منها دومة الجندل، فقال له: كل هذا؟! قال: نعم يا أمير المؤمنين، هذا كله مما لم يوجف على أهله رسول الله ﷺ بخيل ولا ركاب فقال: كثير، وانظر فيه^(١).

وقال الزمخشري في ربيع الأبرار: كان الرشيد يقول لموسى الكاظم بن جعفر: يا أبا الحسن حد فذك حتى أردتها عليك، فيأبى حتى ألح عليه فقال: لا أخذها إلا بحدودها، قال: وما حدودها؟ قال يا أمير المؤمنين إن حددتها لم تردّها، قال بحق جدك إلا فعلت؟ قال: أما الحد الأول فعدن، فتغير وجه الرشيد وقال: هيه قال: والحد الثاني سمرقند، فأريد وجهه قال: والحد الثالث إفريقية، فأسود وجهه وقال:

هيه والرابع سيف البحر مما يلي الخزر وأرمينية قال الرشيد فلم يبق لنا شيء فتحول في مجلسي ، قال موسى : قد اعلمتك إني إن حددتها لم تردّها^(١) .

وهذا يعني حدود الدولة الإسلامية آنذاك ، أشار ﷺ إلى أن نزاع الصديقة الطاهرة مع الخلفاء أكبر من فدك وأكبر من الدولة .

فالمراد من قضية فدك عند أهل البيت ﷺ أولاً وبالذات بيان الحقيقة وكشف ما انطوت عليه نفوس القوم ورفع أو دفع كل إلتباس حصل أو يحصل للأجيال الآتية في النهج القويم والصراط المستقيم الذي حث عليه صاحب الرسالة النبي الكريم ﷺ لان في موقف علي وفاطمة وابناءهما معرفة المسار الصحيح والنهج الصريح ، فصارت فدك وغيرها مبدأً ومنهجاً وموقفاً مثلها كمثل حرب الجمل وصفين وثورة الحسين ﷺ فإنه لا يخفي على كل مسلم كرم أهل البيت وجودهم وزهدهم وإن الدنيا وما فيها عندهم أهون من جناح بعوضة وهذا ما لا نحتاج فيه إلى إقامة الدليل ، وقد قال علي ﷺ :

بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلمت السماء فشحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين ، ونعم الحكم الله ، وما أصنع بفدك وغير فدك ، والنفوس مظانها في غدٍ جدت تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب أخبارها ، إلى آخر خطبته^(٢) .

والمسألة قد تناولها الأعلام بالبحث والتحقيق قديماً وحديثاً على وفق الكتاب والسنة وألفوا فيها كتباً مما لا تدع شكاً ولا ريباً عند طالب الحقيقة .

() / .

() / .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) عند دفن سيدة نساء العالمين مخاطباً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :
 وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها ، فأحفظها السؤال ، واستخبرها الحال هذا
 ولم يطل العهد ، ولم يخل منك الذكر ، والسلام عليكما سلام مودع ، لا قال ولا
 سئم فإن أنصرف فلا عن ملالة...^(١) .

:
 :
 :
 :

الشرح:

روى أحمد بن حنبل في المسند وفي فضائل الصحابة والنسائي والحاكم عن أم مسلمة قالت: والذي أحلف به إن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ قالت: عدنا رسول الله ﷺ غداً بعد غداة يقول: جاء علي؟ مراراً، قالت: وأظنه كان بعثه في حاجة، قالت: فجاء بعد فظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدن عند الباب فكنت من أدناهم الى الباب فأكب عليه علي يساره ويناجيه، ثم قبض رسول الله ﷺ من يومه ذلك فكان أقرب الناس به عهداً^(١).

وروى ابن عساكر والحوارزمي والمحب الطبري عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ وهو في بيتهما لما حضره الموت: ادعوا لي حبيبي فدعوت له أبا بكر فنظر إليه ثم وضع رأسه، ثم قال: ادعوا لي حبيبي، فدعوا له عمر، فلما نظر إليه وضع رأسه، ثم قال: ادعوا لي حبيبي، فقلت: ويلكم ادعوا له علي بن ابي طالب فوالله ما يريد غيره فدعوا علياً فأتاه، فلما رآه أفرج الثوب الذي كان عليه ثم أدخله فيه، فلم يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه^(٢).

() / /

: /

() / /

وروى ابن عساكر عن جميع بن عمير أن أمه وخالته دخلتا على عائشة فقالتا: يا أم المؤمنين أخبرينا عن علي؟ قالت: أي شيء تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله ﷺ موضعاً فسالت نفسه في يده فمسح بها وجهه... الحديث^(١).

وروى ابن سعد عن عمر بن علي قال: قال رسول الله ﷺ في مرضه ادعوا لي أخي، فدُعي له علي فقال: ادن مني، فدنوت منه فاستند إليّ فلم يزل مستنداً إليّ وأنه ليكلمني حتى إن بعض ريق النبي ﷺ ليصيني ثم نزل برسول الله ﷺ وثقل في حجري فصحت يا عباس أدركني فإني هالك فجاء العباس... الحديث^(٢).

وقال أمير المؤمنين عند دفن سيدة نساء العالمين: السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك، السريعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفتك صبري، ورق عنها تجلدي، إلا أن في التأسّي لي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك، فإنا لله وإنا إليه راجعون... الخطبة^(٣).

وأخرج المحب الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعلي أربع خصال ليست لأحد غيره: هو أول عربي وعجمي صلى مع النبي ﷺ وهو الذي كان لواءه معه في كل زحفه، وهو الذي صبر معه يوم فرّ عنه غيره، وهو الذي غسله وأدخله قبره. قال: أخرجه أبو عمر^(٤).

وذكر الخوارزمي في المناقب عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك قالوا: قال رسول الله ﷺ: يا علي أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي، يا علي أنت

() / .

() / .

() / .

() / .

تغسل جثتي وتؤدي ديني وتواريني في حفرتي وتفي بدمتي ، وأنت صاحب لوائي في الدنيا والآخرة^(١).

فعلي عليه السلام مع رسول الله من أول أمره إلى إن وضعه في حفرته وقبره بل إلى أن يرد الحوض فيذود بيديه رجالاً أحدثوا بعد النبي صلى الله عليه وآله ورجعوا القهقري وانقلبوا على أعقابهم.

وبهذا نكون قد شرحنا ما ذكره الخوارزمي في روايته لمناشدة أمير المؤمنين عليه السلام من الفقرات التي لم يذكرها من سبقه من الأعلام لذا نتقل الى علم آخر وهو الحافظ أبو القاسم علي بن الحسين الشافعي المعروف بابن عساكر، وقد أخرجها بسندين قال: في الأول: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم، أنبأنا أبو الفضل أحمد بن عبد المنعم بن أحمد بن بندار، أنبأنا أبو الحسن العتيقي، أنبأنا أبو الحسن الدار قطني أنبأنا أحمد بن محمد بن سعيد، أنبأنا يحيى بن زكريا بن شيبان، أنبأنا يعقوب بن معبد، حدثني مثنى أبو عبد الله، عن سفيان الثوري، عن أبي اسحاق السبيعي، عن عاصم بن ضمرة، وهبيرة، عن العلاء بن صالح، عن المنهال بن عمر، عن عباد بن عبد الله الاسدي، عن عمرو بن واثلة قالوا: قال علي بن أبي طالب يوم الشورى: والله لأحتجن عليهم بما لا يستطيع قرشيهم ولا عريبيهم ولا عجميهم رده ولا يقول خلفه. ثم قال لعثمان بن عثمان، وعبد الرحمن، والزبير، طلحة، وسعد، وهم أصحاب الشورى: أنشدكم بالله لذي لا إله إلا هو... الحديث وذكر ثمانية عشر فقرة.

وفي الثاني قال: أخبرنا أبو البركات الأنماطي، أنبأنا أبو بكر محمد بن المظفر، أنبأنا أبو الحسن العتيقي، أنبأنا يوسف بن أحمد، أنبأنا، أبو جعفر العقيلي، أنبأنا

محمد بن أحمد الوارميني أنبأنا يحيى بن المغيرة الرازي، أنبأنا زافر، عن رجل عن الحرث بن محمد، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني، قال أبو الطفيل: كنت واقفاً على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت علياً يقول: بايع الناس لأبي بكر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به منه، فسمعت واظعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم بايع الناس عمر، وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به منه، فسمعت واظعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم انتم تريدون أن تبايعوا عثمان؟! إذا لا اسمع ولا أطيع وان عمر جعلني في خمسة نفر أنا سادسهم لا يعرف لي فضلاً عليهم في الصلاح ولا يعرفونه لي كلنا فيه شرع سواء، وإيم الله لو اشاء أن أتلكم ثم لا يستطيع عربيتهم ولا عجميتهم ولا المعاهد منهم ولا المشرك أن يرد خصلة منها ثم قال:

انشدكم بالله أيها النفر جميعاً... الحديث، وذكر أربعة عشر فقرة ونحن نقف معه في روايته الأولى وفي فقرة واحدة حيث انها لم تذكر من قبل من تقدمه من الأعلام وهي قوله ﷺ:

ﷺ

:

:

الشرح:

سبق ان اشرنا إلى المقام العلمي الشامخ لعلي (عليه السلام) وذكرنا من الأدلة على ذلك بما فيه الكفاية ، ونكتفي هنا ببعض ما رواه القوم كقول سعيد: لم يكن أحد من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: سلوني إلا علي بن أبي طالب^(١).

وعن أبي الأسود وابنه قالا: سُئِلَ علي عن نفسه فقال: إني أحدث بنعمة ربي، كنتُ والله إذا سألت أعطيت وإذا سكت ابتديت، فبين الجوانح مني علم جم^(٢).
وخطب الإمام الحسن بن علي بعد قتل علي (عليه السلام) فقال: لقد فارقكم رجل أمس ما سبقه الاولون بعلم ولا أدركه الآخرون... الحديث^(٣).

وقول عمر بن الخطاب المتكرر: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن، أو قوله لولا علي لهلك عمر، يدل على غناه وثراءه واحتياج القوم إليه. وفي قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي مع القرآن والقرآن مع علي، وقوله: اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، دليل واضح على ما نقول، فالقرآن الذي هو تبيان لكل شيء مع علي ومن تأمل الأخبار والآثار الواردة في هذا المجال عرف ان علياً (عليه السلام) كان وعاء العلم وعييته، وذلك لما فيه من القابلية والاستعداد والجد والاجتهاد، وان العلم نور يجعله الله في قلب من يشاء، كما ان لدعاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في

() / :

() / :

() / :

حق علي بالعلم والفهم والحفظ بل لكل خير سأله لنفسه ﷺ أثر كبير كما لا يخفى ،
والفقرة التي نحن بصددنا والتي أشار إليها أمير المؤمنين في احتجاجه واحدة من تلك
الدعوات المباركة ، وقد روتها العامة فضلاً عن الخاصة ففي تفسير الطبري بإسناده
عن علي بن حوشب قال :

سمعت مكحولاً يقول : قرأ رسول الله ﷺ (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) ثم التفت إلى
علي ، فقال : سألتُ الله ان يجعلها أذنك ، قال علي رضي الله عنه : فما سمعت شيئاً
من رسول الله ﷺ فنسيته^(١) .

وفيه بإسناده عن عبد الله بن رستم قال : سمعت بريدة يقول : سمعت رسول
الله ﷺ يقول لعلي : يا علي ان الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك ، وان اعلمك وان
تعي وحق على الله ان تعي ، قال : فنزلت (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ)^(٢) .

وفيه بإسناده إلى أبي داود ، عن بريدة الاسلمي قال : سمعت رسول الله ﷺ
يقول لعلي : ان الله أمرني ان اعلمك وان أدنيك ولا أجفوك ولا أقصيك ، ثم ذكر
مثله .

وقال جلال الدين السيوطي في الدر المنثور : وأخرج سعيد بن منصور وابن
جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن مكحول قال : لما نزلت (وتعيها اذن
واعية) قال رسول الله ﷺ : سألتُ ربي ان يجعلها أذن علي ، قال مكحول : فكان
علي يقول : ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً فنسيته^(٣) .

() :

()

()

وقال: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والوحيد وابن مردويه وابن عساكر
والبخاري عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: ان الله أمرني ان أدينك ولا
أقصيك، وان اعلمك، وان تعي وحق لك ان تعي، فنزلت هذه الآية (وَتَعِيهَا أُذُنٌ
وَاعِيَةٌ)^(١).

قال: وأخرج أبو نعيم في الحلية عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي ان
الله أمرني ان أدينك واعلمك لتعي، فأنزل هذه الآية (وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) فأنت أذن
واعية لعلمي^(٢).

وروى الحافظ الكنجي باسناد عن علي ﷺ قال: كنت أدخل على رسول الله
ﷺ ليلاً ونهاراً، فكنت إذا سألته أجابني وان سكت ابتدأني وما نزلت عليه آية إلا
قرأتها وعلمت تفسيرها وتأويلها، ودعا الله لي ان لا أنسى شيئاً علمني إياه فما
نسيته من حرام وحلال وامر ونهي وطاعة ومعصية، وقد وضع يده على صدري
وقال: اللهم املأ قلبه علماً وفهماً وحكماً ونوراً، ثم قال لي: أخبرني ربي عزّ
وجلّ أنه قد استجاب لي فيك^(٣).

وروى بإسناده إلى عبد الله بن مسعود قال: ان القرآن أنزل على سبعة أحرف ما
منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وان علي بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر
والباطن^(٤). قال الحافظ الكنجي: هكذا رواه أبو نعيم في حلية الأولياء في فضائله.

()

()

()

()

قال أمير المؤمنين عليه السلام: نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينايع الحكم، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونها وبمغضنا ينتظر السطوة. قال ابن أبي الحديد في شرحه لهذه الكلمات:

فأما قوله: «ومعادن العلم، وينايع الحكم» يعنى الحكمة أو الحكم الشرعي، فإنه وإن عنى بها نفسه وذريته، فإن الامر فيها ظاهر جداً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا مدينة العلم وعلى بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»، وقال صلى الله عليه وسلم: «أفضاكم على» والقضاء أمر يستلزم علوماً كثيرة. وجاء في الخبر أنه بعثه إلى اليمن قاضياً، فقال: يا رسول الله، إنهم كهول وذوو أسنان وأنا فتى، وربما لم أصب فيما أحكم به بينهم، فقال له: «اذهب فإن الله سيثبت قلبك ويهدى لسانك». وجاء في تفسير قوله تعالى: (وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَأَعْيَةٌ) سألت الله أن يجعلها أذنك ففعل. وجاء في تفسير قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) أنها أنزلت في علي عليه السلام، وما خص به من العلم. وجاء في تفسير قوله تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) : أن الشاهد علي عليه السلام. وروى المحدثون أنه قال لفاطمة: «زوجتك أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأعلمهم علماً». وروى المحدثون أيضاً عنه عليه السلام أنه قال: «من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه، وموسى في علمه، وعيسى في ورعه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب». وبالجملة فحاله في العلم حال رفيعة جداً لم يلحقه أحد فيها ولا قاربه، وحق له أن يصف نفسه بأنه معادن العلم وينايع الحكم، فلا أحد أحق بها منه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١).

روى احمد بن حنبل في الفضائل بإسناده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا دار الحكمة وعلي بابها»^(١).

وروى الحاكم أبو عبد الله النيسابوري بإسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب».

قال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وأبو الصلت ثقة مأمون فاني سمعت ابا العباس محمد بن يعقوب في التاريخ يقول : سمعت العباس بن محمد الدوري يقول : سألت يحيى بن معين عن أبي الصلت الهروية فقال : ثقة ، فقلت : أليس^(٢) قد حدث عن أبي معاوية عن الأعمش : «أنا مدينة العلم»؟ فقال : قد حدث به محمد بن جعفر الفيدي وهو ثقة مأمون.

سمعت أبا نصر أحمد بن سهل الفقيه القباني إمام عصره ببخارى يقول : سمعت صالح بن محمد بن حبيب الحافظ يقول وسئل عن ابي الصلت الهروي فقال دخل يحيى بن معين ونحن معه على ابي الصلت فسلم عليه فلما خرج تبعته فقلت له ما تقول رحمك الله في ابي الصلت فقال هو صدوق فقلت له انه يروى حديث الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد العلم فليأتها من بابها ، فقال : قد روى هذا ذلك الفيدي عن أبي معاوية عن الاعمش كما رواه أبو الصلت. قال الحاكم :

حدثنا بصحة ما ذكره الامام أبو زكريا ثنا يحيى بن معين ثنا أبو الحسين محمد بن احمد بن تميم القنطري ثنا الحسين بن فهم ثنا محمد بن يحيى بن الضريس ثنا محمد بن

() : / .

()

جعفر الفيدي ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد المدينة فليأت الباب.

قال الحسين بن فهم حدثنا أبو الصلت الهروي عن أبي معاوية قال الحاكم ليعلم المستفيد لهذا العلم ان الحسين بن فهم بن عبد الرحمن ثقة مأمون حافظ.

ثم قال الحاكم: ولهذا الحديث شاهد من حديث سفيان الثوري باسناد صحيح حدثني: أبو بكر محمد بن علي الفقيه الامام الشاشي القفال ببخارى وانا سألته حدثني النعمان بن الهارون البلدي ببلد من اصل كتابه ثنا أحمد بن عبد الله بن يزيد الحراني ثنا عبد الرزاق ثنا سفيان الثوري عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي قال سمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد العلم فليأت الباب. انتهى كلام الحاكم^(١).

وهنا هاجت سورة الغضب عند الذهبي واندلعت نيرانه وانتخفت أوداجه وشخص بصره فانتفض قائلاً: بل موضوع، وأبو الصلت لا ثقة ولا مأمون.

فانظر أيها القارئ الكريم إلى المفارقات، فالناكثون والقاسطون والخوارج من أمثال عمران بن حطان الذين حاربوا علياً وأهل بيته ثقات مأمونون، وأبو الصلت الذي نذر نفسه وأوقفها على خدمة أهل البيت لا ثقة ولا مأمون.

ونحى ابن حجر في الصواعق منحى آخر وهو يستدل على أعلمية أبي بكر من علي ﷺ:

قال: لا يقال بل (علي ﷺ) اعلم منه للخبر «أنا مدينة العلم وعلي بابها» لانا نقول سيأتي ان ذلك الحديث مطعون فيه وعلى تسليم صحته أو حسنه فابو بكر محرابها ورواية من اراد العلم فليات الباب لا تقتضي الاعلمية فقد يكون غير الاعلم

يقصد لما عنده من زيادة الايضاح والتفرغ للناس بخلاف الاعلم على ان تلك الرواية معارضة بخبر الفردوس «أنا مدينة العلم، وأبو بكر اساسها، وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلى بابها» فهذه صريحة في ان أبا بكر أعلمهم وحينئذ فالامر بقصد الباب انما هو لنحو ما قلناه لا لزيادة شرفه على ما قبله لما هو معلوم ضرورة ان كلام من الأساس والحيطان والسقف أعلى من الباب^(١).

أقول: من المخجل والمؤسف ان يتسافل وينحط الباحث إلى هذه الدرجة أعني قوله: إذا صح حديث المدينة الوارد في علي عليه السلام فلا بد ان يصح ان أبا بكر أساسها ومحرابها وعمر حيطانها... فلا أدري أي مزاج وأي ذوق يرضى ان ينسب هذا الكلام لافصح من نطق بالضاد، فان العلم ليس متاعاً مادياً ودراهم ودنانير فيحفظ بين حيطان وسقف، بل هو في العقول والقلوب وأصح وأفصح ما يقال في ذلك انه دار أو مدينة ولها باب وللباب مفتاح والمفتاح هنا السؤال، فالفقه فيه أبواب ومسائل وهكذا بقية العلوم، فلم نسمع بالسقف والجدران والاساس والحيطان، لان المراد من العلم نشره وبثه فلا يحتاج إلى هذه المذكورات، وكل وعاء يضيق بما فيه إلا وعاء العلم فالسقف والجدران تحجيم، أجل قد ينطلي هذا الكلام على من يتراطن باللغة الصينية أو الهندية ولم تطرق سمعه كلمة عربية. وفي ذلك قال أحد الفضلاء:

ان القول بان أبا بكر أساسها معناه ان علم رسول الله صلى الله عليه وسلم كله من علم أبي بكر، وهذا كفر كما ان القول بان عمر حيطانها معناه ان عمر يمنع الناس من الدخول للمدينة أعني يمنعهم من الوصول للعلم، والقول بان عثمان سقفها باطل بالضرورة لأنه ليس هناك مدينة مسقوفة وهو مستحيل.

ولا باس بان نذكر بعض الروايات لكي يكون القارئ على علم واطلاع فقد أخرج ابن المغازلي الشافعي الحديث بعدة طرق وأسانيد منها عن عبد الرحمن بن بهمان ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الحديبية وهو آخذ بضبع علي بن أبي طالب ﷺ هذا أمير البررة ، وقاتل الفجرة ، منصور من نصره ، ومخذول من خذله ، ثم مدَّ بها صوته فقال ﷺ أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب^(١) .

وروى بإسناده عن علي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ يا علي أنا مدينة العلم وأنت الباب ، كذب من زعم أنه يصل إلى المدينة إلا من الباب^(٢) .

وروى الحافظ الكنجي بإسناده عن عاصم بن ضمرة ، عن علي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ شجرة أنا أصلها وعلي فرعها والحسن والحسين ثمرتها والشيعه ورقها ، فهل يخرج من الطيب إلا الطيب ، وأنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها^(٣) . ثم قال : هكذا رواه الخطيب في تاريخه وطرقه .

وروى ابن المغازلي بإسناده عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ أنا مدينة الحكمة وعلي بابها ، فمن أراد الحكمة فليأت الباب^(٤) .

وروى بإسناده عن علي ﷺ عن النبي ﷺ قال : أنا دار الحكمة وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأتها^(٥) .

() :

() :

() :

() / :

() / :

وقد أخرج ابن عساكر عدداً كبيراً من هذه الأحاديث في ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق.
 وألف العلامة المحدث المغربي في هذا المجال كتاباً أسماه (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي).
 ومن أراد المزيد فعليه بكتاب الغدير للعلامة الأميني الجزء السادس صفحة ٦١ - ٨١ والجزء الثالث صفحة ٩٥ - ١٠٠.

وشهد شاهد من أهلها:

ولنذكر هنا اعترافاً لا يخلو من مناسبة مع ما نحن فيه، جاء هذا الاعتراف على لسان معاوية بن يزيد بن معاوية فشهد على أهله بالظلم والعدوان وكشف عن حقائق إذا سمعها أو قرأها المخالف لأهل البيت عليهم السلام ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، قال العلامة الشيخ كمال الدين الدميري في حياة الحيوان:

ثمّ قام بالأمر بعده ابنه معاوية، وكان خيراً من أبيه فيه دين وعقل بويع له بالخلافة يوم موت أبيه فأقام فيها أربعين يوماً، وقيل أقام فيها خمسة أشهر وآياماً، وخلع نفسه، وذكر غير واحد أنّ معاوية بن يزيد لما خلع نفسه صعد المنبر فجلس طويلاً ثمّ حمد الله وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء، ثمّ ذكر النبي صلى الله عليه وآله بأحسن ما يذكر به، ثمّ قال:

أيها الناس ما أنا بالراغب في الائتمار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم، وإني لا أعلم أنّكم تكرهوننا أيضاً لأنّا بلينا بكم وبليتم بنا إلا أنّ جدي معاوية رضي الله تعالى عنه قد نازع في هذا الامر من كان أولى به منه ومن غيره لقربته من رسول الله صلى الله عليه وآله وعظم فضله، وسابقته أعظم المهاجرين قدراً وأشجعهم قلباً وأكثر علماً أولهم إيماناً وأشرفهم منزلة وأقدمه صحبة، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وصهره وأخوه

وزوجه رسول الله ابنته فاطمة وجعله لها بعلاً باختياره لها وجعلها له زوجة باختيارها له ، أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنة وأفضل هذه الأمة ، تربية الرسول وابني فاطمة البتول من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية ، فركب جديي معه ما تعلمون وركبتهم معه ما لا تجهلون حتى انتظمت لجدي الأمور ، فلما جاءه القدر المحتوم واخترمته أيد المنون بقي مرتهاً بعمله فريداً في قبره ، ووجد ما قدمت يداه ورأى ما ارتكبه واعتداه ثم انتقلت الخلافة إلى يزيد أبي فتقلد أمركم لهوى كان أبوه فيه ولقد كان أبي يزيد بسوء فعله وإسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة محمد فركب هواه واستحسن خطاه وأقدم على ما أقدم من جرأته على الله وبغيه على من استحل حرمة من أولاد رسول الله ﷺ فقلت مدته وانقطع أثره وضاجع عمله وصار حليف حفرته رهين خطيئته وبقيت أوزاره وتبعته وحصل على ما قدم وندم حيث لا ينفعه الندم وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه فليت شعري ماذا قال وماذا قيل له هل عوقب بإساته وجوزي بعمله ، وذلك طئي ثم اختنقته العبرة فبكى طويلاً وعلا نحيبه. ثم قال : وصرت أنا ثالث القوم والساخط علي أكثر من الراضي ، وما كنت لأتحمل آثامكم ولا يراني الله جلّت قدرته متقلداً أوزاركم وألقاه بتبعاتكم فشأنكم أمركم فخذوه ، ومن رضيتهم به عليكم فولّوه فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم ، والسلام.

فقال له مروان بن الحكم وكان تحت المنبر: أسنة عمرية يا أبا ليلى^(١) فقال : اغد عني ، أعن ديني تخدعني؟ فوالله ماذقت حلاوة خلافتكم فاتجرع مرارتها ائتني برجال مثل رجال عمر رضي الله تعالى عنه على أنه ما كان من حين جعلها شورى

وصرفها عمّن لا يشك في عدالته ظلوماً ، والله لئن كانت الخلافة مغنماً لقد نال أبي منها مغرماً ومأثماً ولئن كانت سواءً فحسبه منها ما أصابه. ثم نزل فدخل عليه أقاربه وأمه فوجدوه يبكي ، فقالت له أمّه : ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك فقال : وددت والله ذلك ثم قال : ويلى إن لم يجرمني ربّي. ثم إن بني أمية قالوا المؤدبه عمر المقصوص أنت علّمته هذا ولقنته إياه وصددته عن الخلافة ، وزينت له حبّ علي وأولاده وحمّلته على ما وسمننا به من الظلم ، وحسنت له البدع حتى نطق بما نطق^(١) وقال ما قال فقال : والله ما فعلته ولكنه مجبول ومطبوع على حب علي فلم يقبلوا منه ذلك ، وأخذوه ودفنوه حياً حتّى مات.

وتوفى معاوية بن يزيد بعد خلعه نفسه بأربعين ليلة ، وقيل بسبعين ليلة ، وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة ؛ وقيل إحدى وعشرين سنة ، وقيل ثمانى عشرة ، ولم يعقب^(٢).

وقد ذكرها اليعقوبي في تاريخه وابن حجر في الصواعق لكنهما هذباها على طريقتهما فابتلعا واقتلعا منها ما لا تهواه أنفسهما.

وهنا ننتقل إلى ابن أبي الحديد إلى علم من أعلام القوم لنرى ما عنده من مناقشة أمير المؤمنين ﷺ فلنقرأ معاً قوله ورأيه فيها. قال : ونحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الروايات من مناقشته أصحاب الشورى ، وتعديده فضائله وخصائصه التي بان بها منهم ومن غيرهم. قد روى الناس ذلك فأكثرُوا ، والذي صح عندنا أنه لم يكن الامر كما روى من تلك التعدييدات الطويلة ، ولكنه قال لهم بعد أن بايع

()

() : / : / :

عبد الرحمن والحاضرون عثمان وتلكأ هو ﷺ عن البيعة: إن لنا حقاً، إن نعطه نأخذه، وإن منعه نركب أعجاز الابل وإن طال السُرى، في كلام قد ذكره أهل السيرة، وقد أوردنا بعضه فيما تقدم، ثم قال لهم: أنشدكم الله! أفياكم أحد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين نفسه، حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض غيري فقالوا: لا.

فقال: أفياكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كنت مولاه فهذا مولاه) غيري؟ فقالوا: لا.

فقال: أفياكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنت منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) غيري؟ قالوا: لا.

قال: أفياكم من أوتمن على سورة براءة، وقال له رسول الله ﷺ إنه لا يؤدي عنى إلا أنا أو رجل منى غيري؟ قالوا: لا.

قال: ألا تعلمون أن أصحاب رسول الله ﷺ فروا عنه في مآقط الحرب في غير موطن، وما فررت قط! قالوا: بلى.

قال: ألا تعلمون أنى أول الناس إسلاماً؟ قالوا: بلى.

قال: فأينا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسباً؟ قالوا: أنت.

فقطع عليه عبد الرحمن ابن عوف كلامه، وقال: يا على، قد أبى الناس إلا على عثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلاً، ثم قال: يا أبا طلحة، ما الذي أمرك به عمر؟ قال: أن أقتل من شق عصا الجماعة، فقال عبد الرحمن لعلى: بايع إذن، وإلا كنت متبعا غير سبيل المؤمنين، وأنفذنا فيك ما أمرنا به. فقال: (لقد علمتم أنى أحق بها من غيري، والله لا سلمن.... إلى آخره، ثم مدَّ يده فبايع^(١)).

أقول: ومن يتأمل كلام ابن عوف وأبي طلحة يتجلى له بوضوح ما سبق منها من كلام حول رزية الخميس، أي ان هذا الحزب كان يتمتع بقوة قاهرة حتى حالت بين رسول الله وأوامره، وبلغ من قوته ان انظم إليه عدد من الجن فقتلوا سعد بن عبادة وانظر إلى قول ابن عوف: أنفذننا فيك ما أمرنا به، يدل ذلك على ان الامر مبيت، ويحق لهارون هذه الأمة ان يشتكي إلى أخيه وابن عمه «ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» وقوله: والا كنت متبعاً غير سبيل المؤمنين، قد لا يجراً ابليس ان يتفوه بهذا الكلام امام يعسوب المؤمنين وقائد الغر المحجلين، وهل الايمان والاسلام والقرآن إلا علي بن أبي طالب، وهل سبيل المؤمنين والصراط المستقيم إلا علي. وفي قطع ابن عوف لكلام علي عليه السلام دلالات لا تخفى، منها انك مهما ذكرت وعددت من فضائلك فانا ممتثلون ما أمرنا به.

وقول ابن أبي الحديد: «ثم مدَّ يده فبايع» باطل، فان علياً أو الحسن والحسين وجميع حجج الله ليس في اعناقهم بيعة لأحد، بل على العباد ان يمد أيديهم واعناقهم لمبايعتهم لانهم حجج الجبار وأوصياء النبي المختار. وان كان ابن أبي الحديد طفف وبخس واقتصر واختلس في مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام فانه قد ذكر من فضائله ما يجبر فعلته، اذ انه ذكر مناقباً تكفي لكل منصف وطالب حق ان يعرف لعلي عليه السلام وأهل بيته حقهم الذي جعله الله لهم من الخلافة والولاية وقيادة الأمة وهدايتهم إلى الله، قال:

واعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لو فخرَ بنفسه، وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته؛ التي أتاه الله تعالى إياها، واختصّه بها، وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة، لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق صلوات الله عليه في أمره، ولست أعني بذلك الاخبار العامة الشائعة التي يحتجّ بها الامامية على إمامته، كخبر الغدير، والمنزلة، وقصة براءة، وخبر المناجاة، وقصة خبير، وخبر الدار بمكة

في ابتداء الدعوة، ونحو ذلك، بل الاخبار الخاصة التي رواها فيه أئمة الحديث، التي لم يحصل أقلّ القليل منها لغيره، وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً مما رواه علماء الحديث الذين لا يُتهمون فيه، وجلّهم قائلون بتفضيل غيره عليه، فروايتهم فضائله توجب سكون النفس مالا يوجبه رواية غيرهم.

الخبر الاول: «يا عليّ، إنّ الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحبّ إليه منها، هي زينة الابرار عند الله تعالى، الزهد في الدنيا، جعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً»، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حبّ المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك إماماً.

رواه أبو نعيم الحافظ في كتابه المعروف بـ(حلية الأولياء) وزاد فيه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في (المسند): «فطوبى لمن أحبّك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك!».

الخبر الثاني: قال لوفد ثقيف: «لُتْسَلِمُنَّ، أو لابعثن إليكم رجلاً مني - أو قال: عديل نفسي - فليضربن أعناقكم، وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم». قال عمر: فما تمّنت الإمارة إلا يومئذ، وجعلت أنصب له صدري رجاء أن يقول: هو هذا. فالتفت فأخذ بيد علي وقال: «هو هذا» مرتين.

رواه أحمد في (المسند)، ورواه في كتاب فضائل علي (عليه السلام)، أنه قال: (لنتهننّ يا بنى وليعة^(١))، أو لابعثن إليكم رجلاً كنفسي، يُمضى فيكم أمرى. يقتل المقاتلة، ويسبي الدرّية»، قال أبو ذر: فما راعني إلا برد كف عمر في حجرتي^(٢) من خلفي،

() :

() :

يقول: من تراه يعنى؟ فقلت: إنه لا يعنك، وإنما يعنى خاصف النعل، وإنه قال: «هو هذا».

الخبر الثالث: «إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيَّ فِي عَلِيِّ عَهْدًا، فقلت: يا ربِّ بَيْنَهُ لِي، قال: اسمع، إن علياً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحبه فقد أحبني، ومن أطاعه فقد أطاعني، فبشره بذلك. فقلت: قد بشرته يا ربِّ فقال: أنا عبد الله وفي قبضته، فإن يعذبني فبذنوبي لم يظلم شيئاً، وإن يتم لي ما وعدني فهو أولى، وقد دعوت له فقلت: اللهم اجلِّ قلبه، واجعل ربيعه الإيمان بك. قال: قد فعلت ذلك، غير أني مختصه بشيء من البلاء لم أختص به أحداً من أوليائي، فقلت: رب، أخي وصاحبني! قال: إنه سبق في علمي أنه لمبتلٍ ومبتلى».

ذكره أبو نعيم الحافظ في (حلية الأولياء) عن أبي برزة الاسلمي، ثم رواه بإسناد آخر بلفظ آخر، عن أنس بن مالك: «إن ربَّ العالمين عهد، في عليٍّ إليَّ عهداً أنه راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني، إن علياً أميني غداً في القيامة، وصاحب رايتي، بيد علي مفاتيح خزائن رحمة ربي».

الخبر الرابع: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى نُوْحٍ فِي عَزْمِهِ، وَإِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ، وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي حِلْمِهِ، وَإِلَى مُوسَى فِي فِطْنَتِهِ، وَإِلَى عِيسَى فِي زَهْدِهِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».

رواه أحمد بن حنبل في (المسند)، ورواه أحمد البيهقي في صحيحه.

الخبر الخامس: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي، وَيَمُوتَ مِيتَتِي، وَيَتَمَسَّكَ بِالْقَضِيبِ مِنَ الْيَاقُوتَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: كُونِي فَكَانَتْ، فَلْيَتَمَسَّكْ بَوْلَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».

ذكره أبو نعيم الحافظ في كتاب (حلية الأولياء)، ورواه أبو عبد الله بن حنبل في (المسند)، وفي كتاب فضائل علي بن أبي طالب، وحكاية لفظ أحمد رضي الله عنه: «من أحب أن يتمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه الله في جنة عدن يمينه، فليتمسك بحب علي بن أبي طالب».

الخبر السادس: «والذي نفسي بيده، لولا أن تقول طوائف من أمّتي فيك ما قالت النصرارى في ابن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً: لا تمرّ بملا من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة».

ذكره أبو عبد الله أحمد بن حنبل في (المسند).

الخبر السابع: خرج ﷺ على الحجيج عشية عرفة، فقال لهم: «إن الله قد باهى بكم الملائكة عامة، وغفر لكم عامة، وباهى بعلي خاصة، وغفر له خاصة. إني قائل لكم قولاً غير محاب فيه لقرايتي، إن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته».

رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في كتاب فضائل علي ﷺ، وفي (المسند) أيضاً.

الخبر الثامن: رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في الكتابين المذكورين: «أنا أول من يدعى به يوم القيامة، فأقوم عن يمين العرش في ظلّه، ثم أكسى حلّة ثم يدعى بالنبیین بعضهم على أثر بعض، فيقومون عن يمين العرش ويكسون حلاً، ثم يدعى بعلي ابن أبي طالب لقرايته مني ومنزلته عندي، ويدفع إليه لوائى لواء الحمد، آدم ومن دونه تحت ذلك اللواء». ثم قال لعلي: «فتسير به حتى تقف بيني وبين إبراهيم الخليل، ثم تكسى حلّة، وينادى مناد من العرش: نعم العبد أبوك إبراهيم! ونعم الاخ أخوك علي! أبشر فإنك تُدعى إذا دعيت، وتُكسى إذا كسيت، وتحيا إذا حييت».

الخبر التاسع: «يا أنس، اسكب لي وضوءاً»، ثم قام فصلّى ركعتين، ثم قال: «أول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين، وسيد المسلمين، ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين وقائد الغر المحجلين». قال أنس: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكنتم دعوتي، فجاء علي، فقال ﷺ: «من جاء يا أنس؟» فقلت: علي، فقام إليه مستبشراً، فاعتنقه، ثم جعل يمسح عرق وجهه. فقال علي يا رسول الله، صلى الله عليك وألك، لقد رأيت منك اليوم تصنع بي شيئاً ما صنعته بي قبل! قال: «وما يمنعني وأنت تؤذي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدى!».«.

رواه أبو نعيم الحافظ في (حلية الأولياء).

الخبر العاشر: «ادعوا لي سيد العرب علياً» فقالت: عائشة: أأنت سيد العرب؟ فقال: «أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب» فلما جاء أرسل إلى الانصار، فأتوه، فقال لهم: «يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «هذا علي، فأحبوه بحبي، وأكرموه بكرامتي، فإن جبرائيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عزّ وجلّ».

رواه الحافظ أبو نعيم في (حلية الاولياء).

الخبر الحادي عشر: «مرحباً بسيد المؤمنين، وإمام المتقين!» فقيل لعلي ﷺ: كيف شكرك؟ فقال: أحمد الله على ما آتاني، وأسأله الشكر على ما أو لانني وأن يزيدني مما أعطاني.

ذكره صاحب (الحيلة) أيضاً.

الخبر الثاني عشر: «مَنْ سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن التي غرسها ربي، فليوال علياً من بعدى، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدى،

فإنهم عترتي ، خلقوا من طيبتني ورزقوا فهما وعلماً. فويل للمكذابين من أمتي! القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي». ذكره صاحب (الحلية) أيضاً.

الخبر الثالث عشر: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في سرية ، وبعث علياً ﷺ في سرية أخرى ، وكلاهما إلى اليمن ، وقال : «إن اجتمعتما فعلي على الناس ، وإن افترقتما فكل واحد منكما على جنده» فاجتمعا وأغارا وسببا نساء ، وأخذوا أموالاً ، وقتلوا ناساً ، وأخذ علي جارية فاخصمها لنفسه ، فقال خالد لأربعة من المسلمين ، منهم بريدة الاسلمي : اسبقوا إلى رسول الله ﷺ ، فاذكروا له كذا ، واذكروا له كذا ، لامور عددها على علي ، فسبقوا إليه فجاء واحد من جانبه ، فقال : إن علياً فعل كذا ، فأعرض عنه ، فجاء الآخر من الجانب الآخر ، فقال : إن علياً فعل كذا ، فأعرض عنه فجاء بريدة الأسلمي فقال : يا رسول الله ، إن علياً فعل ذلك ، فأخذ جارية لنفسه ، فغضب ﷺ ، حتى احمر وجهه ، وقال : «دعوا لي علياً! يكررها ، «إن علياً مني وأنا من علي ، وإن حظته في الخمس أكثر مما أخذ ، وهو ولي كل مؤمن من بعدي».

رواه أبو عبد الله أحمد في (المسند) غير مرة ، ورواه في كتاب فضائل علي ، ورواه أكثر المحدثين.

الخبر الرابع عشر: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق آدم قسم ذلك فيه وجعله جزأين ، فجزء أنا وجزء علي».

رواه أحمد في (المسند) وفي كتاب فضائل علي ﷺ ، وذكره صاحب كتاب الفردوس وزاد فيه : «ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب ، فكان لي النبوة ولعلي الوصية».

الخبر الخامس عشر: «النظر إلى وجهك يا علي عبادة أنت سيّد في الدنيا وسيّد في الآخرة مَنْ أَحَبَّكَ أَحَبَّنِي وَحَبِيبِي حَبِيبَ اللَّهِ، وَعَدُوُّكَ عَدُوِّي وَعَدُوِّي عَدُوُّ اللَّهِ، الْوَيْلَ لِمَنْ أَبْغَضَكَ!».

رواه أحمد في (المسند)، قال: وكان ابن عباس يفسره، ويقول: إن من ينظر إليه يقول: سبحان الله! ما أعلم هذا الفتى! سبحان الله ما أشجع هذا الفتى! سبحان الله، ما أفصح هذا الفتى!

الحديث السادس عشر: لما كانت ليلة بدر، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَسْتَقِي لَنَا مَاءً؟»، فَأَحْجَمَ النَّاسُ، فَقَامَ عَلِيٌّ فَاحْتَضَنَ قَرْبَةً، ثُمَّ أَتَى بَثْرًا بَعِيدَةً الْقَعْرَ مَظْلَمَةً فَانْحَدَرَ فِيهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ: أَنْ تَأْهَبُوا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ وَأَخِيهِ وَحَزْبِهِ، فَهَبَطُوا مِنَ السَّمَاءِ، لَهُمْ لَغَطٌ يَذْعَرُ مِنْ يَسْمَعِهِ، فَلَمَّا حَازُوا الْبَثْرَ، سَلِمُوا عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ إِكْرَامًا لَهُ وَإِجْلَالًا.

رواه أحمد في كتاب فضائل علي ﷺ، وزاد فيه في طريق أخرى عن أنس بن مالك: «لَتَوْتِينَ يَا عَلِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَاقَةٍ مِنْ نَوَقِ الْجَنَّةِ فَتَرْكِبُهَا، وَرَكْبَتِكَ مَعَ رَكْبَتِي، وَفَخَذَكَ مَعَ فَخْذِي، حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ».

الحديث السابع عشر: خطب ﷺ الناس يوم الجمعة، فقال: «أيها الناس، قَدِّمُوا قَرِيشًا وَلَا تَقْدِمُوها، وَتَعْلَمُوا مِنْهَا وَلَا تَعْلَمُوها، قُوَّةَ رَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ تَعْدِلُ قُوَّةَ رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَأَمَانَةَ رَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ تَعْدِلُ أَمَانَةَ رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ. أَيُّهَا النَّاسُ أَوْصِيكُمْ بِحُبِّ ذِي قَرْبَاهَا، أَخِي وَابْنِ عَمِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، لَا يَجِبُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحْبَبَنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ أَبْغَضَنِي عَذَبَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ».

رواه أحمد رضى الله عنه في كتاب فضائل علي ﷺ.

الحديث الثامن عشر: الصديقون ثلاثة: «حبيب النجار، الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، ومؤمن آل فرعون الذي كان يكتُم إيمانه، وعلي بن أبي طالب، وهو أفضلهم».

رواه أحمد في كتاب فضائل علي عليه السلام.

الحديث التاسع عشر: «أعطيت في علي خمساً، هنّ أحبّ إلى من الدنيا وما فيها، أما واحدة فهو كاب بين يدي الله عزّ وجلّ، حتى يفرغ من حساب الخلائق، وأما الثانية فلواء الحمد بيده آدم ومن ولد تحته، وأما الثالثة فواقف على عقري^(١) حوضي، يسقي من عرف من أمّتي، وأما الرابعة فسائر عورتى ومسلّمي إلى ربي، وأما الخامسة فإنني لست أخشى عليه أن يعود كافراً بعد إيمان، ولا زانياً بعد إحصان».

رواه أحمد في كتاب الفضائل.

الحديث العشرون: كانت جماعة من الصحابة أبواب شارعة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، فقال عليه الصلاة والسلام يوماً: «سدّوا كل باب في المسجد إلا باب علي»، فسدّت، فقال في ذلك قوم، حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله فقام فيهم، فقال: «إنّ قوماً قالوا في سدّ الأبواب وتركوا باب علي، إنى ما سدّدت ولا فتحت، ولكنني أمرت بأمر فاتبعته».

رواه أحمد في «المسند» مراراً، وفي كتاب الفضائل.

الحديث الحادى والعشرون: دعا صلى الله عليه وآله علياً في غزاة الطائف، فانتجاه، وأطال نجواه حتى كره قوم من الصحابة، ذلك، فقال قائل منهم: لقد أطال اليوم نجوى

ابن عمه ، فبلغه عليه الصلاة والسلام ذلك فجمع منهم قوماً ، ثم قال : إنَّ قاتلاً قال : لقد أطلال اليوم نجوى ابن عمه . أما إنى ما انتجيتة ، ولكن الله انتجاه» .
رواه أحمد في (المسند) .

الحديث الثاني والعشرون : «اخصمك^(١) يا علي بالنبوة فلا نبوة بعدي ، وتخصم الناس بسبع ، لا يجاحد فيها أحد من قريش ، أنت أولهم إيماناً بالله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعدلهم في الرعية . وأبصرهم بالقضية ، وأعظمهم عند الله مزية» .
رواه أبو نعيم الحافظ في (حلية الأولياء) .

الخبر الثالث والعشرون : قالت فاطمة : إنك زوّجتني فقيراً لا مال له ، فقال : «زوّجتك أقدمهم سلماً ، وأعظمهم حلماً ، وأكثرهم علماً ! ألا تعلمين أن الله اطلع إلى الارض اطلاعة ، فاختر منها أباك ، ثم اطلع إليها ثانية فاختر منها بعلك» .
رواه أحمد في (المسند) .

الحديث الرابع والعشرون : لما أنزل : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) بعد انصرافه ﷺ من غزاة حنين ، جعل يكثر من «سبحان الله ! أستغفر الله» ، ثم قال : «يا علي إنه قد جاء ما وعدت به ، جاء الفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وإنه ليس أحد أحق منك بمقامي ، لقدمك في الإسلام ، وقربك منى ، وصهرك ، وعندك سيدة نساء العالمين ، وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن ، فأنا حريص على أن أراعى ذلك لولده» .
رواه أبو إسحاق الثعلبي في (تفسير القرآن) .

واعلم أننا إنما ذكرنا هذه الأخبار هاهنا، لأن كثيراً من المنحرفين عنه (ﷺ) إذا مروا على كلامه في (نهج البلاغة) وغيره المتضمن التحدث بنعمة الله عليه من اختصاص الرسول له (ﷺ)، وتميزه إياه عن غيره، ينسبونه إلى التيه والزهو والفخر، ولقد سبقهم بذلك قوم من الصحابة، قيل لعمر: ولّ علياً أمر الجيش والحرب، فقال: هو آتية من ذلك! وقال زيد بن ثابت: ما رأينا أزهى من علي وأسامة!

فأردنا بإيراد هذه الأخبار هاهنا عند تفسير قوله: «نحن الشعار والأصحاب، ونحن الخزنة والابواب» أن ننبه على عظم منزلته عند الرسول (ﷺ)، وأن من قيل في حقه ما قيل لورقي إلى السماء، وعرج في الهواء، وفخر على الملائكة والانبيا، تعظماً وتبجحاً، لم يكن ملوماً، بل كان بذلك جديراً، فكيف وهو (ﷺ) لم يسلك قط مسلم التعظم والتكبر في شيء من أقواله ولا من أفعاله، وكان ألطف البشر خلقاً، وأكرمهم طبعاً، وأشدهم تواضعاً، وأكثرهم احتمالاً، وأحسنهم بشراً، وأطلقهم وجهاً، حتى نسبه من نسبه إلى الدعابة والمزاح، وهما خلقان ينافيان التكبر والاستطالة، وإنما كان يذكر أحيانا ما يذكره من هذا النوع، نفثة مصدر، وشكوى مكروب، وتنفس مهموم، ولا يقصد به إذا ذكره إلا شكر النعمة، وتنبية الغافل على ما خصه الله به من الفضيلة، فإن ذلك من باب الأمر بالمعروف، والحض على اعتقاد الحق والصواب في أمره والنهي عن المنكر الذي هو تقديم غيره عليه في الفضل، فقد نهى الله سبحانه عن ذلك فقال: (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ).

انتهى كلام ابن أبي الحديد^(١).

وهنا نريح بدن ركابنا ونحط رحالنا ونستريح إلى منهل من مناهل الولاء، ومنزل من منازل العلماء، مع شيخ الإسلام المحدث إبراهيم بن محمد الجويني لنقرأ معه مناشدة أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد أخرجها بسندين قال في الأول منهما:

أنبأني السيد النسابة جلال الدين عبد الحميد بن فخر بن معد بن فخر الموسوي، قال: أنبأنا والدي السيد شمس الدين شيخ الشرف فخر الموسوي رحمه الله، إجازة بورايته عن شاذان بن جبرئيل القمي عن جعفر بن محمد الدوريسي عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي^(١) قال: حدثنا أبي [أو] محمد بن الحسن رضي الله عنهما، قالاً: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدثنا يعقوب بن يزيد، عن حماد بن عيسى عن عمر بن أذينة، عن أبان بن أبي عيَّاش:

عنسليم بن قيس الهلالي^(٢)، قال: رأيت علياً (عليه السلام) في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خلافة عثمان وجماعة يتحدثون ويتذكرون العلم والفقه، فذكروا قريشا وفضلها وسوابقها وهجرتها، وما قال فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الفضل، مثل قوله (صلى الله عليه وآله): «الأئمة من قريش»، وقوله: «الناس تبع لقريش»، وقريش أئمة العرب. وقوله لا تسبوا قريشاً. وقوله: إن للقرشي قوة رجلين من غيرهم. وقوله: من أبغض قريشاً أبغضه الله. وقوله: من أراد هوان قريش أهانه الله.

وذكروا الأنصار وفضلها وسوابقها ونصرتها وما أثنى الله عليهم في كتابه وما قال فيهم النبي (صلى الله عليه وآله) وذكروا ما قال [في] سعد بن عبادة، وغسيل الملائكة، فلم يدعوا شيئاً من فضلهم حتى قال: كل حيٍّ: منّا فلان وفلان.

() : () : » : () : () :

:

()

وقالت قريش: منّا رسول الله ﷺ ومنّا حمزة ومنّا جعفر ومنّا عبيدة بن الحرث، وزيد بن حارثة، وأبو بكر، وعمر، وعثمان وأبو عبيدة وسالم [مولد أبي حذيفة] وابن عوف.

فلم يدعوا من الحيّين أحداً من أهل السابقة إلا سمّوه!! وفي الحلقة أكثر من مائتي رجل فيهم علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة والزبير، والمقداد، وهاشم بن عتبة، وابن عمر، والحسن، والحسين، وابن عباس، ومحمد بن أبي بكر، وعبد الله بن جعفر.

[وكان في الحلقة] من الأنصار أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الهيثم ابن التيهان، ومحمد بن سلمة، وقيس بن سعد بن عبادة، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وزيد بن أرقم، وعبد الله بن أبي أوفى، وأبو ليلى ومعه ابنه عبد الرحمن قاعد بجنبه، غلام صبيح الوجه أمرد، فجاء أبو الحسن البصري ومعه الحسن البصري، غلام أمرد صبيح الوجه معتدل القامة.

قال [سليم]: فجعلت أنظر إليه وإلى عبد الرحمن بن أبي ليلى، فلا أدري أيهما أجمل، غير أن الحسن أعظمهما وأطولهما.

فأكثر القوم، وذلك من بكره إلى حين الزوال، وعثمان في داره لا يعلم بشئ مما هم فيه، وعلي بن أبي طالب ﷺ ساكت لا ينطق ولا أحد من أهل بيته.

فأقبل القوم عليه، فقالوا: يا أبا الحسن ما يمنعك أن تتكلم؟ فقال: ما من الحيّين إلا وقد ذكر فضلا، وقال حقا، فأنا أسألكم يا معشر قريش والأنصار: بمن أعطاكم الله هذا الفضل بأنفسكم وعشائركم وأهل بيوتاتكم أم بغيركم؟ قالوا: بل أعطانا الله ومن به علينا بمحمد ﷺ وعشيرته، لا بأنفسنا وعشائرننا ولا بأهل بيوتاتنا. قال: صدقتم يا معشر قريش والأنصار، أستم تعلمون أن الذي نلت من خير الدنيا والآخرة منا أهل البيت خاصة دون غيرهم؟ وأن ابن عمي رسول الله ﷺ قال: إني

وحيث نزلت: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (التوبة/١٦) قال الناس: يا رسول الله ﷺ أخاصة في بعض المؤمنين، أم عامة لجميعهم؟ فأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يعلمهم ولاة أمرهم، وأن يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم وزكاتهم وحجهم، فنصبني للناس بغدير خم، ثم خطب، وقال:

أيها الناس إن الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أن الناس مكذبي، فأوعدني لأبلغها أو ليعذبني. ثم أمر، فنودي بالصلاة جامعة، ثم خطب، فقال: أيها الناس أتعلمون أن الله عز وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: قم يا علي، فقمتم، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه.

فقام سلمان، فقال: يا رسول الله ولاء كماذا؟ فقال: ولاء كولائي، من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه. فأنزل الله - تعالى ذكره - : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة/٣)، فكبر رسول الله ﷺ وقال: الله أكبر، تمام نبوتي وتمام دين الله وولاية علي بعدي.

فقام أبو بكر وعمر، فقالا: يا رسول الله هؤلاء الآيات خاصة في علي (عليه السلام)؟ قال: بلى فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة. قالوا: يا رسول الله بينهم لنا. قال: علي أخي ووزير ووارثي ووصيي، وخليفتي في أمتي، وولي كل مؤمن بعدي، ثم ابني الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد ابني الحسين، واحد بعد واحد، القرآن معهم، وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا علي الحوض».

فقالوا كلهم: اللهم نعم، قد سمعنا ذلك، وشهدنا كما قلت. وقال بعضهم: قد حفظنا جل ما قلت، ولم نحفظ كله! وهؤلاء الذين حفظوا أختيارنا وأفضلنا.

فقال علي عليه السلام: صدقتم ليس كل الناس يستونون في الحفظ، أنشد الله عز وجل من حفظ ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قام فأخبر به.

فقام زيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وسلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، فقالوا: نشهد لقد حفظنا قول رسول الله، وهو قائم على المنبر وأنت إلى جنبه، وهو يقول: أيها الناس إن الله عز وجل أمرني أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيي وخليفتي، والذي فرض الله عز وجل على المؤمنين في كتابه طاعته فقرن بطاعته طاعتي، وأمركم بولايته، وإني راجعت ربي، خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم، فأوعدني لأبلغها أو ليعذبني.

يا أيها الناس إن الله أمركم في كتابه بالصلاة، فقد بيئتها لكم، والزكاة والصوم والحج، فبيئتها لكم، وفسرتها، وأمركم بالولاية، وإني أشهدكم أنها لهذا خاصة، - ووضع يده على علي بن أبي طالب - ثم لابنيه بعده، ثم للأوصياء من بعدهم من ولدهم، لا يفارقون القرآن، ولا يفارقهم القرآن، حتى يردوا علي حوضي.

أيها الناس قد بينت لكم مفزعكم بعدي وإمامكم ودليلكم وهاديكم، وهو أخي علي بن أبي طالب، وهو فيكم بمنزلة فيكم، فقلدوه دينكم، وأطيعوه في جميع أموركم، فإن عنده جميع ما علمني الله من علمه وحكمته، فسلوه وتعلموا منه ومن أوصيائه بعده، ولا تعلموهم، ولا تتقدموهم، ولا تخلفوا عنهم، فإنهم مع الحق والحق معهم، لا يزيلونهم ولا يزيلاهم، ثم جلسوا.

قال سليم: ثم قال علي عليه السلام: أيها الناس، أتعلمون أن الله أنزل في كتابه: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (الأحزاب/٣٣). فجمعني وفاطمة وابني حسنا وحسينا، ثم ألقى علينا كساء وقال: (هؤلاء أهل بيتي ولحمي، يؤلمهم ما يؤلمني ويؤذيني ما يؤذيهم ويحرجني ما يحرجهم، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا). فقالت ام سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: (أنت إلى

خير، إنما نزلت في وفي أخي وفي ابنتي فاطمة وفي ابني وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصة ليس معنا فيها لأحد شركاء.

فقالوا كلهم: نشهد أن ام سلمة حدثتنا بذلك، فسألنا رسول الله ﷺ فحدثنا كما حدثتنا به ام سلمة.

ثم قال علي (عليه السلام): أنشدكم الله، أتعلمون أن الله أنزل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة/١١٩). فقال سلمان: يا رسول الله، عامة هذا أم خاصة؟ قال ﷺ: (أما المأمورون فعادة المؤمنين أمروا بذلك، وأما الصادقون فخاصة لأخي علي وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة)؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله، أتعلمون أنني قلت لرسول الله ﷺ في غزوة تبوك: لم خلفتني؟ قال: (إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بي بعدي)؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله، أتعلمون أن الله أنزل في سورة الحج: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ مَا جَعَلَ لِإِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (الحج: ٧٧-٧٨). فقام سلمان فقال: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس، الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم في الدين من حرج، ملة [أبيكم] إبراهيم؟

قال: عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصة دون هذه الامة. قال سلمان: بينهم لنا يا رسول الله؟ فقال: (أنا وأخي وأحد عشر من ولدي). قالوا: اللهم نعم.

فقال : أنشدكم الله ، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قام خطيباً ثم لم يخطب بعد ذلك فقال : (يا أيها الناس ، إنني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي . فتمسكوا بهما لن تضلوا ، فإن اللطيف الخبير أخبرني وعهد إلي أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) . فقام عمر بن الخطاب - وهو شبه المغضب - فقال : يا رسول الله ، أكل أهل بيتك ؟ قال : (لا ، ولكن أوصيائي منهم . أولهم أخي علي ووزيري ووارثي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي . هو أولهم ، ثم ابني الحسن ، ثم ابني الحسين ، ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد حتى يردوا علي الحوض . شهداء الله في أرضه وحججه على خلقه وخزان علمه ومعادن حكمته . من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله) ؟ فقالوا كلهم : نشهد أن رسول الله ﷺ قال ذلك .

ثم تمادى بعلي عليه السلام السؤال ، فما ترك شيئاً إلا ناشدهم الله فيه وسألهم عنه حتى أتى على آخر مناقبه وما قال له رسول الله ﷺ كثيراً ، كل ذلك يصدقونه ويشهدون أنه حق .

وقال في اسناده الثاني :

أخبرني الشيخ الامام تاج الدين علي بن أنجب بن عبد الله الخازن البغدادي المعروف بابن الساعي قال : أنبأنا الإمام برهان الدين ناصر بن أبي المكارم المطرزي الخوارزمي إجازة ، قال : أنبأنا أخطب خوارزم ضياء الدين أبو المؤيد الموفق بن ابي أحمد المكي^(١) إجازة إن لم يكن سماعاً ، قال : أخبرني الشيخ الامام شهاب الدين أفضل الحفاظ أبو النجيب سعد ابن عبد الله بن الحسن الهمداني - المعروف بالمروزي

() : () : () :
() :

فيما كتب إلي من همدان - أنبأنا الحافظ أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسين الحدّاد باصبهان - فيما اذن لي في الرواية عنه - أنبأنا الشيخ الاديب ابو يعلى عبد الرزاق بن عمر بن ابراهيم الطهراني - سنة ثلاث وسبعين واربعمائة - أنبأنا الامام الحافظ طراز المحدثين أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الاصفهاني.

حيلولة: قال الشيخ الامام شهاب الدين أبو النجيب سعد بن عبيدالله الهمداني: وأخبرنا بهذا الحديث عالياً الامام الحافظ سليمان بن ابراهيم الاصفهاني - في كتابه إليّ من اصبهان سنة ثمان وثمانين واربعمائة - عن ابي بكر أحمد بن موسى بن مردويه، أنبأنا سليمان بن الحرث بن محمّد، حدثنا أبو يعلى ابن سعيد الرازي حدثنا [محمّد بن] حميد، حدثنا زافر بن سليمان حدثنا الحارث بن محمد، عن ابي الطفيل عامر بن واثلة قال:

كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الاصوات بينهم، فسمعت علياً عليه السلام يقول: بايع الناس أبا بكر وأنا والله أولى بالأمر واحق به، فسمعت واطعت مخافة ان يرجع الناس كفاراً، يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم بايع أبو بكر لعمر وأنا والله اولى بالأمر منه، فسمعت واطعت مخافة ان يرجع الناس كفارا، ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان إذا لا أسمع ولا اطيع، ان عمر جعلني في خمس نفر أنا سادسهم، لأيم الله لا يعرف لي فضل في الصلاح ولا يعرفونه لي كما نحن فيه شرع سواء، وايم الله لو أشاء ان اتكلم ثم لا يستطيع عربهم ولا عجمهم ولا المعاهد منهم ولا المشرك ان يرد خصلة منها [الفعلت] ثم قال:

انشدكم الله أيها الخمسة، أفيكم [أحد هو] أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيري؟ قالوا: لا.

قال: أنتمكم احد له أخ مثل أخى المزين بالجنّاحين، يطير مع الملائكة في الجنة؟ قالوا: لا.

قال : أمنكم أحد له عم مثل عمى حمزة بن عبد المطلب ، اسد الله واسد رسوله
غيرى؟ قالوا: لا.

قال : أمنكم احد له ابن عم مثل ابن عمى رسول الله ﷺ؟ قالوا: لا.

قال : أمنكم احد له زوجة مثل زوجتى فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء
هذه الامة؟ قالوا لا.

قال : أمنكم أحد له سبطان مثل الحسن والحسين سبطى هذه الامة ، ابني رسول
الله ﷺ غيرى؟ قالوا لا.

قال : أمنكم احد قتل مشركي قريش غيري؟ قالوا لا.

قال : أمنكم أحد وحد الله قبلى؟ قالوا لا.

قال : أمنكم احد صلى القبلتين غيري؟ قالوا لا.

قال : أمنكم احد امر الله بمودته غيري؟ قالوا لا.

قال : أمنكم احد غسل رسول الله ﷺ غيري قالوا لا.

قال : أمنكم احد سكن المسجد يمر فيه جنباً غيري؟ قالوا لا.

قال : أمنكم احد ردت عليه الشمس بعد غروبها حتى صلى العصر غيري؟
قالوا لا.

قال : أمنكم احد قال له رسول الله ﷺ حين قرب إليه الطير فاعجبه فقال اللهم
اتتنى باحب خلقك اليك يأكل معى من هذا الطير فجئت وانا لا اعلم ما كان من
قوله ، فدخلت فقال : والي يا رب والي يا رب غيرى؟ قالوا لا.

قال : أفيكم احد كان اقتل للمشركين عند كل شديدة تنزل برسول الله منى؟
قالوا لا.

قال : أفيكم احد كان أعظم غناء عن رسول الله ﷺ منى حتى اضطجعت على
فراشه ووقيته بنفسى وبذلت مهجتي غيرى قالوا لا.

قال : أفيكم احد كان يأخذ الخمس غيري وغير زوجتي فاطمة؟ قالوا لا.

قال : أفيكم أحد كان يأخذ الخمس سهم في الخاصّ وسهم في العام غيري؟
قالوا : لا.

قال : أفيكم أحد يطهره كتاب الله غيري حتى سد النبي أبواب المهاجرين وفتح
بابي إليه حتى قام إليه عماء : حمزة والعباس فقالا : يا رسول الله ﷺ سددت أبوابنا
وفتحت باب علي؟ فقال النبي ﷺ : ما انا فتحت بابه ولا سددت ابوابكم ، بل الله
فتح بابه وسد أبوابكم ، قالوا لا.

قال : أفيكم احد تمّ الله نوره من السماء حين قال (فَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ)^(١)
غيري قالوا اللهم لا.

قال : أفيكم احد ناجى رسول الله ﷺ ست عشر مرة غيري حين قال : يا أيها
الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة ؟ قالوا اللهم لا.
قال : هل فيكم أحد ولي غمض رسول الله غيري؟ قالوا لا.

قال أفيكم أحد [كان] آخر عهده برسوله ﷺ حين وضعت في حفرته غيري؟
قالوا لا^(٢).

وأراني هنا بهذا الشرح المختصر المفيد ، لا أحتاج إلى اطالة ولا إلى مزيد ، مكتفياً
بهذا المقدار من الايضاح الجلي ، على مناشدة أمير المؤمنين أبي الحسن علي ، في
احتجاجه على أصحاب الشورى الذين جحدوا الولاية والولي ، مقرأً معترفاً ان ما
ذكرناه قطرة واحدة من سبعة أبحر من فضائله ﷺ فأكتفي بهذا الايضاح والبيان

() :

() / :

المختصر، في مناشدته واحتجاجه على أولئك النفر، من اصحاب الشورى التي اسسها عمر. وقبل ان نتقل إلى مسألة أخرى لا بد من الإشارة إلى شيء وهو:

ان كل ما جرى على علي عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمور وأحداث كان يعلمها ولم تكن خافية عليه وذلك بتعليم من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) فلم يكن عندما دخل في الشورى جاهلاص بالنتيجة فهو على علم انها لا تصل إليه وهو حجة الوقت وامام زمانه حينها فأراد ان يقيم الحجّة في الدنيا والآخرة على الذين وطبوا على اقصاءه وابعاده، هذا.

وفي الحظور والظهور وتسجيل موقف كهذا كشف عن حقائق كقولهم ان قريش كرهت ان تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد الذي يعني رفض ما جعله الله (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) وغيرها من الحقائق التي تكشفت فيما بعد.

فعلمه عليه السلام بان القوم مانعوه ودافعوه لايحول ولا يمنع من الدخول ثم الاحتجاج عليهم، فان في الدخول في هذه الشورى فوائد ومصالح كبيرة آنية ودائمة منها التعريف بمقامه الشامخ ومناقبه وحقه الذي اتضح عاجلاً أم آجلاً لكل ذي لب وقلب سليم.

ولكي يتضح ما نقول تأمل ما جرى على الحسين عليه السلام وآل الرسول فالحسين عليه السلام كان على علم بما سيجري عليه بل الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسلمين وغيرهم شاع وذاع بينهم ان الحسين عليه السلام يقتل في أرض يقال لها (كربلاء) فعلم الحسين عليه السلام بما يجري عليه لم يمنعه من الاحتجاج على القوم والنصح لهم في كل منزل نزله وموقف وقفه قبل استشهاده. وللنبي صلى الله عليه وسلم تعاليم كثيرة في هذا المجال من باب حرصه على المؤمنين ورأفته ورحمته وذلك لانارة السبيل واقامة الدليل وهداية الامة في كل شدة وغمة فان غاب عنهم شخصه لم يغب عنهم هدية ونهجه ونوره، كقوله عليه السلام: يا عمّار تقتلك الفئة الباغية، وقوله عليه السلام: يا علي أنت تقاتل الناكثين

والقاسطين والمارقين، وقوله ﷺ: علي مع الحق والحق مع علي، وهذا باب واسع كبير لا يخفى على المتتبع الخبير.

وبهذا نكون قد أجبنا على اشكال اثاره بعض الجهال بأن دخول علي ﷺ في الشورى التي أسسها عمر رضياً منه بعمل القوم. فنقول: كلا وألف كلا لما قدمنا وذكرنا وكفي يكون القارئ على علم واطلاع مما قدمناه نذكر ما جاء على لسان الرسول ﷺ بالنص والتصريح والكناية والتلميح منها:

ما رواه الحاكم بإسناده عن أبي ادريس الأودي، عن علي ﷺ قال: ان مما عهد الي النبي ﷺ ان الأمة ستغدر بي بعده.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه^(١)، ووقفه الذهبي في التلخيص.

وروى بإسناده عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ لعلي: «أما انك ستلقى بعدى جهداً» قال: في سلامة من ديني قال: في سلامة من دينك. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(٢).

روى بإسناده عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، عن أبيه عن علي ﷺ قال: أتاني عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلى في الغرز وأنا أريد العراق فقال: لا تاتي العراق فانك ان اتيته اصابك به ذبابُ السيف، قال علي: وايم الله لقد قالها لي رسول الله ﷺ قبلك، قال أبو الاسود: فقلت في نفسي يا لله ما رأيت كاليوم رجل

() / :

() / :

محارب يحدث الناس بمثل هذا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين^(١).

وروى بإسناده عن عمار بن ياسر قال: كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذي العشيرة فلما نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها رأينا ناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل فقال لي علي: يا أبا اليقظان هل لك ان تأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون فجئناهم فنظرنا الى عملهم ساعة ثم غشنا النوم فانطلقت أنا وعلي فاضطجعنا في صور من النخل في دعاء من التراب فمنا فوالله ما يقطننا الا رسول الله ﷺ يحركنا برجله وقد تترينا من تلك الدعاء فقال رسول الله ﷺ: يا أباتراب لما يرى عليه من التراب فقال رسول الله ﷺ: ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يارسول الله، قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه - يعني قرنه - حتى تبتل هذه من الدم يعني لحيته^(٢).

وروي عن حيان الأسدي: سمعت علياً يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «إن الأمة ستغدر بك بعدي وأنت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي من أحب أحبني ومن أبغضك أبغضني، وان هذه ستخضب من هذا» يعني لحيته من رأسه. فقال الحاكم: صحيح، وواقفه الذهبي^(٣).

وروى ابن عساكر بكاء النبي ﷺ على علي ﷺ لما سيجري عليه بعده طرق منها:

() / :

() / :

() / :

عن أبي عثمان النهدي ، عن علي بن أبي طالب قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ فأتينا على حديقة فقلت : يا رسول الله ما أحسن هذه الحديقة ، فقال : ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها ، ثم أتينا على حديقة أخرى فقلت : يا رسول الله ما أحسنها من حديقة ، فقال : لك في الجنة أحسن منها ، حتى أتينا على سبع حدائق وفي كل ذلك أقول : يا رسول الله ما أحسنها ، فيقول : لك في الجنة أحسن منها ، فلما ان خلا به الطريق اعتنقني ثم أجهدش باكياً فقلت : يا رسول الله ما يبكيك؟ قال : ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا بعدي. فقلت في سلامة من ديني؟ قال : في سلامة من دينك^(١).

وروى من طريق آخر عن أبي عثمان النهدي عن علي ﷺ قال : مررت مع رسول الله ﷺ بحديقة فقلت : يا رسول الله ما أحسنها ، قال : لك في الجنة خير منها. حتى مررت بسبع حدائق - بتسع حدائق - كل ذلك أقول : ما أحسنها ويقول لي رسول الله ﷺ لك في الجنة خير منها ، قال علي : ثم جذبني رسول الله ﷺ وبكى ! فقلت : يا رسول الله ما يبكيك؟ قال : ضغائن في صدور رجال عليك لن يبدونها لك إلا من بعدي ، فقلت : بسلامة من دينية؟ قال : نعم بسلامة من دينك^(٢).

وقد أخرجنا فيما مضى أحاديثاً من كتب الصحاح وغيرها تقول : ان الصحابة أحدثوا بعد رسول الله ﷺ ورجعوا القهقري وارتدوا على أعقابهم وانقلبوا ، وقول رسول الله ﷺ : أصحابي أصحابي فيقال له : ما تدري ما أحدثوا بعدك...

ومن تأمل هكذا أحاديث مع ما جرى على آل رسول الله ﷺ عرف حجم الغدر والاضغان التي في صدور بعض الصحابة ، والحر تكفيه الإشارة ، فعلي ﷺ كان

() ﷺ : / .

()

يعلم ما في صدور القوم وما أنطوت عليه نفوسهم بتعليم من رسول الله ﷺ وعلمه هذا لا يمنع من الدخول معهم للمصالح الكبرى ، نكتفي بهذا ونتقل إلى مناشدة أمير المؤمنين ﷺ يوم الرحبة في الكوفة سنة ٣٥ هـ.

مناشدة يوم الرحبة

مناشدة تختلف زماناً ومكاناً وكما عن سابقتها، اذ اقتصر فيها أمير المؤمنين عليه السلام على منقبة واحدة هي مجمع المناقب والفضائل، واساس كل كمال، وبها تقبل الطاعات والاعمال، ويمتاز الهدى عن الضلال فذكرها وحدها والاقتصار عليها يغني عن ذكر غيرها لانها الامتداد لولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي تشير إلى يوم خالد عند المسلمين حيث بخبخ فيه كبار الصحابة لعلي عليه السلام بقولهم بخ بخ لك يا علي لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وقد مرّ منا ذكر هذه البيعة المسماة ببيعة الغدير أو يوم الغدير، وهنا نقتصر نحن كذلك على بعض الروايات الواردة في مناقشة يوم الرحبة التي أراد بها أن يذكر الناس بمنزلته وولايته المجعولة من قبل الله ورسوله:

وروى أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة والمسند بإسناده عن زاذان بن عمر قال: سمعت علياً في الرحبة وهو ينشد الناس: من شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم وهو يقول ما قال: فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(١).
ورى عبد الله بن أحمد في المسند بإسناده إلى سعيد بن وهب وزيد بن يثيع قالاً: نشد علي عليه السلام الناس في الرحبة: من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم إلا قام؟ قال فقام من قبل سعيد ستة، ومن قبل زيد ستة، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي رضي الله عنه يوم غدير خم: أليس الله أولى بالمؤمنين^(٢)؟ قالو:

() : / .

() : }

بلى قال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه^(١).

وروى عبد الله بن أحمد في المسند بإسناده إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: شهدت علياً رضي الله عنه في الرحبة ينشد الناس: أنشد الله من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم: من كنت مولاه فعلي مولاه لما قام فشهد؟ قال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بديراً كأني أنظر إلى أحدهم فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم: أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجي أمهاتهم؟ فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه^(٢).

وروى بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: انه شهد علياً رضي الله عنه في الرحبة، قال: أنشد الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ وشهده يوم غدیر خم إلا قام، ولا يقوم إلا من قد رآه، فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، اخذل من خذله، إلا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته^(٣).

وروى أحمد بن حنبل في المسند بإسناده عن أبي الطفيل قال: جمع علي رضي الله عنه الناس في الرحبة ثم قال لهم: أنشد الله كل أمرئ مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدیر خم ما سمع لما قام؟ فقام ثلاثون من الناس، وقال أبو نعيم: فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذه ﷺ بيده فقال للناس: أتعلمون أنني أولى بالمؤمنين من

() / :

() / / :

() / :

أنفسهم؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فخرجت وكأن في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً رضي الله عنه يقول كذا وكذا، قال: فما تنكر؟ قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له^(١).

وروى بإسناده عن سعيد بن وهب قال: نشد علي الناس، فقام خمسة أو ستة من أصحاب النبي ﷺ فشهدوا ان رسول الله ﷺ قال: من كنت مولاه فعلي مولاه^(٢).

أقول: اختلاف عدد الشهود من الصحابة اما لتكرر الحادثة فيختلف العدد باختلاف حضور الصحابة كثرة وقلة، أو لسعة المكان فيرى أحدهم ويشاهد ما لا يراه غيره ممن قام وشهد وقد اخرج هذه الأحاديث بعدة طرق وأسانيد أبو عبد الرحمن النسائي في الخصائص وابن عساكر في ترجمة الامام علي ﷺ من تاريخ دمشق، وان أردت المزيد فانظر إلى الجزء الأول صفحة (١٥٩ - ٢١٣) من كتاب الغدير للعلامة الأميني رضوان الله عليه.

قال ابن أبي الحديد: وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين أن عدة من الصحابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن علي ﷺ، قائلين فيه السوء، ومنهم من كتم مناقبه وأعان أعداءه ميلاً مع الدنيا، وإيثاراً للعاجلة، فمنهم أنس بن مالك، ناشد علي ﷺ الناس في رحبة القصر - أو قال رحبة الجامع بالكوفة -:

أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟ فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها، وأنس بن مالك في القوم لم يقم، فقال

() / :

() / :

له : يا أنس ، ما يمنعك أن تقوم فتشهد ، ولقد حضرتها ! فقال : يا أمير المؤمنين ، كبرت ونسيت ، فقال : اللهم إن كان كاذبا فارمه بها بيضاء لا تواربها العمامة قال طلحة بن عمير : فوالله لقد رأيت الوضح به بعد ذلك أبيض بين عينيه .

وروى عثمان بن مطرف أن رجلاً سأل أنس بن مالك في آخر عمره عن علي بن أبي طالب ، فقال : إني آليت ألا أكتب حديثاً سئلت عنه في علي بعد يوم الرحبة ، ذاك رأس المتقين يوم القيامة ، سمعته والله من نبيكم .

وروى أبو إسرائيل عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن ، أن علياً عليه السلام نشد الناس من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : «من كنت مولاه فعلى مولاه» ، فشهد له قوم وأمسك زيد بن أرقم ، فلم يشهد - وكان يعلمها - فدعا علي عليه السلام عليه بذهاب البصر فعمى ، فكان يحدث الناس بالحديث بعد ما كف بصره ^(١) .

وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر : وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص ، والدعوة التي دعا بها أمير المؤمنين عليه السلام على أنس بن مالك في كتاب المعارف في باب البرص من أعيان الرجال ، وابن قتيبة غير متهم في حق علي عليه السلام ، على المشهور من انحرافه عنه ^(٢) .

فلولا ان هذه الولاية من أوجب الواجبات ، لما كان هناك احتجاج ومناشدات ، ولما رأينا البيت النبوي الطاهر قد جند وحشد الدعاوي والدعوات ، والكلمة والندوات وتحمل بسبب ذلك الظلم والعدوان والقسوة والحرمان ، ولولا الوجوب والتكليف الذي لا مناص منه جلست سيدة نساء العالمين الصديقة الطاهرة في بيتها ولزمت الصمت والسكوت . وهنا حان الوفاء بالوعد للقارئ الكريم بذكر خطبتي

() / .

() / .

بضعة الرسول ﷺ الطاهرة البتول سلام الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها، ثم ذكر الخطبة الششقية المعروفة.

وللتعريف بخطبتي الزهراء & قبل إيرادها نكتفي بما قاله العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره حيث قال: السلف من بني علي وفاطمة يروي خطبتها في ذلك اليوم لمن بعده، ومن بعده رواها لمن بعده، حتى انتهت النايداً عن يد، فنحن الفاطميين نرويها عن آباءنا، وآبائنا يروونها عن آبائهم، وهكذا كانت الحال في جميع الأجيال إلى زمن الأئمة من أبناء علي وفاطمة، ودونكموها في كتاب الاحتجاج للطبرسي، وبحار الأنوار.

وقد أخرجها من اثبات الجمهور واعلامهم أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب (السقيفة وفدك) بطرق وأسانيد ينتهي بعضها إلى السيدة زينب بنت علي وفاطمة، وبعضها إلى الامام أبي جعفر محمد الباقر (عليه السلام) وبعضها إلى عبد الله بن الحسن يرفعوها جميعاً إلى الزهراء كما في صفحة ٧٨ من المجلد الرابع من شرح النهج الحديدي، وأخرجها أيضاً أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني بالاسناد إلى عروة بن الزبير عن عائشة ترفعها إلى الزهراء كما في صفحة ٩٣ من المجلد الرابع من شرح النهج، وأخرجها المرزباني أيضاً كما في صفحة ٩٤ من المجلد المذكور بالاسناد إلى أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جدّه يبلغ بها فاطمة عليها السلام، ونقل ثمة عن زيد انه قال: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونها عن آبائهم ويعلمونها أولادهم^(١).

أقول: ورواها الامام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر في بلاغات النساء وسوف نذكرها لاحقاً.

فخطبتنا الزهراء سلام الله عليها تراث مسلّم عند أهل البيت واتباعهم، ولعل الأمر كذلك عند القوم، ونحن نذكر هاتين الخطبتين من مصادر الفريقين، نبدأ أولاً برواية العلامة الطبرسي في الاحتجاج حيث قال:

روى عبد الله بن الحسن^(١) بإسناده عن آبائه عليهم السلام: انه لما اجمع^(٢) أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكاً وبلغها ذلك^(٣) لاثت خمارها^(٤) على رأسها، واشتملت بجلبابها^(٥)، واقبلت في لمة^(٦) من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها^(٧)، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ^(٨) حتى دخلت على أبي بكر وهو في

()

ﷺ

ﷺ

ﷺ

ﷺ

: ()

()

: - : -

: :

ﷺ

:

:

ﷺ

:

: ..

: ()

: - :

()

: ()

:

()

حشد من المهاجرين والانصار وغيرهم^(٢) فنيطت دونها ملاءة^(٣) فجلست ثم انت انة
اجهش^(٤) القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس، ثم امهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج
القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله،
فعاد القوم في بكائهم، فلما امسكوا عادت في كلامها، فقالت عليها السلام: الحمد
لله على ما انعم، وله الشكر على ما لهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتداها،
وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن اولاها، جم عن الاحصاء عددها، ونأى عن الجزاء
امدها، وتفاوت عن الادراك ابدتها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها واستحمد
إلى الخلائق باجزالها، وثنى بالندب إلى امثالها، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له، كلمة جعل الاخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وانار في
التفكر معقولها، الممتنع من الابصار رؤيته، ومن اللسن صفته، ومن الاوهام
كيفيته، ابتدع الاشياء لا من شئ كان قبلها، وانشأها بلا احتذاء امثلة امثلها كونها
بقدرته، وذراها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها،
الاتثيتا لحكمته، وتنبهها على طاعته، واظهارا لقدرته، تعبدا لبريته واعزازا
لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده
من نعمته، وحياسة^(٥) لهم إلى جنته، واشهد ان ابى محمدا عبده ورسوله اختاره قبل
ان ارسله، وسماه قبل ان اجتباه، واصطفاه قبل ان ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب
مكنونة، وبستر الاهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة علما من الله تعالى بمآيل

()

()

()

()

()

الامور، واحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بموقع الامور ابتعثه الله اتماما لامره، وعزيمة على امضاء حكمه، وانفاذا لمقادير رحتمه، فرأى الامم فرقا في اديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لاوثانها، منكرة لله مع عرفانها فانار الله بابي محمد ﷺ ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها^(١)، وجلى عن الأبصار غممها^(٢)، وقام في الناس بالهداية، فانقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم. ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار، ورغبة وايثار، فمحمد ﷺ من تعب هذه الدار في راحة، قد حف بالملائكة الابرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي نبيه، وامينه، وخيرته من الخلق وصفيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت إلى اهل المجلس وقالت: اتم عباد الله نصب امره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وامناء الله على انفسكم، وبلغائه إلى الامم، زعيم حق له فيكم، وعهد قدمه اليكم، وبقية استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور لساطع، والضياء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به اشياعه، قائدا إلى الرضوان اتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيئاته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، فجعل الله الايمان: تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة: تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة: تزكية للنفس، ونماء في الرزق، والصيام: تثبيتا للاخلاص، والحج: تشييدا للدين، والعدل: تنسيقا للقلوب، وطاعتنا: نظاما للملة، وامامتنا: امانا للفرقة والجهاد: عزا للاسلام،

() :

() : " "

والصبر، معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف: مصلحة للعامة، وبر الوالدين: وقاية من السخط، وصلة الارحام: منسأة في العمر^(١) ومنمأة للعدد، والقصاص: حقنا للدماء، والوفاء بالنذر: تعريضا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين: تغييرا للبخس، والنهي عن شرب الخمر: تنزيها عن الرجس واجتناب القذف: حجابا عن اللعنة، وترك السرقة: ايجابا بالعفة، وحرم الله الشرك اخلاصا له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن الا وانتم مسلمون، واطيعوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه، فانه انما يخشى الله من عباده العلماء.

ثم قالت ايها الناس اعلموا: اني فاطمة وابي محمد ﷺ اقول عودا وبدوا، ولا اقول ما اقول غلطا، ولا افعل ما افعل شططا^(٢)، لقد جائكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عتتم^(٣) حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم. فان تعزوه^(٤) وتعرفوه: تجدوه أبي دون نساءكم، واخا ابن عمي دون رجالكم^(٥) ولنعم المعزى إليه ﷺ، فبلغ الرسالة، صادعا بالندارة^(٦) مائلا عن مدرجة المشركين^(٧) ضارباً ثبجهم^(٨) آخذاً باكظامهم^(٩) داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يحف الاصنام^(١٠) وينكث

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه^(١) وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين^(٢) وطاح وشيظ النفاق^(٣) وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الاخلاص^(٤) في نفر من البيض الخماص^(٥) وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب^(٦) ونهزة الطامع^(٧) وقبسة العجلان، وموطئ الاقدام^(٨) تشربون الطرق^(٩) وتقتاتون القد^(١٠) اذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فانقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ، وبعد أن مني بهم^(١١) الرجال وذؤبان العرب، ومردة اهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان^(١٢) أو فغرت فاغرة من المشركين^(١٣) قذف أخاه في لهواتها^(١٤) فلا ينكفى حتى يطأ جناحها باخمصه^(١٥) ويحمد لهبها بسيفه،

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

مكدودا في ذات الله، مجتهدا في امر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدا، كادحا، لا تأخذه في الله لومة لائم، وانتم في رفاهية من العيش، وادعون^(١) فاكهون^(٢) آمنون، تتربصون بنا الدوائر^(٣) وتتوكفون الاخبار^(٤) وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال.

فلما اختار الله لنيبه دار أنبيائه، ومأوى اصفياه، ظهر فيكم حسكة النفاق^(٥) وسمل جلباب الدين^(٦) ونطق كاظم الغاوين^(٧) ونبغ حامل الاقلين^(٨) وهدر فنيق المبطلين^(٩) فخطر في عرصاتكم^(١٠) واطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم^(١١) فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، واحشمكم فألفاكم غضاباً^(١٢) فوسمتم غير ابلكم^(١٣) ووردتم غير مشربكم^(١٤).

() :

() :

() :

() :

() " "

() :

() :

() :

() :

() :

() :

() :

() :

() :

() :

هذا والعهد قريب والكلم رحيب^(١)، والجرح لما يندمل^(٢) والرسول لما يقبر،
ابتداراً، زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين،
فهيئات منكم، وكيف بكم، وانى تؤفكون، وكتاب الله بين اظهركم، اموره
ظاهرة، واحكامه زاهرة واعلامه باهرة، وزواجره لايحة، واوامره واضحة، وقد
خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون ❖ ؟ ام بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين
بدلاً، ومن يبتع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، ثم لم
تلبثوا الا ريث أن تسكن نفرتها^(٣) ويسلس قيادها^(٤) ثم اخذتم توراوتهم وقدمتها^(٥)
وتهيجون جمرتها، وتستجيون لهتاف الشيطان الغوي، واطفاء انوار الدين الجلي
واهمال سنن النبي الصفي، تشربون حسوا في ارتغاء^(٦) وتمشون لاهله وولده في
الخمرة والضراء^(٧) ويصير ❖ منكم على مثل حزم المدى^(٨) ووخز السنان في الحشاء،
وانتم الان تزعمون: أن لا إرث لنا، افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله
حكماً لقوم يوقنون؟! أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية: أني
ابنته.

()

()

()

()

()

()

()

()

()

أيها المسلمون أغلب على ارثي^(١)؟ يابن ابي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث ابي؟ لقد جئت شيئاً فريباً! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) (النمل/١٦٧) وقال: فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ❖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) (مريم/٦) وقال: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) (الأفئال: ٧٥) وقال: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْاُنثِيَيْنِ) (النساء/١١) وقال: (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْاُولَادَيْنِ وَالْاَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) (البقرة/١٨٠) وزعمتم: ان لا حظوة^(٢) لي ولا ارث من ابي، ولا رحم بيننا، افخصكم الله بأية اخرج ابي منها؟ ام هل تقولون: أن اهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست انا وأبي من اهل ملة واحدة؟ أم أنتم اعلم بخصوص القرآن وعمومه من ابي وابن عمي؟ فدونها مخطومة مرحولة^(٣) تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم.

ثم رمت بطرفها^(٤) نحو الأنصار فقالت: يا معشر النقيية واعضاد الملة^(٥) وحضنة الاسلام، ما هذه الغميمة في حقي^(٦) والسنة عن ظلامتي^(٧)؟ أما كان رسول الله ﷺ

() : () .

() :

() : :

() () .

() :

() - :

() :

ابي يقول (المرء يحفظ في ولده)؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا اهالة^(١) ولكم طاقة بما احاول، وقوة على ما اطلب وازاول، أتقولون مات محمد ﷺ؟ فخطب جليل: استوسع وهنه واستنهر فتقه^(٢) وانفتق رتقه، واطلمت الارض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتشرت النجوم لمصيبته، واكدت^(٣) الامال، وخشعت الجبال، واضيع الحريم، وازيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لامثلها نازلة، ولا باثقة^(٤) عاجلة، اعلن بها كتاب الله جل ثناؤه، في افنيتمكم، وفي مماسكم، ومصبحكم، يهتف في افنيتمكم هتافا، وصراخا، وتلاوة، والحانا، ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران/١٤٤)^(٥) ايها بني قيلة^(٥) أهضم تراث ابي؟ وانتم بمرئ مني ومسمع، ومنتدى^(٦) ومجمع تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وانتم ذوو العدد والعدة، والاداة والقوة وعندكم السلاح والجنة^(٧) توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيشون، وانتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبتم، والخيرة التي اختيرت لنا اهل البيت.

()

()

()

()

()

()

()

قاتلتم العرب، وتحملتكم الكد والتعب، وناطحتم الامم، وكافحتم^(١) البهم، لانبرح أو تبرحون^(٢) نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الاسلام، ودر حلب الايام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الافك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين^(٣) فأنى حزتم بعد البيان؟ واسررتكم بعد الاعلان؟ ونكصتم بعد الاقدام؟ واشركتم بعد الايمان؟ بؤسا لقوم نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم، وهموا باخراج الرسول، وهم بدؤكم اول مرة، تخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين.

ألا وقد أرى أن قد اخلدتم إلى الخفض^(٤) وابعدتم من هو احق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة^(٥) ونجوتم بالضيق من السعة، فمجبجتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم^(٦) فان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغنى حميد.

ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالجدلة التي خامرتكم^(٧) والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القناة^(٨) وبثة

() : () .

() :

() :

() :

() :

() :

() :

() :

الصدر، وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبيرة^(١) الظهر نقبة الخف^(٢) باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشار الابد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الافئدة، فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون. وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعلموا انا عاملون، وانتظروا انا منتظرون.

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان. وقال: يا بنت رسول الله لقد كان ابوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً اليماً، وعقاباً عظيماً، ان عزوانه وجدناه اباك دون النساء، واخا إلفك دون الاخلاء^(٣) آثره على كل حميم، وساعده في كل امر جسيم، لا يحبكم الا سعيد، ولا يبغضكم الا شقي^(٤) بعيد فاتم عترة رسول الله الطيبون، الخيرة المتجبون، على الخير ادلتنا، وإلى الجنة مسالكنا، وانت يا خيرة النساء، وابنة خير الانبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأى رسول الله، ولا عملت الا باذنه، والرائد لا يكذب اهله، واني اشهد الله وكفى به شهيدا، أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: نحن معاشر الانبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً وانما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة وما كان لنا من طعمة فلولى الامر بعدنا ان يحكم فيه بحكمه^(٥) وقد جعلنا ما حاولته في الكراع

() :

()

() :

() - : - " " :

()

حالى ومالى، هي لك وبين يديك، لاتزوى عنك، ولاندخر دونك، وانك وانت سيدة امة ابيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لاندفع ❖ مالك من فضلك، ولا يوضع في فرعك واصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداى فهل ترين ان اخالف في ذلك أباك



فقلت عليها السلام: سبحان الله ما كان أبي رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادفا^(١) ولا لأحكامه مخالفا! بل كان يتبع اثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل^(٢) في حياته هذا

:

:

:-

-

....

()

()

كتاب الله حكما عدلا ، وناطقا فصلا يقول : (يُرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) (مریم/٦) ويقول : (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) (النمل/١٦) وبين عزوجل فيما وزع من الاقساط ، وشرع من الفرائض والميراث ، وابعاح من حظ الذكران والاناث ، ما ازاح به علة المبطلين ، وأزال التظنى والشبهات في الغابرين ، كلا بل سولت لكم انفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله ، وصدقت ابنته ، معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحجة ، لا ابعد صوابك ، ولا انكر خطابك هؤلاء المسلمون بيني وبينك ، قلدونني ما تقلدت ، وباتفاق منهم اخذت ما اخذت غير مكابر ولا مستبد ، ولا مستأثر ، وهم بذلك شهود.

فالتفت فاطمة عليها السلام إلى الناس وقالت :

معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل^(١) المغضية على الفعل القبيح الخاسر افلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتتم من اعمالكم ، فاخذ بسمعكم وابصاركم ، ولبس ما تأولتم ، وساء ما به أشرتتم ، وشر ما منه اغتصبتتم لتجدن والله محمله ثقيلاً ، وغبه وييلاً ، إذا كشف لكم الغطاء وبان باورائه الضراء ، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحسبون ، وخسر هنالك المبطلون.

ثم عطفت على قبر النبي ﷺ وقالت :

قد كان بعدك انباء وهنبشة	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلها	واختل قومك فاشهدهم ولا تغب
وكل اهل له قري ومنزلة	عند الاله على الادنين مقترب

ابدت رجال لنا نجوى صدورهم^(١) لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهمتا رجال واستخف بنا لما فقدت وكل الارض مغتصب
وكنت بدرا ونورا يستضاء به عليك ينزل من ذى العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يونسنا فقد فقدت وكل الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا لما مضيت وحالت دونك الكتب^(٢)

ثم انكفئت & وامير المؤمنين عليه السلام يتوقع رجوعها إليه ، ويتطلع طلوعها عليه ،
فلما استقرت بها الدار ، قالت : لامير المؤمنين عليه السلام .

يابن أبي طالب ، اشتملت شملة الجنين ، وقعدت حجرة الظنين ، نقضت قادمة
الاجدل^(٣) فخانك ريش الاعزل^(٤) هذا ابن ابي قحافة بيتزنى نحلة أبي وبلغه^(٥) ابني !
لقد اجهد^(٦) في خصامي ، والفيتة الد في كلامي^(٧) حتى حبستني قيلة نصرها
والمهاجرة وصلها ، وغضت الجماعة دوني طرفها ، فلا دافع ولا مانع ، خرجت
كاظمة ، وعدت راغمة ، اضرعت خدك^(٨) يوم اضعت خدك إفترست الذئاب ،
وافترشت التراب ، ما كففت قاتلاً ، ولا اغنيت طائلاً^(٩) ولا خيار لي ، ليتني مت قبل

-
- () : .
() - - :- : .
() : - : .
() : .
() : .
() () .
() : : .
() : .
() : () :

هنيئتي ، ودون ذلتي عذيري الله منه عادياً^(١) ومنك حامياً ، ويلاي في كل شارق!
ويلاي في كل غارب! مات العمد ، ووهن العضد^(٢) شكواي إلى أبي! وعدواي^(٣)
إلى ربي! اللهم انك اشد منهم قوة وحولاً ، واشد بأساً وتنكيلاً .

فقال امير المؤمنين عليه السلام لا ويل لك بل الويل لثانئك^(٤) ثم نهى عن وجدك^(٥) يا
ابنة الصفوة ، وبقية النبوة ، فما ونيت^(٦) عن ديني ، ولا اخطأت مقدوري^(٧) فان
كنت تريدين البلغة ، فرزقك مضمون ، وكفيلك مأمون ، وما أعد لك أفضل مما قطع
عنك ، فاحتسبي الله .

فقلت : حسبي الله وامسكت .

() :

() :

() :

() :

() :

()

()



سخط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون. لاجرم لقد قلدتهم ربقتها وحملتهم اوقتها^(١) وشننت عليهم غاراتها^(٢) فجدها ، وعقراً وبعداً ، للقوم الظالمين.

ويجهم أتى زعزعوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوة والدلالة ، ومهبط الروح الامين ، والطبين بأمور الدنيا^(٣) والدين؟! ألا ذلك هو الخسران المبين! وما الذي نعموا من ابى الحسن عليه السلام?! نعموا والله منه نكير سيفه ، وقلة مبالاته لحتفه ، وشدة وطأته ، ونكال^(٤) وقعته ، وتنمره في ذات الله^(٥) وتالله لو مالوا عن المحجة اللايحة ، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة ، لردهم إليها ، وحملهم عليها ولسار بهم سيراً سجحاً^(٦) لا يكلم حشاشه^(٧) ولا يكل سائره^(٨) ولا يمل راكمه ، ولأوردهم منهلاً غيراً ، صافياً ، روياء ، تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطانا ، ونصح لهم سرا واعلانا ، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل ، ولا يحظى منها بنائل ، غير ري الناهل ، وشبعة الكافل ، ولبان لهم : الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب ، (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الأعراف/٩٦) ، (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) (الزمر/٥١).

()

()

()

()

()

()

()

()

ألا هلمَّ فاسمع؟! وما عشت اراك الدهر عجباً! وان تعجب فعجب قولهم!..
 ليت شعري إلى أي اسناد استندوا؟! والى اي عماد اعتمدوا؟! وبأية عروة تمسكوا؟!
 وعلى اية ذرية اقدموا واحتكوا^(١) لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلاً،
 استبدلوا والله الذنابي بالقوادم^(٢) والعجز بالكاهل^(٣) فرغماً لمعاطس^(٤) قوم يحسبون
 انهم يحسنون صنعا. ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون. ويجهم أفمن يهدى إلى
 الحق احق ان يتبع ام من لا يهدى الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون؟! أما لعمري
 لقد لقحت، فنظرة ريشما تنتج، ثم احتلبوا ملاء القعب دماً عبيطاً^(٥) وزعافاً مبيداً،
 هنالك يخسر المبطلون، ويعرف البطالون غب^(٦) ما اسس الاولون، ثم طيخوا عن
 دنياكم انفسا، واطمأنوا للفتنة جاشاً، وابشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم،
 وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين: يدع فيئكم زهيذا، وجمعكم حصيذا، فيا
 حسرة لكم! واني بكم وقد عميت عليكم! انلزمكموها وانتم لها كارهون.

قال سويد بن غفلة فاعادت النساء: قولها & على رجالهن فجاء إليها: قوم من
 المهاجرين والانصار متعذرين، وقالوا: يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن ذكر لنا

()

()

()

()

()

()

هذا الامر قبل ان يبرم العهد، ويحكم العقد، لما عدلنا عنه إلى غيره، فقالت & :
إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم، ولا امر بعد تقصيركم^(١).

وإليك الخطبة من مصادر القوم برواية الإمام أبي الفضل أحمد بن طاهر المتوفى
سنة ٢٨٠ هجرية في كتابه (بلاغات النساء) قال :

قال أبو الفضل : ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب
(صلوات الله عليهم) كلام فاطمة & عند منع أبي بكر اياها فدك وقلت له ان
هؤلاء^(٢) يزعمون انه مصنوع وانه من كلام أبي العيناء (الخبر منسوق البلاغة على
الكلام)^(٣) فقال لي رايت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه ابناءهم
وقد حدثني أبي عن جدي يبلغ به فاطمة على هذه الحكاية ورواه مشايخ الشيعة
وتدارسوه بينهم قبل ان يولد جد أبي العيناء وقد حدث به الحسن بن علوان عن
عطية العوفي انه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه ثم قال أبو الحسين وكيف
يذكر هذا من كلام فاطمة فينكرونه وهم يرون من كلام عائشة عند موت ابيها ما هو
اعجب من كلام فاطمة يتحققونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت ثم ذكر الحديث.

قال : لما اجمع أبو بكر على منع فاطمة بنت رسول الله ﷺ فدك وبلغ ذلك
فاطمة & لاثت خمارها^(٤) على رأسها وأقبلت في لمة من حفدتها^(٥) تطأ ذبولها ما

() / :

()

()

()

()

تخرم^(١) من مشية رسول الله ﷺ شيئاً حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد^(٢) من المهاجرين والانصار فنيطت^(٣) دونها ملاة ثم أنت انة اجهش القوم لها بالبكاء وارتج المجلس فامهلت حتى سكن نشيخ^(٤) القوم وهدات فورتهم فافتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاه على رسول الله ﷺ فعاد القوم في بكائهم فلما امسكوا عادت في كلامها فقالت (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)^(التوبة/١٢٨) فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم^(٥) واخا ابن عمي دون رجالكم فبلغ الندارة^(٦) صادعاً بالرسالة مائلاً على مدرجة^(٧) المشركين ضارباً لثبجهم آخذاً بكظمهم يهشم الاصنام وينكت الهام^(٨) حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتغرى الليل عن صبحه^(٩) واسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق^(١٠) الشياطين وكنتم على شفا^(١) حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع



()

()

()

()

« »

()

()

()

()

» :

«

() :

()

وقبسة العجلان^(٢) وموطئ الأقدام تشربون الطرق^(٣) وتقتاتون الورق اذلة خاشعين^(٤)
تخافون ان يتخطفكم الناس من حولكم فانذككم الله برسوله ﷺ بعد اللتيا والتي
ويعد ما منى بهم الرجال^(٥) وذؤبان العرب (ومردة أهل الكتاب)^(٦) كلما حشوا^(٧)
نارا للحرب اطفأها ونجم قرن^(٨) للضلال وفغرت فاغرة من المشركين قذف بأخيه في
لهواتها^(٩) فلا ينكفى حتى يطا صماخها باخمصه ويخمد لهبها^(١٠) بحده مكوداً^(١١) في
ذات الله قريبا من رسول الله سيدا في اولياء الله وانتم في بلهنية^(١٢) وادعون آمنون
حتى إذا اختار الله لنبيه دار انبيائه ظهرت خلة النفاق وسمل^(١٣) جلباب الدين ونطق
كاظم الغاوين ونبع حامل الآفلين وهدر فنيق^(١٤) المبطلين فخطر في عرصاتكم^(١٥)

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

واطلع الشيطان راسه من مغرزه^(١) صارخا بكم فوجدكم^(٢) لدعائه مستجيبين وللغرة فيه ملاحظين^(٣) فاستنهضكم فوجدكم خفافا واجمشكم^(٤) فالفاكم غضابا فوسمتم^(٥) غير ابلکم واوردتوها غير شربکم^(٦) هذا والعهد قريب والكلم^(٧) رحيب والجرح لما يندمل^(٨) بدار (وفي نسخة إنما) زعمتم خوف الفتنة الا في الفتنة سقطوا^(٩) وان جهنم لمحیطة بالكافرين فهيهات منكم واني بكم واني تؤفكون^(١٠) وهذا كتاب الله بين اظهرکم وزواجره بينة وشواهدہ لاثحة واوامره واضحة أرغبة عنه تدبرون أم بغيره تحكمون بثس للظالمين بدلا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل

منه وهو في الاخرة من الخاسرين ثم لم تریثوا^(١١) إلا ریث ان تسكن نغرتها تشربون حسوا وتسرون في ارتغاء ونصبر منكم على مثل حز المدى وانتم الان تزعمون ان لا أرث لنا أفحکم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حکما لقوم یوقنون ويها معشر

()

: « ()

()

()

()

()

()

()

()

()

« ()

يوقنون وبها معشر المهاجرين أأبتر أرث أبي^(١) أفى الكتاب ان ترث اباك ولا ارث أبى
لقد جئت شيئاً فربا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله
والزعيم محمد والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف
تعلمون ثم انحرفت^(٢) الى قبر النبي ﷺ وهي تقول:

قد كان بعدك انباء وهنشة لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب^(٣)
انا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم ولا تغب^(٤)

قال فما رأينا يوما كان اكثر باكيا ولا باكية من ذلك اليوم (حدثني) جعفر بن
محمد رجل من أهل ديار مصر لقيته بالرافقة قال: حدثني أبي قال: أخبرنا موسى بن
عيسى قال: أخبرنا عبد الله بن يونس قال: أخبرنا جعفر الاحمر عن زيد بن علي
(رحمة الله عليه) عن عمته زينب بنت الحسين ؑ قالت: لما بلغ فاطمة & اجماع أبي بكر
على منعها فدك لاثت خمارها وخرجت في حشدة نساؤها ولمة من قومها^(٥) تجر
اذراعها^(٦) ما تخرم^(٧) من مشية رسول الله ﷺ شيئاً حتى وقفت على أبي بكر وهو في

() :

«

() :

()

()

()

« »

()

()

حشد من المهاجرين والانصار فانت انة اجهش لها القوم بالبكاء فلما سكنت فورتهم^(١) قالت ابدأ بحمد الله ثم اسبلت بينها وبينهم سجفاً^(٢).

ثم قالت : الحمد لله على ما انعم وله الشكر على ما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتداها وسبوغ آلاء اسداها^(٣) واحسان ممن والاهها جم^(٤) عن الاحصاء عددها ونأ عن المجازاة امدها^(٥) وتفاوت^(٦) عن الادراك آمالها واستثن الشكر بفضائلها^(٧) واستحمد الى الخلائق باجزالها وثنى بالندب الى امثالها^(٨) واشهد ان لا اله إلا الله كلمة جعل الاخلاص تأويلها وضمن القلوب موصولها^(٩) وأنى في الفكرة معقولها^(١٠) الممتع من الابصار رؤيته ومن الاوهام الاحاطة به ابتدع الاشياء لا من شئ قبله واحتذاها بلا مثال^(١١) لغير فائدة زادته إلا اظهارا لقدرته وتعبدا لبريته واعزازا لدعوته ثم جعل الثواب على طاعته والعقاب على معصيته زيادة^(١٢) لعباده عن نعمته وجياشاً^(١٣) لهم الى جنته واشهد ان أبي محمدا عبده ورسوله اختاره قبل ان

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

يجتبله^(١) واصطفاه قبل ان ابتعثه وسماه قبل ان استنجه^(٢) إذ الخلائق بالغيوب
مكونة وبستر الاهاويل^(٣) مصونة وبنهاية العدم مقرونة علما من الله عز وجل بمايل
الامور^(٤) واحاطة بحوادث الدهور ومعرفة بمواضع المقدور ابتعثه الله تعالى عز وجل
اتماما لامره وعزيمة على امضاء^(٥) حكمه فرأى ﷺ الامم فرقا في اديانها عكفاً^(٦)
على نيرانها عابدة لاوثانها منكرة لله مع عرفانها فانار الله عز وجل بمحمد ﷺ
ظلمها وفرج عن القلوب بهمها^(٧) وجلى عن الابصار غمها^(٨) ثم قبض الله نبيه ﷺ
قبض رافة واختيار رغبة بابي عن هذه الدار موضوع عنه العبء والاوزار محتف^(٩)
بالملائكة الابرار ومجاورة الملك الجبار ورضوان^(١٠) الرب الغفار صلى الله على محمد
نبي الرحمة وامينه على وحيه وصفيه من الخلائق ورضيه ﷺ ورحمة الله وبركاته
ثم انتم عباد الله (تريد أهل المجلس) نصب أمر الله^(١١) ونهيه وحمله دينه ووحيه
وامناء الله على انفسكم وبلغاؤه الى الامم زعمتم حقا لكم الله فيكم عهد^(١٢) قدمه

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

اليكم ونحن بقية استخلفنا عليكم ومعنا كتاب الله بينة بصائر^(١) وآي فينا^(٢) منكشفة سرائره وبرهان منجلية ظواهره مديم البرية اسماعه قائد الى الرضوان اتباعه مؤد الى النجاة استماعه فيه بيان حجج الله المنورة وعزائمه المفسرة ومحارمه المحذرة وتبينه الجالية^(٣) وجمله الكافية وفضائله المندوبة^(٤) ورخصه^(٥) الموهوبة وشرائعه المكتوبة ففرض الله الايمان تطهيرا لكم من الشرك والصلاة تنزيها عن الكبر والصيام تثبيتا للاخلاص والزكاة تزييدا في الرزق والحج تسلية للدين والعدل تنسكا للقلوب وطاعتنا نظاما وامامتنا امانا من الفرقة وحبنا عزا للاسلام والصبر منجاة والقصاص حقنا للدماء^(٦) والوفاء بالنذر تعرضا للمغفرة وتوفية المكايل والموازين تعبيراً للنحسة^(٧) والنهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس وقذف المحصنات اجتناباً للجنة وترك السرقة ايجاباً للعفة^(٨) وحرمة الله عز وجل الشرك اخلاصاً له بالربوبية فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وانتم مسلمون واطيعوه فيما امركم به ونهاكم عنه فانه إنما يخشى الله من عباده العلماء.

ثم قالت: أيها الناس أنا فاطمة وأبي محمد ﷺ أقولها عوداً على بدء لقد جاءكم رسول من انفسكم ثم ساق الكلام على ما رواه زيد بن علي ﷺ في رواية

- ()
()
()
()
()
()
()
()

{ }:

أبيه ثم قالت في متصل كلامها افعلى محمد^(١) تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول الله تبارك وتعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) وقال الله عز وجل فيما قص من خبر يحيى بن زكريا (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا^(٢)) ❖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) وقال عز ذكره: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) وقال: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَىٰ) وقال: (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأُولَادَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) وزعمتم ان لا حق ولا ارث لي من أبي ولا رحم^(٣) بيننا أفخصكم الله بآية اخرج نبيه ﷺ منها أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثون أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة لعلكم اعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبي ﷺ أفحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون أغلب على ارثي جوراً وظلماً وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وذكر انها لما فرغت من كلام أبي بكر والمهاجرين عدلت الى مجلس الانصار فقالت: معشر البقية^(٤) واعضاد الملة^(٥) وحصون الاسلام ما هذه الغميرة^(٦) في حقي والسنة^(٧) عن ظلامتي أما قال رسول الله ﷺ المرء يحفظ في ولده سرعان^(٨) ما

()

()

()

()

()

()

()

()

اجدبتهم فاكدتيم وعجلان ذا اهانة^(١) تقولون مات رسول الله ﷺ فخطب جليل استوسع وهيه^(٢) واستنهر فتقه^(٣) وبعد وقته واطلمت الأرض لغيبته واكتابت خيرة الله (٤) لمصيبته وخشعت الجبال واكدت الآمال^(٥) واضيع الحريم واذيلت الحرمة^(٦) عند مماته ﷺ^(٧) وتلك^(٨) نازل علينا بها كتاب الله في افنيتكم^(٩) محساكم ومصبحكم يهتف بها في اسماعكم وقبله حلت بانبياء الله عز وجل ورسله (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) ايها بني قيلة أهضم تراث أبيه^(١٠) وانتم بمراى ومسمع تلبسكم الدعوة وتملككم^(١١) الحيرة وفيكم العدد والعدة ولكم الدار وعندكم الجنن^(١٢) وانتم الالى نخبه الله التي انتخب لدينه وانصار رسوله وأهل الاسلام والخيرة التي اختار لنا أهل البيت فبادتيم العرب^(١٣) وناهضتم^(١٤) الامم

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

الغيظ وبشة^(١) الصدر ومعذرة^(٢) الحججة فدونكموها^(٣) فاحتقبوها^(٤) مدبرة الظهر ناكبة^(٥) الحق باقية العار موسومة بشنار الابد موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع الافئدة فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وانا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا انا عاملون وانتظروا انا منتظرون. قال أبو الفضل وقد ذكر قوم ان أبا العيناء ادعى هذا الكلام وقد رواه قوم وصححوه وكتبناه على ما فيه.

وحدثني عبد الله بن أحمد العبدى عن حسين بن علوان عن عطية العوفي انه سمع أبا بكر يومئذ يقول لفاطمة & يا ابنة رسول الله لقد كان ﷺ بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً وعلى الكافرين عذاباً أليماً وإذا عزوانه^(٦) كان اباك دون النساء واخا ابن عمك^(٧) دون الرجال آثره على كل حميم^(٨) وساعده على الأمر العظيم^(٩) لا يحبكم إلا العظيم السعادة ولا يبغضكم الا الردئى الولادة وانتم عترة الله^(١٠) الطيبون وخيرة الله المنتخبون على الاخرة ادلتنا وباب الجنة لسالكنا وأما منعك ما سألت فلا ذلك

()

()

()

()

()

()

() .

()

()

()

لي^(١) وأما فذك^(٢) وما جعل لك ابوك فإن منعتك فانا ظالم وأما الميراث فقد تعلمين انه ﷺ قال لا نورث ما ابقيناه صدقة^(٣).

قالت : ان الله يقول عن نبي من انبيائه : (يَرْمِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) وقال : (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) فهذان نبيان وقد علمت ان النبوة لا تورث وإنما يورث ما دونها فما لي امنع ارث ابي أنزل الله في الكتاب إلا فاطمة بنت محمد فتدلني عليه فاقنع به فقال يا بنت رسول الله أنت عين الحجّة ومنطق الرسالة لا يدلى بجوابك^(٤) ولا ادفعك عن صوابك ولكن هذا أبو الحسن بيني وبينك^(٥) هو الذي أخبرني بما تفقدت^(٦) وانبأني بما أخذت وتركت قالت فإن يكن ذلك كذلك فصبراً لمر الحق والحمد لله اله الخلق (قال أبو الفضل) وما وجدت هذا الحديث على التمام إلا عند أبي حفان^(٧).

()

()

: ()

()

()

()

: ()

النبوة ومهبط الروح الامين الطين^(١) بأمور الدنيا والدين الا ذلك هو الخسران المبين
وما الذي نعموا^(٢) من أبي الحسن نعموا والله منه

نكير^(٣) سيفه وشدة وطأته ونكال^(٤) وقعته وتنمره في ذات الله^(٥) ويا لله لو
تكافئوا^(٦) على زمام نبذه رسول الله ﷺ لسار بهم سيراً سججاً^(٧) لا يكلم
خشاشه^(٨) ولا يتعتع^(٩) راكبه ولأوردهم منهلاً رويماً فضفاضاً^(١٠) تطفح ضفتاه
ولا صدرهم بطاناً^(١١) قد تحرى بهم الري غير متجل منهم بطائل بعمله الباهر وردعه
سورة الساعب^(١٢) ولفتححت عليهم بركات من السماء وسيأخذهم الله بما كانوا
يكسبون ألا هلمن^(١٣) فاسمعن وما عشتن اراكن الدهر عجباً الى أي لجأ لجأوا

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()



» :

«

واسندوا وبأي عروة تمسكوا^(١) ولبس المولى^(٢) ولبس العشير استبدلوا والله الذنابي
 بالقوادم^(٣) والعجز بالكاهل فرغما لمعاطس قوم^(٤) (يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ
 يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ) ويجهم (أَفَمَن يَهْدِي
 إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهْدِي إِلَّا أَن يُهْدَى) (٥) فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) أما
 لعمر الهكن^(٦) لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوا^(٧) طلاع القعب^(٨) دماً
 عبيطاً^(٩) وذعافاً ممقراً^(١٠) هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون^(١١) غب ما أسس
 الاولون ثم اطيبيوا^(١٢) عن انفسكم نفساً وطامنوا للفتنة جأشاً^(١٣) وابشروا بسيف
 صارم وبقرح شامل^(١٤) واستبداد من الظالمين يدع فيكم زهيداً وجمعكم حصيداً فيا

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

: « .» ()

()

()

: « .» ()

حسرة لكم وانى بكم وقد عميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ثم أمسكت^(١).

أما خطبة الزهراء & برواية المحدث أبي بكر الجوهري المتوفى سنة ٣٢٣ هجرية فنخرجها لك من كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد حيث قال :

الفصل الأول : فيما ورد من الاخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم ، لا من كتب الشيعة ورجالهم ، لانا مشترطون على أنفسنا ألا نحفل بذلك ، وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيفة وفدك وما وقع من الاختلاف والاضطراب عقب وفاة النبي ﷺ وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الادب ، ثقه ورع ، أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته.

قال أبو بكر : فحدثني محمد بن زكريا قال : حدثني جعفر بن محمد بن عمارة الكندي قال : حدثني أبي ، عن الحسين بن صالح بن حى ، قال ، حدثني رجلان من بنى هاشم ، عن زينب بنت علي بن أبي طالب ﷺ . قال : وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه . قال أبو بكر : وحدثني عثمان بن عمران العجيفي ، عن نائل بن نجيح بن عمير بن شمر ، عن جابر الجعفي ، عن أبي جعفر محمد بن علي ﷺ . قال أبو بكر : وحدثني أحمد بن محمد بن يزيد ، عن عبد الله بن محمد بن سليمان ، عن أبيه ، عن عبد الله ابن حسن بن الحسن . قالوا جميعا : لما بلغ فاطمة & إجماع أبي بكر على منعها فدك ، لاثت خمارها ، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها ، تطأ في ذيولها ، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ ، حتى دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والانصار ، فضرب بينها وبينهم ربطة بيضاء -

وقال بعضهم: قبطية، وقالوا: قبطية بالكسر والضم - ثم أنت أنه أجهد لها القوم بالبكاء، ثم أمهلت طويلا حتى سكنوا من فورتهم، ثم قالت: أبتدئ بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم. ذكر خطبة طويلة جيدة قالت في آخرها: (فاتقوا الله حق تقاته، وأطيعوه فيما أمركم به، فإنما يخشى الله من عباده العلماء، واحمدوا الله الذي لعظمته ونوره يتغنى من في السموات والارض إليه الوسيلة، ونحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصته، ومحل قدسه، ونحن حجته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه، ثم قالت: أنا فاطمة ابنة محمد، أقول عودا على بدء، وما أقول ذلك سرفا ولا شططا، فاسمعوا بأسماع واعية، وقلوب راعية، ثم قالت: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) ^(التوبة/١٢٨) فإن تعزوه تجدوه أبى دون آبائكم، وأخا ابن عمى دون رجالكم، ثم ذكرت كلاما طويلا سنذكره فيما بعد في الفصل الثاني تقول، في آخره: ثم أنتم الان تزعمون أن لا إرث لى، (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ^(المائدة/٥٠) إيها معاشر المسلمين، ابتز إرث أبى! أبى الله أن ترث يا بن أبى قحافه أباك ولا أرث أبى، لقد جئت شيئا فريا! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكل نيا مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم! ثم التفتت إلى قبر أبيها فتمثلت بقول هندی بنت أثاثة:

قد كان بعدك أنباء وهينمة لو كنتِ شاهداً لم تكثري الخطب^(١)
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم لما قضيتِ وحالتِ دونكِ الكتبُ

تجهمتنا رجال وأستخف بنا إذا غبت عنا فنحن اليوم نُغْتَصَبُ

قال: ولم يرَ الناسَ أكثرَ باكٍ ولا باكية منهم يومئذ. ثم عدلت إلى مسجد الانصار فقالت: يا معشر البقية، وأعضاء الملة، وحضنة الاسلام، ما هذه الفترة عن نصرتي، والونية عن معونتي، والغمزة في حقى، والسنة عن ظلامتي! أما كان رسول الله ﷺ يقول: (المرء يحفظ في ولده)! سرعان ما أحدثتم، وعجلان ما أتيتم. الآن مات رسول الله ﷺ أتم دينه! ها إن موته لعمري خطب جليل استوسع وهنه، واستبهم فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الارض له، وخشعت الجبال، وأكدت الامال أضيع بعده الحريم، وهتكت الحرمة، وأذيلت المصونة، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته، وأنباكم بها قبل وفاته، فقال: (مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران/١٤٤) إيها بنى قيلة! اهتضم تراث أبى، وأنتم بمراى ومسمع، تبلغكم الدعوة، ويشملكم الصوت، وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والجنن وأنتم نخبة الله التي انتخب، وخيرته التي اختار! باديتم العرب، وبادهتم الامور، وكافحتم البهم حتى دارت بكم رحى الاسلام، ودر حلبه، وخبت نيران الحرب، وسكنت فورة الشرك، وهدأت دعوة الهرج، واستوثق نظام الدين، أفتأخرتم بعد الاقدام، ونكصتم بعد الشدة وجبنتم بعد الشجاعة، عن قوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم! فقاتلوا أئمه الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون. ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فجحدتم الذي وعيتم، وسغتم الذي سوغتم، وإن تكفروا وأنتم ومن في الارض جميعا فإن الله لغنى حميد، الا وقد قلت لكم ما قلت على معرفة منى بالخذلة التي خامرتكم، وخور القناة، وضعف اليقين، فدونكموها فاحتووها

مدبرة الظهر، ناقبة الخف، باقية العار، موسومة الشعار، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الافئدة، فبعين الله ما تعملون (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)^(١).

قال ابن أبي الحديد: قال أبو بكر: وحدثني محمد بن زكريا، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة بالاسناد الاول قال: فلما سمع أبو بكر خطبتها شق عليه مقالتها فصعد المنبر وقال: أيها الناس، ما هذه الرعة إلى كل قالة! أين كانت هذه الامانى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، إنما هو ثعالة شهيدته ذنبه، مرب لكل فتنة، هو الذي يقول: كروها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفة ويستنصرون بالنساء، كأم طحال أحب أهلها إليها البغى. ألا أني لو أشاء أن أقول لقلت ولو قلت لبحت، إنى ساكت ما تركت. ثم التفت إلى الانصار فقال: قد بلغني يا معشر الانصار مقالة سفهائكم، وأحق من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم فقد جاءكم فاوitem ونصرتم إلا إنى لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منا. ثم نزل، فانصرفت فاطمة & إلى منزلها.

قال ابن أبي الحديد: قلت: قرأتُ هذا الكلام على النقيب أبى يحيى جعفر بن يحيى بن أبى زيد البصري وقلت له: بمن يعرض؟ فقال: بل يصرح. قلت: لو صرح لم أسالك. فضحك وقال: بعلى بن أبى طالب عليه السلام، قلت: هذا الكلام كله لعلى يقوله! قال، نعم، إنه الملك يا بنى، قلت: فما مقالة الانصار؟ قال: هتفوا بذكر علي عليه السلام فخاف من اضطراب الأمر عليه، فنهاهم. فسألته عن غريبه، فقال: أما الرعة بالتخفيف، أي الاستماع والاصغاء، والقالة: القول، وثعالة: اسم الثعلب

() : / .

علم غير مصروف، ومثل ذؤاله للذئب، وشهيدته ذنبه، أي لا شاهد له على ما يدعى إلا بعضه وجزء منه، وأصله مثل، قالوا: إن الثعلب أراد أن يغرى الاسد بالذئب، فقال: إنه قد أكل الشاة التي كنت قد أعددتها لنفسك، وكنت حاضراً، قال: فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذنبه وعليه دم، وكان الاسد قد افتقد الشاة. فقبل شهادته وقتل الذئب، ومرب: ملازم، أرب بالمكان. وكروها جذعة: أعيدوها إلى الحال الأولى، يعنى الفتنة والهرج. وأم طحال: امرأة بغية في الجاهلية، ويضرب بها المثل فيقال: أزنى من أم طحال^(١).

}

/ : ()

{

الخطبة الثانية

قال ابن أبي الحديد: قال أبو بكر: وحدثنا محمد بن زكريا قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلبى عن عبد الله بن حماد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن حسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام، قالت: لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله ﷺ الوجع وثقلت في علتها اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والانصار فقلن لها: كيف أصبحت يا ابنة رسول الله ﷺ؟ قالت: والله أصبحت عائفة^(١) لدياكم قالية لرجالكم لفظتهم بعد أن عجمتهم^(٢) وشننتهم^(٣) بعد أن سبرتهم^(٤) فقبحا لفلول الحد وخور القناة وخطل الرأى وبئسما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون لاجرم! قد قلدتهم ربقتهم وشننت عليهم غارتها فجدعا وعقرا وسحقا للقوم الظالمين! ويحهم! أين زحزوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوه ومهبط الروح الامين والطيبين بأمر الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران! المبين وما الذي نعموا من أبى حسن! نعموا والله نكير سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله وتالله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله ﷺ لاعتلقه ولسار إليهم سيرا سجحا لا تكلم حشاشته ولا يتعتع راكبه ولأوردتهم منهلاً نيراً فضفاضاً يطفح ضفته ولا صدرهم بطانا قد تحير بهم الرأى غير متحل بطائل إلا بغمر الناهل وردعه سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات من السماء والارض

()

()

()

()

وسياًخذهم الله بما كانوا يكسبون. ألا هلم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجبه وأن تعجب فقد أعجبك الحادث إلى أي لجأ استندوا وبأي عروة تمسكوا! لبئس المولى ولبئس العشير ولبئس للظالمين بدلاً! استبدلوا والله الذنابي بالقوادم والعجز بالكاهل فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَّا يَشْعُرُونَ) ويجهم! (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَّا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)! أما لعمر الله لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوها طلاع العقب دما عبيطا وذعاقا ممقرا هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الاولون ثم طيبوا عن أنفسكم نفسا واطمئنوا للفتنة جأشاً وأبشروا بسيف صارم وهرج شامل وأستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيدا وجمعكم حصيدا فيا حسرة عليكم وأنى لكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون! والحمد لله رب العالمين وصلاته على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين.

قال ابن أبي الحديد: قلت: هذا الكلام وأن لم يكن فيه ذكر فدك والميراث إلا أنه من تتمه ذلك وفيه إيضاح لما كان عندها وبيان لشدة غيظها وغضبها فإنه سيأتي فيما بعد ذكر ما يناقض به قاضى القضاة والمرضى في أنها هل كانت غضبى أم لا ونحن لا ننصر مذهبا بعينه وإنما نذكر ما قيل وإذا جرى بحث نظري قلنا ما يقوى في أنفسنا منه.

واعلم أنا إنما نذكر في هذا الفصل ما رواه رجال الحديث وثقاتهم وما أودعه أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتابه وهو من الثقات الامناء عند أصحاب الحديث^(١).

وحكى ابن أبي الحديد كلام السيد المرتضى حيث قال المرتضى:

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال: حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال: حدثني الزياتي قال: حدثنا الشريقي بن القطامي عن محمد بن إسحاق قال: حدثنا صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت: لما بلغ فاطمة إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها على رأسها وأشتملت بجلبابها وأقبلت في لمة^(١) من حفدتها...

قال المرتضى: وأخبرنا المرزباني قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد المكي قال: حدثنا أبو العيناء بن القاسم اليماني قال: حدثنا ابن عائشة قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلت فاطمة إلى أبي بكر في لمة من حفدتها. ثم اجتمعت الرويات من هاهنا^(٢)... ونساء قومها تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والانصار وغيرهم فنيطت^(٣) دونها ملاءة ثم أنت أنه أجهد لها القوم بالبكاء وارتج المجلس ثم أمهلت هنيهة حتى إذا سكن نسيج القوم وهدأت فورتهم افتتحت كلامها بالحمد لله عز وجل والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ ثم قالت: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة/١٢٨) فإن تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم وأخا ابن عمي دون رجالكم فبلغ الرسالة صادعا بالندارة^(٤) مائلا عن سنن المشركين ضاربا ثبجهم يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة آخذا باكظام^(٥) المشركين يهشم الاصنام ويفلق الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبرو حتى

() :

() : « . »

() :

() : « . »

() :

تفرى^(١) الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقائق الشياطين وتمت كلمة الاخلاص وكنتم على شفا حفرة من النار نهزة الطامع ومذقة الشارب وقبسة العجلان وموطأ الاقدام تشربون الطرق^(٢) وتقتاتون القدر. أدلة خاسئين يختطفكم الناس من حولكم حتى أنقذكم الله برسوله ﷺ بعد اللتيا والتي وبعد أن مني بيهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب و (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ)^(المائدة/٦٤) أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغره^(٣) قذف أخاه في لهواتها. ولا ينكفي^(٤) حتى يطأ صماخها بإخمصه ويطفي عادية ليهبها بسيفه - أو قالت: يحمد ليهبها بحده - مكدودا في ذات الله وأنتم في رفاهية فكهون آمنون وادعون.

إلى هنا انتهى خبر أبي العيناء عن ابن عائشة. وأما عروة عن عائشة فزاد بعد هذا: حتى إذا أختار الله لنبيه دار أنبيائه ظهرت حسيكة النفاق وشمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبع خامل الافكين وهدر فنيق المبطلين فخطر في عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه صارخا بكم فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين ولقربه متلاحظين. ثم استنهضكم فوجدكم خفافا وأحمشكم فألفاكم غضابا فوسمتم غير إبلكم ووردتم غير شربكم هذا والعهد قريب والكلم رحيب^(٥) والجرح لما يندمل إنما زعمتم ذلك خوف الفتنة (أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) ^(التوبة/٤٩) فهيهات! وأنى بكم وأنى تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم زواجره بينة

() :

() :

() :

() : «

() :

وشواهدة لائحة وأوامره واضحة. أرغبة عنه تريدون أم لغيره تحكمون. بئس للظالمين بدلا! ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين. ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها تسرون حسوا في ارتغاء ونحن نصبر منكم على مثل حزم المدي وأنتم الان تزعمون أن لا أرث لنا (أَفْحُكُمُ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوفُونَ) (المائدة/٥٠). يابن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئا فريا! فدونكها مخطومة مرحولة تلتاق يوم حشرك فنعلم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون! ثم انكفأت إلى قبر أبيها & فقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنيشة لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب
إننا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

وروى حر مى بن أبى العلاء مع هذين البيتين بيتاً ثالثاً:

فليت بعدك كان الموت صادفنا لما قضيت وحالت دونك الكشب^(١)

قال ابن أبى الحديد: قال المرتضى: وأخبرنا أبو عبد الله المرزبانى: قال: حدثنى على بن هارون قال: أخبرني عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر عن أبيه^(٢) قال: ذكرت لابي الحسين زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام كلام فاطمة & عند منع أبى بكر إياها فدك وقلت له: إن هؤلاء يزعمون أنه مصنوع وأنه من كلام أبى العيناء لان الكلام منسوق البلاغه فقال لى: رأيت مشايخ آل أبى طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه أولادهم وقد حدثنى به أبى عن جدى يبلغ به فاطمة & على هذه الحكاية وقد رواه مشايخ الشيعة وتدارسوه قبل أن يوجد جد أبى العيناء

() : / .

()

وقد حدث الحسين بن علوان عن عطية العوفى أنه سمع عبد الله بن الحسن بن الحسن يذكر عن أبيه هذا الكلام.

ثم قال أبو الحسن زيد: وكيف ينكرون هذا من كلام فاطمة & وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة & ويحققونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت. ثم ذكر الحديث بطوله على نسقه وزاد في الايات بعد البيتين الأولين:

صاقت على بلادي بعد ما رحبت وسيم سبطاك خسفا فيه لي نصب
فليت قبلك كان الموت صادفنا قوم تمنوا فأعطوا كل ما طلبوا
تجهمتنا رجال واستخف بنا مذ غبت عنا وكل الارث قد غصبوا
قال: فما رأينا يوما أكثر باكيا أو باكية من ذلك اليوم.

قال المرتضى: وقد روى هذا الكلام على هذا الوجه من طرق مختلفة ووجوه كثيرة فمن أرادها أخذها من مواضعها فكيف يدعى أنها عليه السلام كفت راضية وأمسكت قانعة لولا البهت وقلة الحياء^(١).

وبعد أن نقلنا إليك عن بعض مصادر الفريقين خطبتي الزهراء سلام الله عليها التي شاطرت وشاركت بعلمها في الاحتجاج، وكشفت عمّا عليه القوم من انحراف واعوجاج، ينبغي ان نفي للقارئ الكريم بما وعدنا من ذكر خطبة أمير المؤمنين عليه السلام ونحن نذكرها من كتاب شرح نهج البلاغة للاستاذ الشيخ محمد عبده بشرحه وتعليقه عليها، فالى الكتاب المذكور مع أمير المؤمنين في خطبته ومع الشيخ محمد عبده حيث قال:

() : / :

ومن خطبة له (عليه السلام) وهي المعروفة بالشقشقية^(١) يتظلم في هذه الخطبة مما لحقه من الغبن في صرفه عن الخلافة بعد ما كان المهياً الأكفأ لها، وبعد ان قال النبي (صلى الله عليه وآله) ما قال في حقه يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه». ثم يشير إلى الأسلوب المصطنع في ترشيح السنة للخلافة من قبل الخليفة الثاني وكيف انه كان المقصود ان يصل عثمان إلى الخلافة ولكن مداورة. ثم ما انتهى إليه حال المسلمين في عهد الخليفة الثالث من تسلط أسرته على المسلمين يأكلون أموالهم، ويظلمون خيارهم، ثم ما آل إليه ذلك من ثورة إسلامية عارمة انتهت بمقتل الخليفة، ثم انقلاب الجماهير إلى علي (عليه السلام) لمبايعته بالخلافة.

ونود ان نشير هنا إلى أن علياً (عليه السلام) هو الخليفة الوحيد الذي وصل إلى الخلافة باختيار الشعب له اختياراً حراً. وهكذا فان الشعب حين ترك رأيه عرف طريقه الصحيح.

أما، واللّه، لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ^(٢)، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنْ الرَّحَى، يَنْحَلِرُ عَنِّي السَّيْلُ^(٣)، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ. فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً^(٤)، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً. وَطَفَّقْتُ أُرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ يَدٍ جَدَاءَ^(١)، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ

() :

()

()

:

()

أَصْبَرَ عَلَى طَخِيَّةٍ عَمِيَاءَ^(٢)، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا
 مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ^(٣). فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى^(٤)، فَصَبَّرْتُ وَفِي الْعَيْنِ
 قَذَى، وَفِي الْحَلْقِ شَجَاً^(٥)، أَرَى تُرَاثِي نَهْبًا. حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَذْلَى بِهَا إِلَى
 فُلَانٍ بَعْدَهُ^(٦). (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ):

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَايِرٍ^(٧)

() :

()

()

()

()

()

()

فِيَا عَجَبًا، بَيْنَا هُوَيْسَتْقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ^(١)، إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَبَعَدَ وَفَاتِهِ. لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا
 ضَرَعِيهَا^(٢)، فَصَيَّرَهَا، وَاللَّهُ، فِي حَوْزَةِ خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمَهَا^(٣)، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا،
 وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَيَقِلُّ الْإِعْتِدَارُ مِنْهَا. فَصَاحِبُهَا كَرَكَبِ الصَّعْبَةِ^(٤)، إِنَّ أَشْنَقَ لَهَا

:

)

(

)

)

)

)

)



خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّم. فَمُنِيَ النَّاسُ فِيهَا، لَعَمْرُ اللَّهِ، يَخْبِطُ وَشِمَاسٍ^(١)،
 وَتَلَوْنٍ وَاعْتِرَاضٍ. فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ. حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ
 جَعَلَهَا سُورَى فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ. فَيَا لِلَّهِ لَهُمْ وَلِلشُّورَى^(٢)، مَتَى اعْتَرَضَ

(

()

()

()



الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صَبِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ^(١)، لَكِنِّي أَسْفَنْتُ مَعَ الْقَوْمِ إِذْ أَسَفُوا^(٢)، وَطَرْتُ مَعَهُمْ إِذْ طَارُوا، فَصَعَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِعْفِهِ^(٣)، وَمَالَ الْآخَرَ لِصِهْرِهِ^(٤)، مَعَ هَنْ وَهَنْ^(٥)، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا حِضْنِيهِ^(٦)، بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلْفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُوأَيِّهِ يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَ الْإِيلِ نَبْتَةَ الرَّيْعِ^(٧). إِلَى أَنْ

()
()
()
()
()
()

()

اِنَّكَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَاجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ^(١)، وَكَبَّتْ بِهِ بَطْنَتُهُ، فَمَا رَاعَنِي اِلَّا وَالنَّاسُ
 كَعُرْفِ الضَّبْعِ اِلَيَّ^(٢) يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْتُ وُطِيَّ الْحَسَنَانَ، وَشَقُّ
 عَطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ^(٣)، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ،
 وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ^(٤). كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَيْثُ يَقُولُ
 {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ
 لِلْمُتَّقِينَ}. بَلَى، وَاللَّهِ، لَقَدْ سَمِعُوهَا، وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلَيْتِ الدُّنْيَا فِي
 أَعْيُنِهِمْ^(٥)، وَرَاقَهُمْ زَبْرِجَهَا. أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ^(٦)، لَوْ لَا حُضُورُ
 الْحَاضِرِ^(٧)، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُوا
 عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَعْبِ مَظْلُومٍ^(٨)، لِأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا^(٩)، وَلَسَقَيْتُ
 آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلِيهَا، وَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنزٍ^(١٠).

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

(قالوا) وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ^(١) عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ فَنَاقِلُهُ كِتَابًا، فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ. قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَطْرَدْتَ خُطْبَتِكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ. فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، تِلْكَ شِقْشِقَةٌ^(٢) هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ.

قال ابن عباس: فوالله ما أسفتُ على كلامٍ قطُّ كأسفي على ذلك الكلام، أن لا يكون أمير المؤمنين ﷺ بلغ منه حيثُ أراد.

قال الشريف الرضي: قوله: «كَرَّأَكِبِ الصَّعْبَةِ، إِنَّ أَشْنَقَ لَهَا حَرَمَ، وَإِنْ أُسْلَسَ لَهَا تَقَحَّم» يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها، وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها، يقال أشنق الناقة إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه، وشنقها أيضاً، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق. وإنما قال أشنق لها ولم يقل أشنقها لأنه جعله في مقابلة قوله أسلس لها فكأنه ﷺ قال إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها بالزمام.

()

{ }:

()

وبهذا المسك والروح والريحان ، من كلام أمير الفصاحة والبيان ،
نختتم كتابنا بعون الملك المنان ، مصلياً مسلماً على من بعثه الله
رحمة للعالمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، راجياً سائلاً
أخواني المؤمنين الدعاء والفاتحة لي ولوالدي ،
نفعنا الله وإياهم بهذا العمل اليسير ، انه نعم
المولى ونعم النصير وآخر دعوانا
ان الحمد لله ربّ العالمين

وان تجدد عيباً فسد الخلا فجلّ من لا عيب فيه وعلا

مصادر الكتاب

١. القرآن الكريم.
٢. صحيح البخاري - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٣. صحيح مسلم، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٤. المسند لأحمد بن حنبل - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
٥. المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری - دار الفكر - بيروت - لبنان.
٦. الطبقات الكبرى لابن سعد - دار احیاء التراث العربی - بیروت - لبنان.
٧. تفسير الطبري لابي جعفر محمد بن جرير الطبري - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٨. تفسير الدر المنثور لجلال الدين السيوطي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٩. التفسير الكبير للفخر الرازي - دار احیاء التراث العربی - بیروت - لبنان.
١٠. تفسير الكشاف للزمخشري - دار احیاء التراث العربی - بیروت - لبنان.
١١. تفسير القرآن العظيم لابن كثير - المكتبة التوفيقية - القاهرة - مصر.
١٢. تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبي دار الكتب المصرية.
١٣. أسباب النزول للواحدي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
١٤. شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
١٥. تفسير الثعلبي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
١٦. تاريخ الطبري - الطبعة الثانية لدار المعارف بمصر، تحقيق أبو الفضل

ابراهيم.

١٧. الكامل في التاريخ لابن الأثير - دار صادر بيروت ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.
١٨. البداية والنهاية لابن كثير - دار احياء التراث العربي - بيروت.
١٩. الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٢٠. الروض الأنف للسهيلى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٢١. العقد الفريد لابن عبد ربه - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٢٢. الاستيعاب بهامش الاصابة لأبي عمر القرطبي - دار الفكر - بيروت - لبنان.
٢٣. تاريخ دمشق لابن عساكر - دار الفكر - بيروت - لبنان.
٢٤. ربيع الابرار للزمخشري - مؤسسة الأعملي - بيروت - لبنان.
٢٥. مروج الذهب للمسعودي - دار المعرفة - بيروت - لبنان.
٢٦. المحاسن والمساوي لليهقي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٢٧. كنز العمال للمتقي الهندي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٢٨. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي - الطبعة الثانية - دار احياء التراث.
٢٩. كتاب المغازي للواقدي - مؤسسة الأعملي.
٣٠. تاريخ الخلفاء للسيوطي - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
٣١. تاريخ المدينة المنورة لابن شبة.
٣٢. عيون الأخبار لابن قتيبة - منشورات الشريف الرضي.
٣٣. المعارف لابن قتيبة - منشورات الشريف الرضي.
٣٤. الصواعق المحرقة لابن حجر - مكتبة القاهرة - بمصر.

- ٣٥ . الذرية الطاهرة للدولابي.
- ٣٦ . مناقب الامام علي بن أبي طالب لابن المغازلي - دار الاضواء - بيروت.
- ٣٧ . حياة الحيوان الكبرى للدميري - دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٣٨ . خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لابن عبد الرحمن النسائي.
- ٣٩ . ترجمة الإمام علي بن أبي طالب لابن عساكر - دار التعارف للمطبوعات
بيروت.
- ٤٠ . المناقب للموفق بن أحمد الخوارزمي.
- ٤١ . الامامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري - منشورات الشريف الرضي.
- ٤٢ . تذكرة الخواص للعلامة سبطة ابن الجوزي.
- ٤٣ . كفاية الطالب للحافظ الكنجي.
- ٤٤ . الرياض النضرة للمحب الطبري - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٤٥ . فرائد السمطين للمحدث الجويني - مؤسسة المحمودي - بيروت - لبنان.
- ٤٦ . المنتظم لابن الجوزي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- ٤٧ . السيرة الحلبية - دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٤٨ . بلاغات النساء لابن الفضل أحمد بن أبي طاهر - منشورات المكتبة
الحيدرية.
- ٤٩ . مقاتل الطالبين لابي الفرج - مؤسسة دار الكتاب.
- ٥٠ . تاريخ يعقوبي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

فهرست

.....

.....

.....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

.....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

.....

.....

.....

: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

.....

..

: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

..... : ﴿﴾

..... ﴿﴾

..... : ﴿﴾

..... &

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

..... : ﴿﴾

.....

..... : ﴿﴾

..... ﴿﴾

..... : ﴿﴾

..... ﴿﴾

..... : ﴿﴾

..... : ﴿﴾

..... : ﴿﴾

.....

﴿

.....

» ﴿ »

..... ﴿

» ﴿

..... ﴿

..... ﴿

.....

.....

.....

.....

.....

.....

..... ﴿ ﴿ ﴿

..... ﴿

.....

﴿ ﴿

...

» ﴿ ﴿

..... ﴿

.....

.....

.....



www.imamail-a.com

www.haydarya.com